أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السابع — رجب سنة ١٣٨١ هـ — ديسمبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الأزهر
في ضوء قانونه الجديد

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

لقد عاصر الأزهر تاريخ ألف سنة من حياة العروبة والإسلام، بل كان روحا لهذه الحياة وعاملا ذا أثر إيجابي فيها. وظل خلال هذه السنوات الألف منارا للعلم وحصنا له، ودرعا للإسلام وعدة للدفاع عنه، وحمى للعروبة وأمينا على لسانها، وحارسا لكياننا القومي، وقلعة شامخة في وجه المتربصين به، كلما أطلت برأسها فتنة، أو تهدد الأمة شر.

وعلى مدى ألف سنة اكتسب الأزهر خصائص تميز بها في مجالات العلم والعقيدة، واللغة والقيادة، والتوعية والتوجيه، كما اكتسب اسمه بهذه الخصائص قداسة وجلالا فانعطفت قلوب المسلمين من شتى أقطار العالم الإسلامي إليه، وقويت على تعاقب السنين صلتهم به والانقياد إلى رأيه. لا يطلبون علوم الإسلام وأسباب المعرفة إلا في حلقات درسه ومجالس علمه، ولا يجدون ضالتهم من فقه الكتاب والسنة إلا في أفواه علمائه وألسنة رواده... فكان الأزهر بوصفه هذا قبل أكثر من نصف قرن في مقدمة الحياة، يجد المجتمع مطالبه وحاجاته في خريجيه،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بل لم يكن لينهض بمطالب الحياة إلا خريجو الأزهر ورواده يومئذ .

فلما بدأ عصر النهضة فى مطلع هـذا القرن كان الناس يومئـذ مشدودين إلى التقليد والمحاكاة ، مأخوذين بكل غريب وافد ، فأقبلوا على ترجمة كل شىء ، بل ترجموا الحياة نفسها ، حتى نظم التعليم ومناهجه ، وبرامجه ، قامت جميعاً على أفكار مستوردة وثقافات مترجمة وطرائق معربة باعـدت بيننا وبين الحياة التى يجب أن نحياها ، وقطعت صلة التعليم ببيئته وتراثه ، وتاريخه ودينه ، وكان طبيعيا أن يعتزل الأزهر هذه النهضة ، وينفر منها ، فانزوى عن المجتمع وتراجع إلى ما وراء حاجاته ، ولم يندمج فيه لأن الأفكار المستوردة والاتجاهات المترجمة أو المعربة لا تتلاءم مع طبيعته ، ولا تتفق مع خصائصه ، ولكنها تتنافى مع ما أخذ نفسه به وانطبع عليه . . ولما انتهت الحرب العالمية الأولى قامت فى أعقابها نهضة ، وبدأت محاولة لتعديل نظم التعليم لم تحدث تغييرا جذريا فى أسسه وفلسفته ونظمه وخططه ، وإنما حدث خلط وترقيع لم يصلح فاسدا وإنما زاد فسادا . حتى أن اللغة العربية والدين - مع فرط العناية بهما فى مدارس الدولة - لم يتحقق لهما ما يرجوه كل مسلم للغته ودينه ، ذلك لأننا بنينا على أساس غريب عنا بعيد عن بيئتنا وتراثنا ، وعقيدتنا وتاريخنا .

وكان نتيجة لذلك أن وقعنا فى الخطأ مرتين : أخطأنا مختارين أو مكرهين بترجمة نظم التعليم والبعد به عن الحياة التى يجب أن نحياها .

وأخطأنا مرة أخرى - تساهلا أو انقيادا - حين اكتفينا فى إصلاح التعليم بالخلط والترقيع .

وفى كلا الحالين ظل الأزهر فى مكانه بعيدا عن الأفكار المترجمة والمعربة ، وبعيدا عن الخلط والترقيع كذلك .

إلا أن وقوف الأزهر حيث هو ، والحياة من حوله تتفاعل فى نشاط متجدد وتطور مستمر ، أضر بخريجيه إذ أرادهم على أن يكونوا رجال دين فحسب ، يتخذون منه حرفة ومهنة ويعيشون باسمه ورسمه .

وأضر الأزهر بخريجيه كذلك إذ فرض عليهم وضعه هـذا نوعا من الانعزال عن المجتمع الذى يعيشون فيه ، فقد وجدوا أن ثقافتهم لا تواجه احتياجات النهضة ، ولا تتفاعل معها وأن ميادين العمل والإنتاج فى واد وخبرتهم فى واد آخر ، بل زاد فى انعزالهم عن المجتمع مشكلة التعطل التى تواجههم ويتسع نطاقها عاما بعد عام . هـذا جانب من المشكلة ، وجانب آخر أشد ضررا وأخطر أثرا ، فقد كاد وضع الأزهر هذا أن يوهن عقيدة الناس ويضر المجتمع ، حين يقع فى وهم خريج الأزهر أن عالم الدين مصيره التعطل ومآله الضياع لأن الدولة لا تعترف به

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والمجتمع يحاربه فلا يتسع له . فيعتزل الخريج الدولة والمجتمع . حتى إذا ضاقت به الحياة كان حربا على الدولة وحربا على المجتمع .

وبالتالى فإن الناس لا يكادون يعرفون الدين إلا فى صورة عاز الدين ، فإذا كان هذا وضعه فى المجتمع ومصيره ، فما أسرع أن تتشكك قلوب وأن تفسد عقائد ... كذلك فإن بقاء الأزهر على وضعه القديم يصرف المسلمين عنه ، ويضعف صلتهم به . وأن مركزنا القيادى فى العالم الإسلامى ، لم يكن فى يوم من الأيام بسبب تقدمنا وإمكانيتنا ، ولا بسبب ما فرضته علينا الحياة ... وإنما باسم الأزهر وماضيه اكتسبنا ذلك المركز القيادى ، فيجب أن تظل بالأزهر نفسه هذه الصفة وتلك المكانة ، وهذا يجعلنا نفكر فيما يحتاج إليه المجتمع الإسلامى فى حاضره ، فنمسحه مسحا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ونخطط التعليم فى الأزهر خاصة بحيث يحقق للعالم الإسلامى مطالبه ، ويلبى حاجاته ، بعد أن خرجت أمم كثيرة من تحت نير الاستعمار وبدأت تأخذ بأسباب التطور والنهوض ...

فى ضوء هذا الواقع صدر قانون تطوير الأزهر ، يحمل لكل مشكلة حلا ... ويعد لكل ميدان من ميادين العمل خبرة ، ويهيء لكل مجال من مجالات الإنتاج طاقة ، ويربى لمراكز الخدمات الإنسانية باحثين ودعاة وروادة إنسانيين تهديهم جميعا إلى الحق والخير فطرة سليمة وعقيدة مستقيمة . ومثل من روح الإسلام وقيم من هدى القرآن .

ومن أجل ذلك كان تجديد الأزهر وتطويره ودعمه . ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى الشرق والغرب .

وليظل كما كان منذ أكثر من ألف سنة حصنا للدين والعروبة يرتقى به الإسلام ويتجدد ويتسع نطاق العالم به ويزدهر .

ومن أجل ذلك كان قانون الأزهر .

* ليتخرج فيه علماء ذوو عقيدة وخبرة ومعرفة يعيشون لدينهم لا بدينهم .

* ولتتحطم الحواجز والسدود بين خريجيه وخريجى الجامعات والمعاهد الأخرى .

* ولتزول الفوارق بينهم وبين إخوانهم فى كل مستوى .

* ولتتكافأ فرصهم جميعا فى مجالات العلم ومجالات العمل .

وما كان للقانون الجديد أن يحقق الغاية المرجوة منه لو لم يأت على المشكلة من جذورها ويبدأ الطريق من أوله ، فعنى برعاية جمعيات المحافظة على القرآن الكريم وعهد إلى الأزهر بالإشراف عليها ، ورصد لها الأموال لتنهض بتبعاتها وتقوم بواجبها فى إعداد العناصر الصالحة للالتحاق بالأزهر وتغذية معاهده .

كذلك ما كان للقانون الجديد أن يتجاوب مع المجتمع لو ترك التعليم فى معاهد الأزهر نظريا بحتا كما كان من قبل ، بعيدا عن مجالات الخبرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والدربة العملية ، فهيأ الدراسة للطلاب بحيث تكافأ فرصهم مع فرص غيرهم من التلاميذ فى مـــدارس الدولة ليحصلوا على الشهادة الإعدادية العامة أو الفنية إلى جانب دراستهم لعلوم الدين واللغة ، وليحصلوا على شهادة الثانوية العامة بقسميها الأدبى والعلمى أو الثانوية الفنية فى الزراعة أو الصناعة ، أو التجارة ، إلى جانب ما درسوا كذلك من علوم الدين واللغة . فإن شاء طالب الأزهر خرج إلى الحياة ليعمل ويكسب وإذا شاء واصل الدراسة فى المراحل العالية بكليات الأزهر أو كليات الجامعات الأخـــرى أو الكليات العسكرية وفق مواهبه واستعداده.

كذلك لم يترك القانون كليات جامعة الأزهر لتصنع خريجيها فى هذا النطاق الضيق المحدود وأن تعيش بهم فى بيئتها هى بعيدة عن المجتمع الأم منفصلة عنه ، فرجع بها إلى مجد سلف وماض نفتقده ، يوم كان علماء الإسلام علماء طب وفلسفة ، وأساتذة تاريخ ورياضة وأصحاب فن ومهنة يعيشون للدين ويشاركون فى الحياة ويكتسبون منها ، فقد جعل القانون للدراسات العربية كلية تحفظ الثقافة العربية وتنميها ، وتنفى عنها ما أدخل عليها أو اندس فيها ، وجعل للدراسات الإسلامية كليات تزدهر فى رحابها ثقافة الإسلام ويتسع بها فهم الكتاب وفقه السُّنة وتزداد بدراستها معرفة الطالب للإسلام وهى كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين ، وكلية الدراسات الإسلامية للفتيات التى ستفتح أبوابها فى العام القادم إن شاء الله .

ولقد روعى فى هذه الكليات أن تنهض برسالة اللغة والدين وأن تحافظ على مستواها كما ونوعا مع ضمان التنمية المستمرة وازدهار الرسالة العلمية الإسلامية فى جامعة الأزهر ، هذا إلى جانب ما أنشأ وينشئ من كليات للإدارة والمعاملات والهندسة والصناعة والزراعة والطب .

كل ذلك كفله القانون ووضع له أسسه وخططه ، لإعداد طالب متفاعل مع بيئته ومجتمعه ، سواء فى موطن الأزهر بالجمهورية العربية ، أو فى الموطن الكبير الممتد إلى ما وراء الحدود فى أرجاء الوطن العربى والإسلامى...

كذلك لم يغفل القانون وضع الرأى العام الإسلامى من الأزهر ، ووضع الأزهر من العالم الإسلامى ، فقرر إنشاء مجمع للبحوث الإسلامية على نطاق دولى إسلامى يعيد إلى المسلمين الصورة التى عرفت عندهم باسم الإجماع . . لتناقش فيه البحوث الإسلامية على نطاق دولى ، ولتتجدد ثقافة الإسلام وتتجلى فى جوهرها الأصيل ، وليذاد عنها كل دخيل غريب ، ولينفى عن العقيدة كل خبث يضر بها أو يكيد لها مما ينتحل باسمها أو ينسب إليها ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حكاية الشعر الجديد

بقلم : أحمد حسن الزيات

كتب إليّ السيد محمد رضا من أدباء الشغر بكرموز يسألني عن هذا النوع من الشعر الذي يقرأه من حين إلى حين في الصحف فلا يدري كيف ينسبه إلى بحر من بحور العروض ، ولا كيف يرجعه إلى فن من فنون القريض ، ويشكو من أن أذنه لا تسيغه وأن ذهنه لا يهضمه .. والسائل الأديب يقصد ولا شك تلك المقطوعات العاطفية التي ينظمها بعض الشعراء الشباب مطلقة من قيود القافية . وذلك ما نسميه بالشعر المرسل ويسميه الأفرنج بالشعر الأبيض .

وكان أول من استحدث هذا النوع الشاعر الإيطالي « تريسينو » سنة ١٥٢٥ فأنكره قوم وعرفه آخرون ، ولكن الآذان لم تلبث أن ألفته وصغت إليه فانتشر في أوربا ونظم منه شكسبير بعض درامانه . ثم تطور وظلا في التطور حتى اشتق منه نوع آخر يتخفف من بعض أثقال العروض ويقبل أن يتألف بيت من تفعيلة أو اثنتين وبيت يليه من أربع أو أكثر ، وذلك هو « الشعر الحر » .

وكان أكثر ما يُستعمل النوعان في الملاحم والمسرحيات والمطولات إشفاقا على الشاعر من جرائر القافية كالتكرار والحشو والغرابة .

وكان من العوامل التي مهدت لقبول الشعر

وبعد . .

فإن القانون الجديد قد كفل تخريج عالم عامل ذي خبرة وكفاية يقوى به الإسلام ويشتد ساعده وتنتشر به رسالته ، وتتسع رقعته ، ويزيد به معتنقوه ، وتطمئن إليه قلوب الذين لم يبشروا به .

وما كانت القوانين لتصنع رجالا أو تعد دعاة إذا لم يكن في الأزهريين غيرة على دينهم ولغتهم وأزهرهم ...

بل ليس في مقدور القانون أن ينهض بتبعات رسالة ، أو يحافظ على قداسة عقيدة إذا لم تتملك هذه الرسالة وتلك العقيدة قلوب الداعين إليها والعاملين في سبيلها .

ومن قبل نادى دعاة الإصلاح بتطوير الأزهر ... وثار الأزهريون من أجل تطويره ... وها هو ذا بين يدي كل أزهري وكل مسلم أمانة حملها وخيراً دعا إليه .

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

محمود شلتوت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حكاية الشعر الجديد

بقلم : أحمد حسن الزيات

كتب إليّ السيد محمد رضا من أدباء الشغر بكرموز يسألني عن هذا النوع من الشعر الذي يقرأه من حين إلى حين في الصحف فلا يدري كيف ينسبه إلى بحر من بحور العروض ، ولا كيف يرجعه إلى فن من فنون القريض ، ويشكو من أن أذنه لا تسيغه وأن ذهنه لا يهضمه .. والسائل الأديب يقصد ولا شك تلك المقطوعات العاطفية التي ينظمها بعض الشعراء الشباب مطلقة من قيود القافية . وذلك ما نسميه بالشعر المرسل ويسميه الأفرنج بالشعر الأبيض .

وكان أول من استحدث هذا النوع الشاعر الإيطالي « تريسينو » سنة ١٥٢٥ فأنكره قوم وعرفه آخرون ، ولكن الآذان لم تلبث أن ألفته وصغت إليه فانتشر في أوربا ونظم منه شكسبير بعض درامانه . ثم تطور وظلا في التطور حتى اشتق منه نوع آخر يتخفف من بعض أثقال العروض ويقبل أن يتألف بيت من تفعيلة أو اثنتين وبيت يليه من أربع أو أكثر ، وذلك هو « الشعر الحر » .

وكان أكثر ما يُستعمل النوعان في الملاحم والمسرحيات والمطولات إشفاقا على الشاعر من جرائر القافية كالتكرار والحشو والغرابة .

وكان من العوامل التي مهدت لقبول الشعر

وبعد . .

فإن القانون الجديد قد كفل تخريج عالم عامل ذي خبرة وكفاية يقوى به الإسلام ويشتد ساعده وتنتشر به رسالته ، وتتسع رقعته ، ويزيد به معتنقوه ، وتطمئن إليه قلوب الذين لم يبشروا به .

وما كانت القوانين لتصنع رجالا أو تعد دعاة إذا لم يكن في الأزهريين غيرة على دينهم ولغتهم وأزهرهم ...

بل ليس في مقدور القانون أن ينهض بتبعات رسالة ، أو يحافظ على قداسة عقيدة إذا لم تتملك هذه الرسالة وتلك العقيدة قلوب الداعين إليها والعاملين في سبيلها .

ومن قبل نادى دعاة الإصلاح بتطوير الأزهر ... وثار الأزهريون من أجل تطويره ... وها هو ذا بين يدي كل أزهري وكل مسلم أمانة حملها وخيراً دعا إليه .

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

محمود شلتوت

المرسل فى العروض الأوربى أن القافية بمعناها العربى لم تكن عنصرا جوهريا فى الشعر الأفرنجى ، وإنما كانت القافية فيه نوعا من الاتحاد الصوتى بين الكلمة والكلمة كما يكون بين كتاب ونظام وبين عظيم وقدير. فلما اتصل « التروبادور » وهم شعراء جنوب فرنسا فى القرون الوسطى بعرب الأندلس اقتبسوا منهم القافية بحكم الجوار والخلاط .

قال المؤرخ الفرنسى « لويس فياردو » فى الجزء الثانى من كتابه تاريخ العرب والبربر فى أسبانيا : « كان الشعر الفرنسى مضروبا على مثال الشعر الأسبانى المأخوذ عن الشعر العربى . لأن الأسبان لم يقفوا على الشعر اليونانى ولا على الشعر الرومانى قبل القرن الرابع عشر حتى يقلدوهما . . . ولقد أخذنا صناعة الشعر ونظام القوافى عن العرب ، جاءتنا مع التجار الأسبان عن طريق مرسيليا وطولون » .

أما الشعر العربى فله خصيصتان يتميز بهما على سائر الشعر : إحداهما القافية الواحدة للقصيدة مهما تطل ؛ والأخرى بناء كل بيت فى القصيدة على عدة التفاعيل التى قام عليها بناء البيت الأول ، فتكون القصيدة كلها كاملة أو مشطورة أو مجزوءة على حسبه .

وللقافية سلطان طبيعى قوى على النفس العربية . لذلك لازمت الشعر فى طوره الأرقى وهو طور القصيد . ولم يحاول شاعر فى العصور الأولى أن يتخلص منها بالشعر المرسل إلا ما روى أبو عبيدة لابنة أبى مسافع وقد قتل أبوها يوم بدر :

فما ليث غيل ذو
أظافير وإقدام
كحى إذ تلاقوا و
وجوه القوم ألوان
وأنت الطاعن النجلا
ء منها مزيد آن
وبالكف حسام صا
رم أبيض خذام
وقد ترحل بالركب
وما نحن بصحبان

وإلا ما روى غيره لغيرها من نحو قول الشاعر :

ألا هل ترى إن لم تكن أم مالك
بملك يدى أن الكفاء قليل
رأى من رفيقيه جفاء وغلظة
إذا قام يبتاع القلوص ذميم
فقال أقلا واتركا الرحل إننى
بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشرى رحله قال قائل
لمن جمل رخو الملاط نجيب

وهذان المثالان وغيرهما مما روى ولم نطلع عليه إنما صدر عن ذوق متخلف وطبع متكلف . فلا دلالة فيه على مذهب نشأ ولا على تطور حدث .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على أن من شعراء الأندلس والعراق من ضاق بتماثل النغمة وتكرارها فى التزام روى واحـــد فى القصيدة المطولة فعالجوا ذلك الرتوب بتنويع القافية على نحو ما فعلوا فى الموشح والزجل . ولكن شعراء هذا العصر الحديث حينما دُفعوا بحكم التطور إلى نظم الروايات المسرحية والمطولات القصصية قاسوا من التزام القافية رهقاً شديداً وقعوا منه فى الغرابة أو الركاكة أو الفضول أو النبو، فدعوا إلى إرسال الشعر من غير قافية وقصروا هذه الدعوة على الشعر القصصى والتمثيلى وما فى حكمهما من القصائد ذوات الحوادث المتعددة والمواقف المختلفة .

بدأ ذلك الأستاذ محمد فريد أبو حديد فنشر فى مجلة الرسالة سنة ١٩٣٣ استفتاء فى الشعر المرسل كانت مادته ترجمـــة بالشعر المرسل لخطبة أنطونيو فى رواية يوليوس قيصر لشكسبير ، فاستطار حولها الجدل وتقسم فيها الرأى ، ومضى يؤيد رأيه بالعمل فنظم بالشعر المرسل « مقتل سيدنا عثمان » و « خسرو وشيرين » و « زهراب ورستم » : وحذا حذوه المرحوم الدكتور أحمد زكى أبو شادى فترجم بهذا الشعر رواية « منون » لفولتير ، و « ترنيمة أتون » لبرستيد .

ومن قبل هذين الرائدين عالج الشعر المرسل السيد توفيق البكرى فى قصيدته « ذات القوافى » وجميل صدقى الزهاوى فى « المؤيد » وعبد الرحمن شكرى فى « الجريدة » .

ثم فترت الدعوة وخشع الدعاة واستمسك القافية على عرك النقد وشدة التطور حتى أتاح الله لها داعيا جديداً بعد فترة دامت عشر سنين هو الأستاذ دريني خشبة فجددها فى « الرسالة » ١٩٤٣ وأيدها بقوة . ولكن الأذواق لا تقارع بالمنطق ولا تجابه بالدليل ولا تتغير بالأمر ، فظل الشعر الحر أمنية فى بعض النفوس وحديثا فى بعض المجالس ، حتى أصيب الغناء المصرى فى العهد الأخير بالتجديد المسيخ المفتعل فزيف شعور أهله وقطع تيار ماضيه ووضع فى الأغنية الواحدة أنغاما من كل لحن وأصواتا من كل أمة .

والغناء أصل الشعر ، والشعر مادة الغناء ، فتأثير أحدهما فى الآخر تفاعل من عمـــل الطبيعة يحدث من غير اكتساب ولا قصد . فكما أراد بعض الملحنين أن يخضعوا الغناء المصرى للغناء الأوربى فى الموسيقى ، أراد بعض الناظمين أن يخضعوا الشعر العربى للشعر الأوربى فى العروض ، فأصبحنا نقرأ ما ننكر كما كنا نسمع ما ننكره .

وأكثر ما ينشر اليوم من الشعر المرسل هو الشعر الحر الذى يتخلص غالبا من التزام القافية ، ويتجرد دائما من تساوى الشطرات . والشعر الحر يقبل فى الأغانى والموشحات ، كما يقبل الشعر المرسل فى الملاحم والمسرحيات . واستعمالها فى غـــير ذلك قلب للأوضاع ، وحرب على الأذواق والأسماع ، ونزول بالقصيدة الريضة المحكمة إلى مستوى هذه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرقعات الصوتية التي ينطبق عليها كل اسم تشاء ما عدا الغناء !

كل شيء يجوز النزول به إلا الفن . وكل فن يجوز التيسير فيه إلا الشعر . وكل تيسير يجوز النظر فيه إلا القافية . ذلك أن الشعر يتميز من سائر ضروب الكلام بخصائص ثلاث : موسيقية شديدة الحساسية ، وصعوبة عسيرة التسهيل ، وقدرة على تثبيت الفكرة بلفظها في الذاكرة . فالشعر الحر يستطيع أن يدرك شيئا من الموسيقية إذا زاوج الشاعر بين الأبيات واستفاد من الحرية التي أوتيها ، فتخير الألفاظ وعدل الأقسام وألف الألوان وحرك المعاني ونوع الصور . وأخشى بعد أولئك كله ألا يرتفع عن النثر البليغ المحكم .

ولكن الصعوبة التي تلقى الشاعر في كل بيت عند القافية فيسلط عليها ذهنه وفنه وذوقه ولغته حتى يفجأ أذنك وهي تنتظر في غير صبر ، بتلك الحيلة الفنية واللفتة الذهنية والكلمة الصادقة الموسيقية ، لا نجدها في غير الشعر المقفى . كذلك يعجز الشعر الحر عن أن يهيء للذاكرة في التمثيل على الأخص ما تهيئه لها القافية من نقط الارتكاز وعلائم الطريق حتى لا تجور ولا تضل .

على أن تسهيل الشعر بإلغاء القافية يخمد الذهن ويجدب القريحة ؛ لأن الصعوبة ترهف الفكر فيدق إحساسه ، وتوقظ العقل فيزيد إنتاجه ، وتبعث الفن فيحيا بين إلهام الشاعر وإعجاب القارئ .

والواقع أن القافية لم يشكها شاعر مطبوع ولا ناظم مطلع ، فإن الطبيعة الغنائية للشعر العربي من جهة ، ووفرة الثروة اللفظية للشاعر من جهة أخرى ، تجعلان القافية من أخص لوازم الشعر وأسهل فنونه ولنا في الأراجيز القديمة والموشحات الحديثة وسائر ما استحدث المولدون من الأنواع القائمة على موسيقى القافية دليل ناهض على ما نقول .

فإذا وقع شاعر اليوم في رهق من بناء القافية لقلة محصوله من اللغة أو لمعالجته التمثيل أو القصص الطويل ، كان له في تنويعها مندوحة عن هذا النوع الذي تذبذب بين النثر والنظم فوقف من الأذن موقف الغصة من الحلق ! بذلك استطاع البساتي أن يترجم الإلياذة ، وتسنى لشوقي أن يبدع في مسرحياته .

* * *

وبعد فإني أفهم لماذا نيسر الكتابة ونسهل النحو ، ولكني لا أفهم لماذا نيسر الشعر ونسهل الغناء ، أليكون الناس كلهم مغنين وشعراء ؟ لا ، يا أخي ! المسألة في الفن استعداد واجتهاد وقريحة .

إذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصفة في اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

الصفة من أقوى الدلالات على ضبط الأداء في لغة من اللغات .

وهي أقوى من الاسم دلالة على ضبط الأداء في المفردات وفي تراكيب التعبير ، فما من لغة متقدمة أو متأخرة تخلو من الأسماء بعدد الأشياء التي يتحدث عنها أهلها ، ولكن اللغات التي تقدر الصفات على حسب الموصوفات هي اللغات التي تطورت بقواعد التعبير والتمييز بين مواضع المعاني والألفاظ أو التطبيق بين الكلمة ومعناها .

والأسماء ، كما هو معلوم ، قد تكون توقيفية لا إرادة للمتكلم في وضعها وإطلاقها على مسمياتها ، وقد تكون منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع شيء قليل من التعديل فيها ، وقد تكون مع ذلك مطلقة في أصولها لأدنى مناسبة تشير إليها ، كهذا الاسم الشائع باسم (كبريت) وأصله نسبة إلى جزيرة قبرس بمعنى القبرسي ، لأنها كانت في الزمن القديم أشهر البلاد بمناجم الفوسفات التي تصنع منها عيدان الثقاب ، ولولا الاستعمال لما كانت هذه المناسبة كافية لإطلاق هذا الاسم على مسماه عندنا ... لأن الكلمة غريبة عن لغتنا وهي إذا ردت إلى أصلها لم يكن لها معنى غير أنها شيء منسوب إلى جزيرة كما ينسب إليها الأحياء وغير الأحياء المنتمون إليها ، ولكن هذه المناسبة اليسيرة كافية لتكوين الأسماء أول الأمر ثم سيرورتها على الألسنة بغير بحث عن مناسبتها الأولى .

أما الصفات فلا بد من المطابقة بينها وبين الموصوفات في كل كلمة وكل مناسبة ، ولا بد للغة الوافية من أن تستوفي أدواتها وتحسب لها حسابها ، وإلا كان النقص في تكوين الصفة وتطبيق شروطها نقصا أصيلا في وسائل الدلالة اللغوية .

وليس في لغات الحضارة لغة تمت لها أدوات الصفة وشروطها كما تمت للغة العربية ، فهي جامعة لكل ما تفرق من هذه الشروط بين أكبر اللغات وأوسعها انتشاراً في الزمن الحاضر ، وفي الأزمنة المتقدمة .

إن الصفة تابعة للموصوف في اللغة العربية ، مطابقة له في الإفراد والجمع ، وفي التذكير والتأنيث ، وفي التعريف والتنكير ، وفي مواقع الإعراب .

وقد يلاحظ بعض هذه المتابعات في بعض

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لغات الحضارة ، ولكنها لا تلاحظ جميعا بقواعدها المطردة فى غير اللغة العربية

فى الإنجليزية ، وهى لغة يتكلم بها اليوم أكثر من مائتى مليون إنسان ، تأتى الصفة سابقة لموصوفها ، فيقال مثلا : « واحد عظيم رجل » بدلا من رجل عظيم ، ويقال « عظيم رجال » بدلا من رجال عظماء ، ويقال « عظيم نساء » بدلا من نساء عظيمات ، ولا تتغير الصفة تبعا لتغير مواقع الإعراب بين موقع الفاعل أو موقع المفعول ومواقع الأسماء المجرورة .

واللغة العربية تعرف الفرق بين الصفة الملازمة والصفات المتعلقة بالأفعال والمرات.

فهناك فرق بين كلمة « كريم » وكلمة « معطاء » فى الصيغة وفى المادة وفى الدلالة . لأن الكرم صفة تتحقق بالخلق الذى تدل عليه ، وبين الكريم وبين المعطى وبين المعطاء فروق فى طبيعة الصفة لا تتوقف على عدد المرات ولا على مقدار العطاء ، فمن أعطى مرة واحدة فهو معط أو فاعل لفعل من أفعال الكرم وإن لم يكن كريما على الدوام ، وكذلك المعطاء الذى يعطى مرات كثيرة ولا يلزم من ذلك أن يكون كريما أو أن يكون عطاؤه من عنده ، فربما كان المعطاء ، فى معنى من معانيه مرادفا للصراف على هذا الاعتبار .

ومن ثم وجدت فى اللغة العربية صيغة اسم الفاعل وصيغة الصفة المشبهة وصيغة المبالغة . وكلها أصل مقرر فى اختلاف اللفظ واختلاف الدلالة على حسب معناه .

وقد يأتى لفظ الصفة تابعا لمعناها فى علامات التذكير والتأنيث كما يأتى تابعا لهذا المعنى فى بعض الأوزان .

فالصفة يجب فيها التأنيث إذا كان الموصوف مؤنثا على الحقيقة أو على المجاز ، ولكنها تؤنث بمعناها ولا ضرورة لتأنيثها بلفظها إذا امتنع اللبس وبطلت الحاجة إلى العلامة اللفظية .

فلا حاجة إلى تاء التأنيث فى مثل (حامل ومرضع وطالق) لأن اللبس بين التذكير والتأنيث ممتنع فى هذه الصفات ، ولكن التاء قد تلحق بالصفة إذا كان ملحوظا فيها الفعل ولم يكن الملحوظ فيها هو الحالة كما جاء فى الشاهد المشهور .

أيا جارتا بينى فإنك طالقة
كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وأيا كان الحكم فى الخلاف بين الكوفيين والبصريين على سبب حذف التاء هنا ، فالذى لا خلاف عليه أن حذفها ملحوظ فيه حالة دائمة وليست حالة وقوع الفعل لمرة أو عدة مرات .

فالبصريون يقولون « إنما حذفت علامة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التأنيث لأن قولهم طالق وطامث وحائض وحامل فى معنى ذات طلاق وطمث وحيض وحمل على معنى النسب أى أنها قد عرفت بذلك كما يقال رجل رامح ونابل ... ولا خلاف هنا على التفرقة بين حالة الدوام وحالة الحدث المتكرر مرة أو مرات .

أما الأسماء التى يتساوى فيها المذكر والمؤنث فالغالب فيها أنها أسماء أخذت مأخذ الصفات المشتركة التى لا فارق فيها بين صدورها فى المذكر أو صدورها فى المؤنث ، كالضبع والفرس والعقاب والنعامة وما إليها من أسماء الحيوان المشتركة . فإن الضبع هنا أخذت صفة الجائحة التى تأتى على كل شىء كالسنة المجدبة .

أبا خراشة أما أنت ذا نفر

فإن قومى لم تأكلهم الضبع

والفرس صفة من الفراسة والفرس أو الفرس كأنها اسم جنس يطلق على الذكور والإناث .

ولم يأت هذا الإبهام عن قصور اللغة فى التسمية ولا عن نقص فى علامات التأنيث والتذكير ، فإن التاء قد تدخل على الضبع كما تدخل على الفرس ، وقد يسمى ذكر بالضبعان ويسمى ذكر الخيل بالحصان وتسمى نثاها بالحجر ، وقد عرف ذكر النعام باسم الظليم ، وعرفت أنثى النسر والعقاب باسم أم قشعم مع الالتباس بين العقبان والنسور .

فليس هناك إبهام راجع إلى قصور اللغة وقواعدها ، ولكنه تغليب للمعنى على اللفظ أحيانا حسب الصفة المقصودة بين السامع والمتكلم .

ومن استعمال المصدر فى موضع الصفة يتضح لنا أن اللغة قد بنيت على التفرقة بين المعانى فى التذكير والتأنيث وفى بعض الفروق الأخرى التى توافرت علاماتها ، ولا يمكن أن ينسب إغفالها إلى نقص فى تلك العلامات .

فإذا وضع المصدر موضع الصفة فهو واحد فى مدلوله ، لأن معنى المصدر لا يتغير مع الفاعل المذكر أو الفاعل المؤنث ، ولا مع الواحد أو الكثيرين . فإن « العدل » مثلا عدل واحد فى صفته على جميع الحالات ، فلا ضرورة لعلامات التأنيث أو الجمع إذا أراد المتكلم أن يستغنى عنها ، ولا يختلف المعنى إذا قيس رجل عدل وامرأة عدل ورجال عدل ونساء عدل لأن الأسماء هنا فى حكم المضاف والمضاف إليه من جهة المعنى ، ولا تأبى اللغة مع ذلك أن تستخدم العلامات أحيانا على حسب العرف المشهور .

ولا تظهر دقة اللغة فى منطقها الخاص بها من شىء فى قواعدها ، كما تظهر فى مواضع التسوية بين التذكير والتأنيث فى بعض صيغ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المبالغة ، كما يتساوى رجل راوية وامرأة راوية ويتساوى رجل متلاف وامرأة متلاف ، ويتساوى رجل صبور وامرأة صبور . فإن فى المبالغة نوعا من الكثرة والزيادة يلحقها بكثرة الجمع ، ويجرى عليها ما يجرى على « كل جمع مؤنث » من قبيل « قالت الرجال وقالت النساء » ، والعرب المستعربة والعرب المستعربين ... وهو التفات عجيب يدل على تناسق خفى وراء هذه القواعد يبعدها عن خلط المصادفة والارتجال .

ومثل هذا فى الوضوح ظهور الفارق بين الكلمات التى تؤنث فى اللغة العربية وهى خالية من علامات التأنيث وبين كلمات الجنس المشترك فى اللغات الأجنبية ، فإن هذه الكلمات تبلغ المئات فى اللغات الأجنبية لنقص فى التمييز يعوضونه بإضافة ضمير فى ضمائر التأنيث ، ولكنها لم تترك عندنا بغير علامة مميزة لأن اللغة عاجزة عن تمييزها بعلامة من علاماتها الكثيرة ، بل هى متروكة لاعتبارها أصلا من المؤنثات المجازية أو المذكرات المجازية ، فليس السبب هنا راجعاً إلى نقص العلاقات والصيغ أو إلى قواعد اللغة على العموم ، ولكنه راجع إلى التصور النفسانى الذى يوحى إلى الذهن إلحاق بعض الأشياء بهذا الجنس أو ذاك على حسب العوامل الكثيرة التى تعمل عملها فى هذه التفرقة عند أبناء اللغات أجمعين .

وهذه مزية الصفة عندنا نضيفها إلى المزايا الأخرى التى تستحق بها اللغة العربية عندنا وعند غيرنا من المنصفين أن تسمى بأم اللغات .

عباس محمود العقاد

من حكم شوقى

اثنان من نعم الله عليك ، عدو تشغله كثيرا ، وصديق يشغلك كثيرا .

إن كنت عصا فكن لينا . وإن كنت سيفا فكن قاطعا .

الإقدام والجد إذا اجتمعا لرجل لم يقف له شىء فى طريقه .

من وثق بالله مشى على الماء .

العلم أرفع النسب والعمل أرفع الحسب .

فى النفس ألف داء ، وفى القرآن ألف دواء له ودواء .

لا أدب فى أمة يتسايب أدباؤها .

من حدث الناس عن نفسه بما يرضى تحدثوا عنه بما يكره .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القوى الشعبية
وكيف تعبأ نحو الاشتراكية العربية

للأستاذ الدكتور محمد البهي
مدير جامعة الأزهر

بحث فلسفي قيم عالج فيه الأستاذ الكاتب تعبئة القوى الشعبية لتحقيق الاشتراكية العربية والإيمان بها وذلك بتحليل مصادرها المعنوية المختلفة من التاريخ والدين والفكر والتعبير، ودور الأزهر الجديد في غرس هذا المفهوم الثوري الجديد في أذهان الشعب عن طريقه الخاص، وقد نشرنا في هذا العدد هذا الجزء منه وسننشر بقيته في العدد القادم.

— ١ —

ربما أرى من الأوفق في تحديد هذه القوى أن أنتقل من مفهوم الاشتراكية العربية إلى بيان: ما هي القوى الشعبية؟ أهي عدد من الأفراد في قطاعاتها المختلفة، أم هي بجانب العدد والكم قوى أخرى نوعية يحملها بعض الأفراد في تلك القطاعات، وللبعض الآخر منهم صلاحيته لحملها وأدائها.

الاشتراكية العربية:

وهنا أود أن أسأل سؤالا: هل العامل في المصنع اشتراكي لأنه عامل؟ — وعندئذ تكون الاشتراكية صفة للعامل تلازمه أينما وجد.

أم الاشتراكية صفة ومعنى آخر يقوم بذات العامل إن وجد هذا المعنى فيه، ويقوم بذات غيره إن وجد فيه هذا المعنى كذلك؟

الشيوعية تجعل العامل شيوعيا واشتراكيا لأنه عامل إذ أنها قامت على أساس تفكيري معين. قامت على أساس: أن الطبقة العاملة — وهي طبقة عمال المصانع بالذات — هي التي يجب أن تؤول إليها السلطة في المجتمع، ويجب أن تباشر أمر السيادة فيه، لأن ذلك هو نهاية الخط الذي تسير فيه أحداث التاريخ. فالمجتمع — كما يتحدث منطق الشيوعية — تغير وانتقل من وضع إلى نقيضه، وما زال ينتقل من وضع إلى نقيضه، وسيزال ينتقل من وضع معين إلى نقيضه، حتى يصل إلى الوضع الذي يجعل من المجتمع مجتمعا عماليا.

فالمجتمع الملكي — وهو الذي يعتبر فيه المال في صوره المختلفة ملكا للملك. ومن هداه رعايا أشبه بعبيد له — انتقل من الوضع الملكي إلى الوضع الإقطاعي، بعد أن تملك حكام الملك في المجتمع السابق الأراضي وأجروها للزارعين. وهذا المجتمع الإقطاعي بدوره انتقل من مجتمع إقطاعي إلى مجتمع رأسمالي استخدمت فيه الأموال في المصانع، بعد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن هرب أصحاب الإقطاع من الأراضى الزراعية إلى المصانع ليوظفوا فيها أموالهم. وبتملك عمال المزارع الأراضى، وبانتقال أصحاب الإقطاع بأموالهم إلى المصانع قام المجتمع الرأسمالى. ثم هذا المجتمع الرأسمالى انتقل بدوره بعد الصراع بين أصحاب رؤوس الأموال وبين عمال المصانع إلى مجتمع عمالى من عمال المصانع أولا وبالذات.

وهنا يكون عمال المصانع - فى نظر الفكر الشيوعى - هم الاشتراكيون أو الشيوعيون: لكن هل الاشتراكية العربية هى هذه الصورة من الاشتراكية الشيوعية؟ لا: لأن الاشتراكية العربية تبقى على الملكية الفردية، بينما الملكية الفردية محرمة فى المجتمع الشيوعى أو المجتمع العمالى. الملكية الفردية سواء فى الأراضى، وسواء فى المصانع، وسواء فى التجارة باقية وتكون القطاع الخاص بجانب قطاع العام الذى تملك فيه الدولة بعض الأراضى وبعض المصانع وبعض المتاجر.

إذن نعود من جديد لنسأل عن مفهوم الاشتراكية العربية، وعن المصدق الذى تتحقق فيه ... هل هى المبادلة؟ هل هى أداء واجب وأخذ حق؟. هل العامل فى المزرعة، والعامل فى المصنع، إذا أدى عملا وأخذ أجرا عليه يكون اشتراكيا عربيا؟ هل الموظف فى مكتبه إذا أدى عمله وأخذ الراتب عليه يكون اشتراكيا عربيا؟ هل الطبيب إذا قدم المشورة لمريضه وأخذ على ذلك الأجر المقرر يكون اشتراكيا عربيا؟. هل المدرس الذى يقوم بواجب التدريس فى مدرسته والأستاذ الذى يقوم بواجب أستاذيته فى جامعته حسبما يخطط له ويأخذ كل منهما الراتب المخصص له يكون اشتراكيا عربيا؟ هل التلميذ فى المدرسة والطالب فى الجامعة إذا واظب كل منهما على الحضور ونجح فى امتحاناته المدرسية والجامعية مقابل رعاية والده ومدرسته وجامعته إياه يكون اشتراكيا عربيا؟. هل الزوجة إذا قامت بالشئون الزوجية أو بدور الأمومة لقاء ما ينفق عليها من الزوج تكون اشتراكية عربية؟ وهل الزوج إذا قدم ما يجب عليه من إنفاق لقاء ما يأخذ من خدمات فى الأسرة يكون اشتراكيا عربيا؟.

إذا كانت الاشتراكية العربية هى إعطاء لقاء الأخذ، وخدمة مقابل الأجر فكل فرد من أفراد الشعب عندئذ اشتراكى عربى، وبالتالى هو فرد من أفراد القوى الشعبية.

لا أعتقد أن الاشتراكية العربية هى التحرك فى دائرة الأخذ والعطاء. وفى دائرة الأجر على قدر العمل، أو بالعكس: العمل على قدر الأجر. وإنما الاشتراكية العربية - فيما أعتقد - هى: أن الفرد للمجموع والمجموع للفرد.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كيف إذن يكون الفرد للمجموع ، وكيف يكون المجموع للفرد ؟. لا يكون الفرد للمجموع ، ولا يكون المجموع للفرد إطلاقا إذا كان تحرك الفرد هو التحرك فى دائرة الإعطاء مقابل الأخذ ، والعمل على قدر الأجر . وإنما يجب أن يكون تحقيق ذلك بأن يكون هناك فضل زائد فى العمل من كل فرد عن مقدار التساوى بين الأخذ والإعطاء ، وبين الحق والواجب ، وبين الأجر والعمل . يجب أن يكون هناك فضل وراء ذلك ، وهو فضل غير مادى هو فضل إنسانى هو مجهود بشرى خالص فى الدرجة الأولى ، قد يترجم هذا المجهود البشرى فى خدمة مادية أو خدمة معنوية فى صورة محسوسة أو غير محسوسة .

فالعامل — بناء على ذلك — يكون اشتراكيا عربيا إذا أدى — بجانب ما يجب عليه من إنتاج فى عمله — خدمة زائدة على ذلك ، قد تكون فى إتقانه العمل ، وقد تكون فى مساعدته الضعيف فى العمل ، وقد تكون فى النصح والارشاد لمن لا خبرة له ، وقد تكون فى غير ذلك .

والطبيب يكون اشتراكيا عربيا إذا أعطى أيضا - فضلا زائداً عن المشورة الطبية التى أخذ عليها الأجر . قد يكون هذا الفضل فى إعطاء المشورة لفرد آخر عاجز عن الدفع دون أن يأخذ منه ، وقد يكون هذا الفضل فى إتقان أمر النصح والمشورة ذاتها ، فلا يعطيها إلا بعد دراسة وبعد عمق فى هذه الدراسة وبعد تريث ، حتى لا يترتب عليها أذى أو ضرر لمريضه . قد يكون هذا الفضل فى الإرشاد والتنوير لمن هو فى حاجة إلى الإرشاد والتنوير الطبى ، قد يكون فى صورة أو صور غير هذه ، تكون نقابة الأطباء نقابة اشتراكية عربية إذا أعطت فضلا زائدا عن خدمات الأعضاء لقاء ما يجب عليهم أداؤه من اشتراكات : إذا أسهمت فى إقامة مستشفيات لأصحاب الحاجة مجانا ، إذا قدمت خدمات طبية بدون مقابل لسكان القرى ، إذا كونت حملات متعاقبة للتنوير الصحى فى قرى الريف ، وقد يكون هذا الفضل الزائد فى صور أخرى غير هذه ، ولكنها على كل حال صور تعبر عن معنى إنسانى لا يقابله جزاء مادى .

والمدرس يكون اشتراكيا عربيا أيضا إذا زاد فضلا عما يجب عليه أن يؤديه مقابل ما يأخذ من حق له ، قد يكون هذا الفضل فى مساعدة ضعيف على وجه خاص بين تلاميذه ، قد يكون هذا الفضل فى إتقانه العمل ، قد يكون هذا الفضل فى الإسهام مع آخرين من زملائه فى مباشرة أمر التدريس فى مدرسة لأبناء الشعب دون مقابل مادى ، حتى يكون من وراء ذلك تخفيف عن بعض تكاليف الحياة لمن هو صاحب حاجة من أبناء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشعب . تكون نقابة المعلمين نقابة اشتراكية عربية إذا خرجت عن دائرة الخدمات التي توفرها للأعضاء مقابل اشتراكاتهم إلى خدمات أخرى تؤدي لأبناء الشعب كفتح بعض المدارس بدون مصروفات أو تخصيص بعض منح دراسية في الدراسات العليا لبعض المتفوقين من الطلاب أصحاب الحاجة ، أو نشر الوعي الثقافي ، أو إزالة الأمية في القرية يسهم فيه أعضاؤها عن طريق توفير الإمكانية لهم من الاشتراكات التي تدفع لصندوق النقابة .

والمهندس يكون اشتراكيا عربيا إذا أعطى من خبرته الفنية أزيد مما يؤجر عليه ويحدد له ، إذا أعطى خدمات فنية تعود على بعض أفراد الشعب بدون مقابل . كما إذا أسهم مثلا في تصميم أو في إقامة بيوت سكان الريف ، أو إذا توسع في التبصير والإرشاد لصغار المزارعين عن طريق تكرار الزيارة لهم سواء في مزارعهم أو في بيوتهم ، مما يشعر أنه لا يقف بخبرته الفنية عند حد الأجر وإنما يتجاوزه عما ينم عن معنى إنساني لم يقابل بأي جزاء مادي .

ونقابة المهن الزراعية تكون نقابة اشتراكية عربية إذا توسعت في خدماتها الفنية عما يعود على الأعضاء المشتركين فيها بالمنفعة الشخصية ، تكون اشتراكية عربية إذا أقامت حقولا نموذجية للزراعة في أماكن متعددة أو أقامت بيوتا ريفية نموذجية في قرى مختلفة أو أقامت معارض للإنتاج الحيواني في قطاعاته المختلفة أو غير ذلك مما يفهم منه أن النقابة لم تقصر خدماتها على أعضائها وإنما تجاوزت حدود هؤلاء الأعضاء إلى أفراد الشعب أنفسهم الذين ليسوا ممثلين في هذه النقابة .

والموظف يكون اشتراكيا عربيا إذا قدم فضلا هو خدمة إنسانية أزيد مما يدعوه واجبه الرسمي : إذا أسرع مثلا في إنجاز حاجة أصحاب الحاجة ، إذا وفر للمترددين على المصالح الحكومية وقتهم وأعفاهم من مشقة هذا التردد عليها ، إذا استقام فيما يبديه من رأي ... إلى غير ذلك من صور الخدمات الإنسانية التي لا تحاسبه عليها واجبه الرسمي ، وإنما تحاسبه عليها إنسانيته .

إذن الاشتراكية العربية هي أمران : عدل وتوازن بين الأخذ والإعطاء في علاقة الفرد للفرد ، وفضل وراء هذا العدل يعود أثره على المجتمع بدون مقابل ، وهنا يتحقق معنى أن الفرد للمجموع لأن نشاطه لم يقف عند حد ما يأخذه من الفرد الآخر ، ويكون المجموع للفرد لأن جميع الأفراد كانوا اشتراكيين على هذا النحو في خدماتهم الزائدة على واجباتهم في خدمة الفرد .

(البقية في العدد القادم)

دكتور محمد البهي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التكافل في الإسلام

للأستاذ محمد المدني

لقد فرض الإسلام التكافل بين الناس على صورة واسعة النطاق تتناول جميع نواحي الحياة أدبية كانت أو مادية ، وقبل أن نبين ما قرره الإسلام في هذه النواحي ونتتبعه فرعا فرعا ، نحب أن نلفت إلى ظاهرة في أسلوب الإسلام الذي سار عليه في شأنها : ذلك أنه لم يفرض التكافل بمجرد الأمر به والنهي عما يخالفه ولكنه أقام المجتمع على أسس أصلية هي بذاتها تنتج التكافل وتنضج ثمراته وتجعلها دانية القطوف .

فأول هذه الأسس ما يقرره القرآن الكريم في غير موضع من أن المؤمنين أخوة ومن ذلك قوله تعالى : (إنما المؤمنون أخوة) ، (فأصبحتم بنعمته إخوانا) وأسلوب القرآن في إثبات هذه الأخوة هو أسلوب من يقرر حقيقة واقعة ثابتة لا تقبل التغير ، فكل امرئ يعلم أنه أخ للمؤمنين وأنهم جميعا أخوانه فيقول لنفسه : مادامت هذه هي حقيقة الصلة بيني وبينهم فلابد من أن ألاحظها دائما في كل تصرف من تصرفاتي .

وأن أنزل على مقتضياتها في كل حال من أحوالي . وقد قطع الإسلام كل صلة تتعارض مع أخوة الإيمان فنهى عن اتخاذ الآباء والإخوان من النسب أولياء - أي نصراء وحلفاء - إن استحبوا الكفر على الإيمان ، وتوعد الذين يؤثرون أي علاقة نسبية أو منفعة مادية على الله ورسوله والجهاد في سبيله بالوعيد الشديد ، والآيات في ذلك مشهورة معروفة ومنها قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

ونحب أن نقف قليلا عند هذه الآية الكريمة الحاسمة في معناها البعيدة المدى فيما تقرره فهي تنفي أن يوجد قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم مع ذلك يبادلون المودة من خرج عن حدود الله ورسوله ، وهي تنفي أن يوجد هذا النوع حتى بين المتصلين بالصلات النسبية أو القومية من الأبوة أو البنوة أو العشيرة .

وبعد أن تنفي هذا بهذا الأسلوب الحاسم تلتفت إلى تقرير حالة المؤمنين الذين يسيرون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على مقتضاه فيقطعون جميع الصلات إلا صلة الإيمان فتصفهم بأوصاف أو تقرر فى شأنهم قرارات واضحة تقع فى سبع جمل فى هذه الآية الواحدة :

« أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه . أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

بهذا يتبين إلى أى مدى وصل الإسلام فى تقرير صلة الأخوة بين المؤمنين ، ونفى كل ما ينافيها وهذا هو المنبع الأول الذى ينبع عنه التكافؤ فى الإسلام .

المنبع الثانى هو ما يقرره القرآن الكريم فى شأن الولاية والتناصر بين المؤمنين ، فهو يقرر أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض كما يقرر أن المنافقين والمنافقات بعضهم أولياء بعض وينهى عن اتخاذ الكفار أولياء . (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) والأمر فى ذلك كله منطق تحكم به العقول السليمة ، فما كان المنافق المذبذب المتأرجح بين الحق والباطل بصالح لأن يكون ولياً ونصيراً وحليفاً للمؤمن الثابت الإيمان الذى يؤثر الله ورسوله على كل ما سواهما . إن كلا من المنافق والمؤمن لا يمكن أن يتلاقى مع صاحبه لا فى عقيدته وقرارة نفسه ولا فى أهدافه ومثله ولا فى أساليبه وطرق حياته فكيف يمكن أن تقوم بينهما محالفة أو مناصرة ، وإذا فالمؤمنون هم أحق الناس بولاية المؤمنين ، ولذلك مقتضياته من التعاون والتكافل فى الشدة والرخاء كما هو شأن الحلفاء والنصراء .

فهذا هو المنبع الثانى الذى ينبع منه التكافؤ فى الإسلام .

والمنبع الثالث هو التكافؤ فى الدماء فليس هناك مؤمن إلا ودماؤه غالية عزيزة كريمة وحياته من أجل ذلك مصونه محترمة ، فكلهم سواسية فى ذلك ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

المنبع الرابع هو ما أمر الله به من المحبة بين المؤمنين ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه « أحب للناس ما تحب لنفسك » « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

هذه هى الأسس أو الينابيع التى ينبثق منها التكافل بين الناس ، وهى دوافع طبيعية يسوقها الإيمان فى جميع المجالات الحيوية التى نرى فيها التكافل واضحا بين المؤمنين .

* * *

بعد هذا نجول مع التكافل فى مجالاته المختلفة التى أجاله الإسلام فيها :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١ — فنجد التكافل فى المجالات المادية واضحا فى الزكاة التى أمر بها الإسلام ، لا الأغنياء فقط ، ولكن جميع طبقات الأمة تقريبا ، وذلك أنه جعل لها نصابا هو نحو عشرة جنيهات يحول عليها الحول فيجب فيها ربع العشر ومن ثم نجدها فريضة يقدر عليها العدد الضخم فى كل مجتمع ، بل الأكثرية أو ما يقرب من الأكثرية فى الأمة ، وفائدة ذلك أن يعم الناس شعور واحد فى التضامن والتكافل وبأنهم فى أكثر الحالات معطون باذلون لإخوانهم مما آتاهم الله ، ولهذا الشعور لذة وعزة .

ونسبة الزكاة قليلة تسخو بها النفوس ، ولا يكاد الشح يتسلط فى شأنها على أحد يؤمن بالله ورسوله ، ثم هى عامل من عوامل الألفة والمحبة بين الناس حيث يشعر الذين يأخذونها بالمحبة والارتياح والعاطفة المشتركة

ونظرة سريعة إلى العلائق الطيبة التى تنشئها زكاة الفطر مثلا ، وهى التى تخرج فى ليلة العيد عن كل نفس كبيرة أو صغيرة وإن لم تكن من الغنى بمنزلة ملك النصاب ، نظرة سريعة إلى هذا اللون من التكافل الاجتماعى تعطينا فكرة عن المدى الذى يصل به الإسلام إلى تحقيق مبدأ التكافل والتضامن فى المجتمع .

وقل مثل ذلك فيما يذبح من الأضاحى يوم عيد الأضحى ، فالكثرة من الناس تذبح وتنحر ، وتأكل وتؤكل ، ويبدو الناس يومئذ فقراؤهم وأغنياؤهم كأنهم مدعوون إلى مأدبة عامة شاملة أنزلها الله من السماء .

ونجد الإسلام يحقق التكافل فى صورة أخرى جميلة هى صورة إكرام الضيف وأصل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) .

ولا شك أن هذا لون من ألوان التكافل كريم فى مظهره ومقصده وقلما يعرف الأوربيون هذا اللون من الكرم فليس لهم حساب فى الضيافة ولا الضيفان وليس فى تقاليدهم أن ينزل إنسان على إنسان فيشاركه فى طعامه وشرابه ويكون بذلك راضيا مسرورا معتقدا أنه أرضى ربه وأرضى الشهامة والنخوة وما أبدع ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الضيف (جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام بعد ذلك ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه) وتفسير ذلك فيما ذكره العلماء أن الضيف له يوم وليلة يكرم فيها إكراما فوق العادة التى اعتادها أهل البيت وله بعد ذلك ثلاثة أيام يطعم فيها من طعامهم المعتاد ولا يحل له بعد ذلك أن يقيم فى هذا البيت الذى استضافه أهله حتى يحرجهم ، وحد الإحراج فى كل بيت بحسب طاقة هذا البيت ومركزهم وظروف حياتهم ، أى أن الضيف عليه أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يقابل ماله من حق بواجب التخفيف حتى لا يؤدي أمره إلى الإحراج .

ما أبدع هذا التكافل فى المعانى المادية والأدبية ، والقرآن الكريم ينعى على (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) والماعون : هو ما يتبادله الناس بعضهم من بعض من الأوانى والمنافع وقد جرت المجتمعات المتكافلة المتضامنة على تبادل مثل ذلك .

٢ — ونجد التكافل فى المجالات الأدبية فى صورة ما يسميه الإسلام فروض الكفاية التى يجب على المجتمع أن يهيئها ، ولو أنه أهملها لكان كل أفراده مشتركين فى الإثم .

فمن ذلك أنه إن وجد وباء وجب أن يتعاون القادرون على درء هذا الوباء ، فيقوم منهم من يطعم الناس ضد هذا الوباء ولو تطوعا ، ومن ذلك أنه يجب على المجتمع تجهيز الميت إذا لم يكن له من يجهزه وتغسيله والصلاة عليه ودفنه .

ومن ذلك كل مايوجبه الإسلام من الأعمال النافعة للناس من إماطة الأذى وإصلاح الطرقات وإنارتها وعلاج الفقراء ونحو ذلك .

وقد أصبحت كل هذه الفروض الكفائية تقوم بها الحكومات والهيئات البلدية ونحوها وفى ذلك تحقيق للفروض الكفائية على الوجه الذى يبتغيه الإسلام .

٣ — ونجد التكافل فى مجال التعاون على الإصلاح ودرء الفساد وذلك هو ما يسميه الإسلام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شأنه أن يحقق نوعا عظيما من التكافل بين أفراد الأمة ، وأن يكون مجتمعات واعية ، فيها ما يعرف الآن بالرأى العام المهيب الوجه الذى يؤيد الحق ويشد أزره ويحارب الفساد ويقلم أظافره ، ولأن المجتمع إذا استقام أمره على الخير والصلاح وطهرت أرجاؤه من الشر والفساد عم النفع فى ذلك جميع الأفراد وأصبحوا محاطين بسياج يدرأ عنهم التفكيك والانحلال المفضيين إلى الفناء والزوال وما أبدع ما يصور به صلى الله عليه وسلم هذا المعنى حيث يقول (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أننا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم — أى منعوهم من خرق السفينة — نجوا ونجوا جميعا .

أما بعد فهذه مثل من التكافل فى مجالاته المتنوعة التى أجاله فيها الإسلام ولم نرد الاستقصاء ولكن أردنا التمثيل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

محمد محمد المدنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

كراهية الحق
نزعة جاهلية ونقيصة خلقية

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

أ ـ « يجادلونك فى الحق بعدما تبين .
ب ـ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ».

١ — بين الناس تفاوت فى الأفهام ـ ولا شك ـ وصدى هذا التفاوت يبدو فيما يثور من جدل بينهم حول مفهوم علمى ، أو فى تقدير أمر تشوبه الاحتمالات ، ويحتاج إلى تمحيص من الشبهات .

لذلك : لم يكن غريبا فى حكم العقل قديما ولا حديثا أن نعتبر الجدل فى الرأى ظاهرة اجتماعية لا مندوحة عنها فى معترك الحياة : لأنها الوسيلة إلى التخلص من البداوة المحدودة الأفق ، وإلى تجلية الشبهات عن صواب ينشده العقل . وتستريح إليه النفس الطامحة إلى المعرفة فى وضعها الحق .

وفوق ذلك يعتبر النقاش والتمحيص استجابة للقرآن فى كثير من توجيهاته ، ومسايرة للدعوة الإسلامية فى منهجها التربوى .

فإن الإسلام بصفة عامة يقتضينا النشاط العقلى فى غير تراخ ، ويثيرنا إلى التفكير بتقليب النظر فى نصوصه ، ومفاهيمه ، وفى الكائنات المادية لنصل دائما إلى الحق من الطريق المنطقى الحق .

ويأبى علينا التقليد الوراثى ، والاستسلام للتلقى المطلق ، حتى لا نتعثر فى ضلالات الرأى الخاطئ ، أو نتورط فى المتابعة الذليلة .

٢ — وإن تكن للقرآن فى حضه على النظر ، وإذنه فى الحجاج غاية ثقافية أصيلة ، فإنه لا يتركنا نسترسل فى الجدل ، وننادى فى طريقه : لئلا يأخذنا حب الغلب ، حتى نتجاوز الحق ، زاعمين أنا نبحث عن الحق ، فنكون كما قال الشاعر المتنبى :

إذا استشفيت من داء بداء
فأقتل ما أعلك ما شفاكا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والوقوف فى الجدل عند الحق ، والكف عن تجاوزه إلى المراء المحظور هو ما وضح قصده فى آية الموضوع .

٣ — فهى آية ناقدة لقوم من الناس كانوا يجادلون الرسول جدلا ملحا فى شأن بيّن ، وضح الحق فيه . حتى لم يعد للشك غبار عليه .

بل كانو يعلمونه حقا ، ولا يزعمونه خافيا عليهم ، ولكنهم يتمحلون المعذرة للإفلات من لزومه ، والمفروض أن الحق بعد ظهوره يكون الخضوع له لزاما ، والأخذ به دينا ، والانتصار له مبدأ ، وخلقا محمودا ...

وإن لم يكن للحق هذا المقام عندنا فأى فرق بينا وبين المبطلين ؟ ؟ .

أولئك قوم بلغ بهم التريث فى قبول الحق أن صاروا فى اعتبار القرآن كمن يساق إلى الموت كرها ، وهو يراه شاخصا أمام عينيه ، أو يرى وسائله الحتمية .

وانظر إلى هذا التشبيه وما فيه من قوة التصوير لنفسية الكارهين للحق ! ! أرأيت مشهدا يكون أبغض إلى الإنسان من مظهر الموت ينتظره وهو مسوق إليه فى غير ترفق به ؟ .

نسمع أن المحكوم بإعدامه يساق من غرفة سجنه إلى غرفة الموت فى هوادة ، حتى إنهم يحجبون بصره ، عما يتعرض له قبل التنفيذ ، ويقصون عليه ما ارتكبه من جريمة كانت سببا فى الاقتصاص منه ، ثم يسألونه عما تشتهى نفسه ... وكل ذلك تلطف به من بشاعة الموقف ، مع تسببه فى هذا بما اقترف ، فهذا هو وجه الشبه فيمن تتحدث عنهم الآية ، وعن كراهيتهم للحق وإحجامهم عن المبادرة إليه .

وبقدر ما يكون تمنعهم عن الحق تكون كراهية الله لهم .. فإن الله حق ، ومتصف بالحق ، وما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وما شرع لعباده إلا حقا وما كلفهم ، ولا وعدهم وعدا إلا حقا .

فتجافيهم للحق فى شأن ما من شئونهم ، يكون محادة لله ، ونفرة عما وصف به نفسه ، وارتضاه فى هيمنته على خلقه وتدبيره لملكه .

٤ — فمن هم يا ترى أولئك القوم الذين أشخصتهم الآية فى هذا الموقف العنيف المزعج .

الأقرب إلى الذهن أنهم الكافرون بالأنبياء وهم يتمثلون فى الكفار بمحمد عليه الصلاة والسلام — من قريش وسواهم

فهم على جلالتهم ذوو جدل كثير ، وما كان جدلهم عن رغبة فى معرفة جديدة . ولا وسيلة إلى اقتناع بحق ، ولا إظهارا لعلم عندهم يخرجونه للناس ! !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإنما كان مراما فاسدا ، ودفاعا عن باطل غمرهم من كل جانب ، وتشبثا بتقليد أعمى لقوم سبقوهم إلى التورط فى ضلالات ، وظلمات بعضها فوق بعض .

وربما كان لأوائلهم فى الجاهلية عذر يلتمس لهم ، فهم فى فترة من الرسل من عهد إسماعيل عليه السلام .

وغيرهم من أهل الكتاب كان مأخوذا بشىء من العصبية لدياناتهم السابقة .

ولكن ما عذر العرب يومذاك وقد جاءهم رسول منهم ، يتلو عليهم آيات الله بلسانهم ، ويترفق فى دعوتهم ، ويسلك بهم كل سبيل راشدة .

فليس كثيراً عليهم إزاء هذا أن ترميهم الآية بما يجرحهم ، وأن تكشف ما هم عليه من إفك ، ومراء .

غير أن سياق الآية التى معنا ليس حديثا عن الكافرين .

وإنما هى فى معرض الكلام عن المؤمنين بل هم فى طليعة المجاهدين مع الرسول فى غزوة بدر الكبرى .

أراد الرسول وصحبه أن يعترضوا قافلة لقريش عائدة من الشام بتجارتها إلى المدينة ، وكان مقصدهم الأول أن يظفروا بالتجارة : لا أن يشتبكوا فى حرب .

وقد وعد الله رسوله أن يتيح له إحدى الفرصتين من غير تعيين ـ التجارة أو هزيمة العدو ، ولكن غير التجارة أفلتت مع حراسها الأربعين . ثم تجمعت قريش لاستقبال المسلمين فى حرب تتشفى بها من الجمع الإسلامى الصغير .

وصار مفهوما أن وعد الله أصبح محصورا فى مجاهدة العدو : على غير ما كانوا يقدرون .

وعندئذ اضطرب الأمر فيهم ، وخاف كثير منهم الإقدام على معركة لم يستعدوا لها اليوم ، فأرجئوها إلى موعد بعد .

وليث الرأى فيهم حول هذا بين مد وجزر . . حتى كانت الرغبة فى التأجيل أشبه بالإعراض عن الجهاد ، وكانوا فى تشبثهم بهذا أشبه بمن يساق إلى الموت وهو باد له ، وشاخص أمام عينيه .

وما كان لهم أن يتخوفوا ، ويرغبوا فى التأجيل . والنصر مكفول لهم مع القلة فيهم بمقتضى وعد الله سبحانه .

وكيف يكون الحق فى وعد الله واضحا لقوم يؤمنون ، ويكون محصورا فى منازلة العدو ثم يجادلون فى ذلك ؟ ؟

كيف يتهيبون الحرب وخاصة بعد أن تشبعوا بالدين الحق . وغدوا لا يضنون بأرواحهم فى سبيله ، وقد كانوا من قبل يتهافتون على الحرب فى سبيل الباطل ، والعصبية الجاهلة ؟ ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا شك أن الإحجام بعد أن خرجوا من المدينة يعتبر نكوصا عن التضحية . . وتردداً فى جهاد عدو بغى عليهم ، وطردهم من مكة ، ويعتبر تخاذلا عن البيعة التى عقدوها مع الرسول - غير مرة - ويطمع فيهم ذلك العدو من جديد ، بعد أن يئس منهم منذ هجروا مكة إلى المدينة وأصبحت لهم معقلا حصينا ، وردءاً مأموناً .

تغلب فيهم ارأى الحق ، وانقطع الجدل ، ونشبت الحرب ، وصدق الله وعـــده ، فنصرت الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .

٥ — هذه غزوة بدر التى كانت على غير أهبة كافية ولكن الله أراد أن تكون الركيزة الأولى للراية الإسلامية ، وأن يكون صداها مدويا فى آفاق الجزيرة العربية ، وأن يمتد ذلك الصدى إلى الأمم والأقطار الأخرى فيروع قلوب العناديد من أبطال العرب ، ويهز عروش الحكم فى دولات عريقة ، ويتوجسون الخوف من ناحية هذا الدين الجديد : لم يكن تردد المسلمين نكوصا عن الدين ولا كان جدلهم من قبيل المراء فى مناصرة نبيهم الذى دعاهم إلى حق ، وآمنوا به فى صدق ، وتابعوه فى غير مداهنة ، وأشربوا حب دينه فى غير مواربة ، وإنما هو الرأى الصريح الذى تعودوه ، ورجح لديهم أن لدى كثير منهم أن يرجئوا الحرب حتى يستعدوا لها ، ولا يعجلوا بها اليوم لئلا يظفر العدو بهم فيها ، خوفا على جماعتهم القليلة وحفاظا على دعوتهم الناشئة ، وإبقاء على نهضتهم الفتية .

ولكن القرآن يناشد المسلمين بوميذاك أن لا يستجيبوا لخلجات أنفسهم ، وألا يحسبوا لهذه الاعتبارات حسابا ، وهم على يقين من وعد الله ، وأن خير البر عاجله . وهو يعلمهم أن حكمة الله فى هذه الحرب أنها معركة البداية فى الجهاد المسلح ، وأنها وسيلة أولى فى قمع الكثرة الباغية اليوم ، ووسيلة تمهيدية لاستئصال شأفتهم من مكة بعد ... «وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم» أى تريدون عروض التجارة من القافلة ، وليس فى إحرازها كبير نفع لكم .

«ويريد الله أن يحق الحق بكلماته» يريد الله لكم أن يحقق وعده فى خصوص الحرب ليهزمهم اليوم ، ويذلهم غدا بإخراجهم من مكة ويقطع دابرهم منها ، وهم جبابرتها ، وسادتها وهذا كله لغاية عظمى وهى تركيز الإسلام فى الأرض ، وجعله دينا خالداً وإن كان آخر الأديان ، ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون ، ولقد حقت كلمات الله وعمرت الدنيا بكتابه ، ودينه ، وهو الذى نزل الذكر ، وهو الذى يحفظه إلى يوم لقائه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٦ — وأنت ترى بعد ذلك الإجمال ، وفى سياق ما سلف : أن الله عتب على المسلمين جدالهم فى الحق الواضح مع رسوله واعتبرهم كمن يساق إلى الموت وهو ناظره .

ولكن عتاب فى أسلوب تهذيبى ، وتوجيهى ، فهو يجتث من أنفسهم حب المراء ويحملهم على التخلق باحترام الحق مهما يكن فى سبيله من تضحيات .

ولم يكن عتابه سبحانه فى أسلوب التهديد بالعذاب ، وإعلان سخطه ، كما ترى مثل ذلك فى حديثه على الكافرين والمنافقين !! .

فرق : بين جاحدين يسلكون فى الجدل مسلك إبليس ، ويأبون متابعة الحق ، ويمارون فيه على غير هدى ، ويتعصبون للباطل فى شتى ألوانه ، وليس لديهم برهان . . وبين مؤمنين توافرت فيهم الثقة بالله ، وأخذ الإيمان من قلوبهم مأخذه ، واستقرت فى جوانحهم عقيدة راسخة ، وإنما يجادلون فيما يظنونه أجدى عليهم ، وأسلم لهم ، ثم يتعهدهم الله فيعتب عليهم عتبا فيه شدة ، ولكنه حق ، وفيه شائبة الغضب ، ولكنه غضب الرحيم ليقلعوا عن تلك الآفة : آفة اللجاج — فقسا ليزدجروا . . .

والقرآن كثير من التوجيهات فى هذا الجانب ، ينبهنا إلى أن اللجاج ظاهرة المنت من أهل الشرك وهو نقيصة فى الخلق ، ومفرق للقلوب ، ومشتت للجماعة .

وكم يحكى القرآن لنا عن جدل قريش ، وعن مراء أهل الكتاب ، وعن سخط الله على الممترين ، ولعلنا ندرك كثيراً مما يقع بيننا أن هذا النوع من الجدل الجاف الذى يثار فينا ، ولا يكون فى رفق ، ولا يقف عند صواب أنه فى عرفنا خلق مسخوط ، ورذيلة مستهجنة .

ومن أجل هذا كان تنفير النبى من الجدل حتى ما يكون منه صوابا .

ومن حديثه فى ذلك « أنا زعيم ببيت فى أعلى الجنة لمن ترك المراء وإن كان حقا » صلوات الله عليه وسلامه ووهبنا حب الحق ، وعصمنا من المراء وآثاره .

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

إقرأ تعليقا على هذا المقال فى « بريد المجلة » من هذا العدد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عبد الله بن عباس: إمام المفسرين

للأستاذ محمد حسين الذهبي

ترجمته :

هو عبد الله [١] بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية . ولد والنبي عليه الصلاة والسلام وأهل بيته بالشعب بمكة ، فأتى به النبي عليه الصلاة والسلام فحنكه بريقه ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولازم النبي عليه الصلاة والسلام في صغره ؛ لقرابته منه ، ولأن خالته ميمونة كانت من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة ، فلازم كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين على الأرجح . وله من العمر سبعون سنة .

مات بالطائف ودفن بها ، وتولى وضعه في قبره محمد بن الحنفية ، وقال بعد أن سوى عليه التراب : مات والله اليوم حبر هذه الأمة .

مبلغه من العلم :

كان ابن عباس يلقب بالحبر والبحر لكثرة علمه ، وكان على درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بمعاني كتاب الله ، ولذا انتهت إليه الرياسة في الفتوى والتفسير ، وكان عمر رضي الله عنه يجالسه في مجلسه مع كبار الصحابة ويدنيه منه . وكان يقول له : إنك لأصبح فتياننا وجها ، وأحسنهم خلقا ، وأفقههم في كتاب الله . وقال في شأنه : ذاكم فتى الكهول ؛ إن له لسانا سئولا ، وقلبا عقولا . وكان لفرط أدبه إذا سأله عمر مع الصحابة عن شيء يقول: لا أتكلم حتى يتكلموا . وكان عمر رضي الله عنه يعتد برأي ابن عباس مع حداثة سنه ، يدلنا على ذلك ما رواه ابن الأثير في كتابه أسد الغابة عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة قال: « إن عمر كان إذا جاءته الأقضية

---

(١) من كتاب له تحت الطبع عنوانه « التفسير والمفسرون » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المعضلة قال لابن عباس : إنها قد طرأت علينا أقضية وعضل ، فأنت لها ولأمثالها ، فكان يأخذ بقوله ، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه » . قال عبيد الله : وعمر هو عمر فى حذقه واجتهاده فقه والمسلمين ، وما رواه البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه وقال : لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناءً مثله ؟ فقال عمر إنه من أعلمكم فدعاهم ذات يوم فأدخلنى معهم ، فما رأيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون فى قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ... » ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئا ، فقال : أكذلك تقول يابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له ، قال : « إذا جاء نصر الله والفتح » فذلك علامة أجلك « فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » ، فقال عمر لا أعلم منها إلا ما تقول » اهـ . وهذا يدل على قوة فهمه وجودة فكره . وقال فيه ابن مسعود رضى الله عنه « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » . وقال فيه عطاء « ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس . أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من واد واسع » . وقال عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة : « كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال : بعلم ما سبقه : وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ، وتأويل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ولا بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان منه ولا أفقه فى رأى منه ولا أثقب رأيا فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوما ولا يذكر فيه إلا الفقه ، ويوما التأويل ، ويوما المغازى ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب ، ولا رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيت سائلا قط سأله إلا وجد عنده علما » . وقيل لطاوس لزمت هذا الغلام — يعنى ابن عباس — وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنى رأيت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تدارءوا فى أمر صاروا إلى قول ابن عباس » . وروى الأعمش عن أبى وائل قال : « استخلف على عبد الله ابن عباس على الموسم فقرأ فى خطبته سورة البقرة — وفى رواية سورة النور — ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا » ، وكان على ابن أبى طالب يثنى على تفسير ابن عباس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويقول : « كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق » .

وبالجملة ، فقد كانت حياة ابن عباس حياة علمية ، يتعلم ويعلم ، ولم يشتغل بالإمارة إلا قليلا لما استعمله على على البصرة . والحق أن ابن عباس قد ظهر فيه النبوغ العربي بأكمل معانيه ، علما ، وفصاحة ، وسعة اطلاع فى نواح علمية مختلفة . لا سيما فهمه لكتاب الله تعالى . وخير ما يقال فيه ما قاله ابن عمر رضى الله عنه : (ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد) (١) .

أسباب نبوغه : ونستطيع أن نرجع هذه الشهرة العلمية ، وهذا النبوغ الواسع الفياض ، إلى أسباب نجملها فيما يلى :

أولا : دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله : اللهم علمه الكتاب والحكمة ، وفى رواية أخرى « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » ، والذى يرجع إلى كتب التفسير بالمأثور يرى أثر هذه الدعوة النبوية يتجلى واضحا فيما صح عن ابن عباس رضى الله عنه .

ثانيا : نشأته فى بيت النبوة ، وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عهد التمييز فكان يسمع منه الشيء الكثير ، ويشهد كثيرا من الحوادث والظروف التى نزلت فيها بعض آيات القرآن .

ثالثا : ملازمته لأكابر الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، يأخذ عنهم ويروى لهم ، ويعرف منهم مواطن نزول القرآن ، وتواريخ التشريع وأسباب النزول ، وبهذا استعاض عما فاته من العلم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدث بهذا ابن عباس عن نفسه فقال : (وجدت عامة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الأنصار ، فإن كنت لآتى الرجل فأجده نائما ، لوشئت أن يوقظ لى لأوقظ ، فأجلس على بابه تسفى على وجهى الريح حتى يستيقظ متى ما استيقظ وأسأله عما أريد ثم انصرف) .

رابعا : حفظه للغة العربية ، ومعرفته لغريبها ، وآدابها ، وخصائصها ، وأساليبها ؛ وكثيرا ما كان يستشهد للمعنى الذى يفهمه من لفظ القرآن بالبيت والأكثر من الشعر العربى .

خامسا : بلوغه مرتبة الاجتهاد ، وعدم تحرجه منه ، وشجاعته فى بيان ما يعتقد أنه الحق ، دون أن يأبه لملامة لائم ونقد ناقد ، ما دام يثق بأن الحق فى جانبه ، وكثيرا ما انتقد عليه ابن عمر جرأته على تفسير القرآن ، ولكن لم ترق إليه همة نقده ، بل ما لبث أن رجع إلى قوله ، واعترف بمبلغ علمه ، فقد روى أن رجلا أتى ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى : « أولم ير الذين كفروا

(١) انظر أسد الغابة ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ،(١) فقال : اذهب إلى ابن عباس ثم تعال أخبرني . فذهب فسأله فقال : كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات . فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال : قد كنت أقول : ما تعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن . فالآن قد علمت أنه أوتي علما .

هذه هي أهم الأسباب التي ترجع إليها شهرة ابن عباس في التفسير يضاف إلى ذلك كونه من أهل بيت النبوة ، منبع الهداية ، ومصدر النور ، وما وهبه الله من قريحة وقادة ، وعقل راجح ، ورأي صائب ، وإيمان راسخ ، ودين متين .

قيمة ابن عباس في تفسير القرآن :

تتبين قيمة ابن عباس في التفسير ، من قول تلميذه مجاهد : (إنه إذا فسر الشيء رأيت عليه النور) ، ومن قول علي رضي الله عنه يثني عليه في تفسيره) كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق) ، ومن قول ابن عمر : (ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد) . ومن رجوع بعض الصحابة وكثير من التابعين إليه في فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله فكثيراً ما توجه إليه معاصروه ليزيل شكوكهم ، ويكشف لهم عما عز عليهم فهمه من كتاب الله تعالى ، ففي قصة موسى مع شعيب أشكل على بعض أهل العلم ، أي الأجلين قضى موسى ؟ هل كان ثمان سنين ؟ أو أنه أتم عشراً ؟ ولما لم يقف على رأي يم شطر ابن عباس ، الذي هو بحق ترجمان القرآن ، ليسأله عما أشكل عليه . وفي هذا يروى الطبري في تفسيره ، عن سعيد بن جبير قال : (قال يهودي بالكوفة - وأنا أتجهز للحج - إني أراك رجلا تتتبع العلم ، فأخبرني أي الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم ، وأنا الآن قادم على حبر العرب - يعني ابن عباس - فسائله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودي ، فقال ابن عباس قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبي إذا وعد لم يخلف ، قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال : صدق وما أنزل على موسى هذا والله العالم) . اهـ (١) .

وهذا عمر رضي الله عنه يسأل الصحابة عن معنى آية من كتاب الله ، فلما لم يجد عندهم جواباً مرضياً ، رجع إلى ابن عباس فسأله عنها ، وكان يثق بتفسيره ، وفي هذا يروى الطبري (أن عمر سأل الناس عن هذه الآية يعني ، أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل

(١) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

(١) تفسير ابن جرير ج ٢٠ ص ٤٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأعناب ... الآية (١) » . فما وجد أحدا يشفيه ، حتى قال ابن عباس وهو خلفه : يا أمير المؤمنين إنى أجد فى نفسى منها شيئا ، فتلفت إليه فقال تحول ههنا ، لم تحقر نفسك؟ قال : هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة ، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله ، فحرقه أحوج ما كان إليه » اهـ (٢) .

وسؤال عمر له مع الصحابة عن تفسير قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » وجوابه بالجواب المشهور عنه ، يدل على أن ابن عباس كان يستخرج خفى المعانى التى يشير إليها القرآن ، ولا يدركها إلا من نفحه الله بنفحة من روحه . وكثيراً ما ظهر ابن عباس فى المسائل المعقدة فى التفسير بمظهر الرجل الملهم الذى ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، كما وصفه على رضى الله عنه ، الأمر الذى جعل الصحابة يقدرون ابن عباس ويثقون بتفسيره ولقد وجد هذا التقدير صداه فى عصر التابعين فكانت هناك مدرسة يتلقى تلاميذها التفسير عن ابن عباس ، استقرت هذه المدرسة بمكة ، ثم غذت بعلمها الأمصار المختلفة ، وما زال تفسير ابن عباس يلقى من المسلمين إعجابا وتقديراً ، إلى درجة أنه إذا صح النقل عن ابن عباس لا يكادون يعدلون عن قوله إلى قول آخر ، وقد صرح الزركشى بأن قول ابن عباس مقدم على قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم فى التفسير (١) .

رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب :

كان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير ، يرجعون فى فهم معانى القرآن إلى ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر والاجتهاد ، مع الاستعانة فى ذلك بمعرفة أسباب النزول والظروف والملابسات التى نزل فيها القرآن ، وكان رضى الله عنه يرجع إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم ، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل فى كثير من المواضع التى أجملت فى القرآن وفصلت فى التوراة أو الإنجيل ، ولكن كما قلنا فيما سبق إن الرجوع إلى أهل الكتاب كان فى دائرة محدودة ضيقة ، تتفق مع القرآن وتشهد له ، أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن ، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية . فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به .

(١) الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٢) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ٤٧ .

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اتهامات مردودة :

نجد فى كتاب (المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن) اتهام مؤلفه (جولد زيهر) لابن عباس بتوسعه فى الأخذ عن أهل الكتاب ، مخالفا ما ورد من النهى عن ذلك فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) ونرى أن نذكر عبارة المؤلف بنصها ، ليتضح مبلغ اتهامه لابن عباس ، ثم نرد عليه بعد ذلك . قال : (وكثيراً ما يذكر أنه فيما يتعلق بتفسير القرآن ، كان - أى ابن عباس - يرجع إلى رجل يسمى أبا الجلد غيلان بن فروة الأزدى ، الذى أثنى الناس عليه بأنه كان يقرأ الكتب ، وعن ميمونة ابنته أنها قالت : كان أبى يقرأ القرآن فى كل سبعة أيام ، ويختم التوراة فى ستة ، يقرؤها نظرا ، فإذا كان يوم ختمها حشد لذلك ناس ، وكان يقول : كان يقال تنزل عند ختمها الرحمة . وهذا الخبر المبالغ فيه من ابنته يمكن أن يبين لنا مكان الأب فى الاستفادة من التوراة .

ومن بين المراجع العلمية المفضلة عند ابن عباس ، نجد أيضا كعب الأحبار اليهودى ، وعبد الله بن سلام ، وأهل الكتاب على العموم ، ممن حذر الناس منهم ، كما أن ابن عباس نفسه فى أقواله حذر من الرجوع إليهم ، ولقد كان إسلام هؤلاء عند الناس فوق التهمة والكذب ، ورفعوا إلى درجة أهل العلم الموثوق بهم ، ولم تكن التعاليم الكثيرة التى أمكن أن يستقيها ابن عباس ، والتى اعتبرها من تلك الأمور التى يرجع فيها إلى أهل هذا الدين الآخر ، مقصورة على المسائل الإنجيلية والإسرائيلية ، فقد كان يسأل كعبا عن التفسير الصحيح لآى القرآن وللرجلان مثلا ، وقد رأى الناس فى هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم - على العموم - فى القرآن وفى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما فيهما من المسائل الدينية ، ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد - من كل جهة - من سؤالهم) اهـ (١)

هذه هى عبارة الأستاذ جولد زيهر فى كتابه ، ومنها يتضح لنا مبلغ تجنيه على الصحابة وعلى ابن عباس على الأخص .

وقد تابعه الأستاذ احمد أمين على هذا الرأى ، حيث يقول فى فجر الإسلام : (وقد دخل بعض هؤلاء اليهود فى الإسلام ، فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار ،

---

(١) المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن ص ٦٥ — ٦٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ودخلت فى تفسير القرآن يستكملون بها الشرح ، ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم . روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، ولكن العمل كان على غير ذلك ، وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم) اهـ (١) .

فالأستاذ جولدزيهر ، والأستاذ أحمد أمين يريان أن الصحابة - وبخاصة ابن عباس - لم يأبهوا لنهى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصدقوا أهل الكتاب وأخذوا عنهم الكثير فى التفسير ، وأن اللون اليهودى قد صبغ مدارس التفسير القديمة ، وبالأخص مدرسة ابن عباس ، بسبب اتصالهم بمن دخل فى الإسلام من أهل الكتاب .

رد هذا الاتهام :

والحق أن هذا غلو فى الرأى ، وبعد عن الصواب ، فابن عباس - كما قلت آنفا - وغيره من الصحابة ، كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ، ولكن لم يكن سؤالهم عن شىء يمس العقيدة ، أو يتصل بأصول الدين أو فروعه ، وإنما كانوا يسألون أهل الكتاب عن بعض القصص والأخبار الماضية ، ولم يكونوا يقبلون كل ما يروى لهم على أنه صواب لا يتطرق إليه شك . بل كانوا يحكمون دينهم وعقلهم ، فما اتفق مع الدين والعقل صدقوه ، وما خالف ذلك نبذوه . وما سكت عنه القرآن واحتمل الصدق والكذب توقفوا فيه . وبهذا المسلك يكون الصحابة - رضوان الله عليهم - قد جمعوا بين قوله عليه الصلاة والسلام : (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) وقوله : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) فإن الأول محمول على ما وقع فيهم من الحوادث والأخبار . لما فيها من العظة والاعتبار ، بدليل قوله بعد ذلك : « فإن فيهم أعاجيب » . والثانى محمول على ما إذا كان المخبر به من قبلهم محتملا ، ولم يقم دليل على صدقه ولا على كذبه ؛ لأنه ربما كان صدقا فى نفس الأمر فيكون فى التكذيب به حرج ، وربما كان كذبا فى نفس الأمر فيكون فى التصديق به حرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، كما أفاده ابن حجر ونبه عليه الشافعى رضى الله عنه (١)

ثم كيف يستبيح ابن عباس رضى الله عنه لنفسه أن يحدث عن بنى إسرائيل بمثل هذا

(١) خير الإسلام ص ٢٤٨ .

(١) فتح البارى جـ ٨ ص ١٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التوسع الذي يجعله مخالفاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان ابن عباس نفسه من أشد الناس نكيراً على ذلك ، فقد روى البخاري في صحيحه عنه أنه قال : (يا معشر المسلمين : تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله ، تقرءونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا « هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا »(١) أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلتهم ، ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم ؟) اهـ (٢) .

رجوع ابن عباس إلى الشعر القديم :

كان ابن عباس رضي الله عنه يرجع في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن إلى الشعر الجاهلي ، وكان غيره من الصحابة يسلك هذا الطريق في فهم غريب القرآن ، ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم ؛ ليستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى في الآية (٤٧) من سورة النحل : « أو يأخذهم على تخوف » ، فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له : هذه لغتنا . التخوف : التنقص ، فيقول له عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ فيقول له : نعم ، ويروي قول الشاعر :

تخوف الرحل منها تامكا قرداً
كما تخوف عود النبعة السفن

فيقول عمر رضي الله عنه لأصحابه : عليكم بديوانكم لا تضلوا ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ؛ فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم » (١) .

غير أن ابن عباس ، امتاز بهذه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره ، فكثيراً ما كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر ، وقد روي عنه الشيء الكثير من ذلك ، وأوعب ما روي عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها ؛ وقد بلغت مائتي مسألة ، أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء ، وأخرج الطبراني بعضها الآخر في معجمه الكبير ، وقد ذكر السيوطي في الإتقان بسنده مبدأ هذا الحوار الذي كان بين نافع وابن عباس ، وسرد مسائل ابن الأزرق

(١) القصة في الموافقات ج ٢ ص ٨٨ وليس فيها ما يعارض ما جاء عن عمر من أنه لما سأل عن الأب رجع إلى نفسه وقال : إن هذا لهو التكلف يا عمر ، لأن الآية التي معنا يتوقف فهم معناها على معرفة معنى التخوف ، بخلاف الآية الأخرى فإن المعنى الذي يراد منها لا يتوقف على معرفة معنى الأب .

(١) في الآية ٧٩ من سورة البقرة .

(٢) البخاري في كتاب الشهادات ج ٥ ص ١٨٥ من فتح الباري .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأجوبة ابن عباس عنها . فقال : « بينا عبد الله ابن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع ابن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا . وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال عزين »(١) قال : العزون : حلق الرفاق . قال : هل تعرف العرب ذلك ؟ . قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

جاءوا يهرعون إليه حتى
يكونوا حول منبره عزينا ؟

قال أخبرني عن قوله : « وابتغوا إليه الوسيلة »(٢) . قال : الوسيلة : الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عنترة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة
إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

إلى آخر المسائل وأجوبتها (٣) ، وهي تدل على قوة ابن عباس في معرفته بلغة العرب ، وإلمامه بغريبها ، إلى حد لم يصل إليه غيره ، مما جعله - بحق - إمام التفسير في عهد الصحابة ، ومرجع المفسرين في الأعصر التالية للعصر الذي وجد فيه ، وزعيم هذه الناحية من التفسير على الخصوص ، حتى لقد قيل في شأنه : (إنه هو الذي أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن) (١) .

هذا وقد بين لنا ابن عباس رضي الله عنه ، مبلغ الحاجة إلى هذه الناحية في التفسير ، وحض عليها من أراد أن يتعرف غريب القرآن ، فقد روى أبو بكر بن الأنباري عنه أنه قال : (الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه (٢) » .

وروى ابن الأنباري عنه أيضا أنه قال : « إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب (٣) » .

فابن عباس رضي الله عنه كان يرى رأي عمر في ضرورة الرجوع إلى الشعر الجاهلي ، للاستعانة به على فهم غريب القرآن ، بل كان أكثر الصحابة إلماما بهذه الناحية وتطبيقا لها .

---

(١) الآية ٣٧ من سورة المعارج .
(٢) الآية ٣٥ من سورة المائدة .
(٣) ص ١٢٠ من الإتقان ج ١ .

(١) المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ص ٦٩ .
(٢) الإتقان ج ١ ص ١١٩ .
(٣) الإتقان ج ١ ص ١١٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد استمرت هذه الطريقة إلى عهد التابعين ومن يليهم ، إلى أن حدثت خصومة بين متورعي الفقهاء وأهل اللغة ، فأنكروا عليهم هذه الطريقة ، وقالوا : إن فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن [١] ، وقالوا : كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن ، وهو مذموم في القرآن والحديث ؟ .

والحق أن هذه الخصومة التي حدثت في الأجيال المتأخرة لم تقم على أساس ، فالأمر ليس كما زعمه أصحاب هذا الرأي ، من جعل الشعر أصلا للقرآن ، بل هو في الواقع ، بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر ، لأن الله تعالى يقول « إنا جعلناه قرآنا عربيا [٢] » . وقال « بلسان عربي مبين » [٣] ولهذا لم يتحرج المفسرون إلى يومنا هذا من الرجوع إلى الشعر الجاهلي للاستشهاد به على المعنى الذي يذهبون إليه في فهم كلام الله تعالى .

الرواية عن ابن عباس وصلتها بالصوفية :

روي عن ابن عباس رضي الله عنه في التفسير مالا يحصى كثرة ، وتعددت الروايات عنه ، واختلفت طرقها . فلا تكاد تجد آية من كتاب الله تعالى إلا ولابن عباس رضي الله عنه فيها قول أو أقوال . الأمر الذي جعل نقاد الأثر ورواة الحديث يقفون إزاء هذه الروايات التي جاوزت الحد وفقة المرتاب ، فتتبعوا سلسلة الرواة فعدلوا العدول ، وجرحوا الضعفاء ، وكشفوا للناس عن مقدار هذه الروايات قوة وضعفا . وأرى أن أسوق هنا أشهر الروايات عن ابن عباس ، ثم أبين مبلغها من الصحة أو الضعف ، لنعلم إلى أي حد وصل الوضع والاختلاق على ابن عباس رضي الله عنه . وهذه هي أشهر الطرق :

أولها : طريق معاوية بن صالح ، عن علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وهذه هي أجود الطرق عنه ، وفيها قال الإمام أحمد رضي الله عنه « إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيراً [١] » . وقال الحافظ ابن حجر (. . وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وهي عند البخاري عن أبي صالح ، وقد اعتمد عليها في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس [٢]) .

وكثيراً ما اعتمد على هذه الطريق ابن

(١) ومن هؤلاء الإمام النيسابوري صاحب التفسير المشهور وقد صرح بذلك في مقدمة تفسيره جـ ١ ص ٦ .
(٢) الآية ٣ من سورة الزخرف .
(٣) « ١٩٥ من سورة الشعراء .

(١) الإتقان جـ ٢ ص ١٨٨ .
(٢) الإتقان جـ ٢ ص ١٨٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جرير الطبرى ، وابن أبى حاتم ، وابن المنذر ، بوسائط بينهم وبين أبى صالح ومسلم صاحب الصحيح وأصحاب السنن جميعا يحتجون بعلى ابن أبى طلحة .

طعن بعض النقاد على هذه الطريق :

ولقد حاول بعض النقاد أن يقلل من قدر هذه الطريق فقال (إن ابن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير) [1] وعلى هذا فهى طريق منقطعة لا يركن إليها ، ولا يعول عليها .

وقد استغل هذا القول الأستاذ جولد زيهر فى كتابه (المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن) فقال : (صرح النقدة المسلمون بأن ذلك الرجل - على بن أبى طلحة - لم يسمع التفسير الذى تضمنه كتابه مباشرة من ابن عباس وهكذا فإنه حتى فى صحة القسم الخاص بالتفسير الأكثر تصديقاً ، يحكم النقدة المسلمون بهذا الحكم فيما يتعلق بصحة نسبته لابن عباس على أنه هو المصدر الأول له)[2] .

تفنيد هذا الطعن :

ويظهر لنا أن الأستاذ جولد زيهر ، جهل أو تجاهل ما رد به النقاد المعتبرون على هذا الطعن الذى لا قيمة له ، فقد فند ابن حجر هذا النقد بقوله : (بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير فى ذلك) [1] وقال صاحب إيثار الحق (وقال الذهبى فى الميزان : وقد روى - يعنى على بن أبى طلحة - عن ابن عباس تفسيراً كثيراً ممتعا . والصحيح عندهم أن روايته عن مجاهد عن ابن عباس ، وإن كان يرسلها عن ابن عباس فمجاهد ثقة يقبل)[2] . وجملة القول : فهذه أصح الطرق فى التفسير عن ابن عباس ، وكفى بتوثيق البخارى لها واعتماده عليها شاهداً على صحتها .

ثانيها : طريق قيس بن مسلم الكوفى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، وكثيرا ما يخرج منها الفريابى والحاكم فى مستدركه .

ثالثها : طريق ابن إسحق صاحب السير ، عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وهى طريق جيدة وإسنادها حسن ، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم كثيراً ، وأخرج الطبرانى منها فى معجمه الكبير .

رابعها : طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير ، تارة عن أبى مالك ، وتارة

---

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ .
(٢) ص ٧٧ .

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ .
(٢) إيثار الحق ص ١٥٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن أبي صالح عن ابن عباس ، وإسماعيل السدى مختلف فيه ، وحديثه عند مسلم وأهل السنن الأربعة . وهو تابعي شيعي [1] . وقال السيوطي (روى عن السدى الأئمة مثل الثوري وشعبة ، لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر ، وأسباط لم يتفقهوا عليه ، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدى [2]) . وابن جرير يورد في تفسيره كثيراً من تفسير السدى عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس ، ولم يخرج منه ابن أبي حاتم شيئا ، لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد .

خامسها : طريق عبد الملك بن جريج ، عن ابن عباس ، وهي تحتاج إلى دقة في البحث ، ليعرف الصحيح منها والسقيم ، فإن ابن جريج لم يقصد الصحة فيما جمع ، وإنما روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم ، فلم يتميز في روايته الصحيح من غيره وقد روى عن ابن جريج هذا جماعة كثيرة . منهم بكر ابن سهل الدمياطي ، عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن محمد عن ابن جريج عن ابن عباس ، وراوية بكر بن سهل أطول الروايات عن ابن جريج وفيها نظر . ومنهم محمد بن ثور عن ابن جريج ، عن ابن عباس روى ثلاثة أجزاء كبار . ومنهم الحجاج بن محمد عن ابن جريج ، روى جزءاً وهو صحيح متفق عليه .

سادسها : طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي عن ابن عباس ، وهي غير مرضية ، لأنه وإن وثقه نفر فطريقه إلى ابن عباس منقطعة لأنه روى عنه ولم يلقه ، فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، فضعيفة لضعف بشر ، وقد أخرج من هذه النسخة كثيراً ابن جرير وابن أبي حاتم . وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفا ، لأن جويبرا شديد الضعف متروك . ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذه الطريق شيئا ، إنما خرجها ابن مردويه ، وأبو الشيخ بن حبان .

سابعها : طريق عطية العوفي عن ابن عباس ، وهي غير مرضية ، لأن عطية ضعيف ليس بواه . وربما حسن له الترمذي . وهذه الطريق قد أخرج منها ابن جرير ، وابن أبي حاتم كثيراً .

ثامنها : طريق مقاتل ابن سليمان الأزدي الخراساني ، وهو المفسر الذي ينسب إلى الشافعي أنه قال فيه : (إن الناس عيال عليه في التفسير) [1] ومع ذلك فقد ضعفوه . وقالوا إنه روى عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منهما . وقد كذبه غير واحد ، ولم يوثقه

(١) إيثار الحق ص ١٥٩ .
(٢) الإتقان ج ٢ ص ١٨٨ .

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٦٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أحد ، واشتهر عنه التجسيم والتشبيه (١) ، وتكلم عنه السيوطي فقال : (إن الكلبي يفضل عليه لما في مقاتل من المذاهب الردية (٢) وقد سئل وكيع عن تفسير مقاتل فقال : (لا تنظروا فيه . فقال السائل : ما أصنع به ؟ قال ادفنه - يعني التفسير -) (٣) وقال أحمد بن حنبل : لا يعجبني أن أروي عن مقاتل بن سليمان شيئا (٤) . وبالجملة فإن من استحسن تفسير مقاتل كان يضعفه ويقول « ما أحسن تفسيره لو كان ثقة » (٥) .

تاسعها : طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، وهذه أوهى الطرق والكلبي مشهور بالتفسير ، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع كما قال ابن عدي في الكامل ، ومع ذلك فإن وجد من قال : رضوه في التفسير ، فقد وجد من قال : أجمعوا على ترك حديثه ، وليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، واتهمه جماعة بالوضع . وممن يروي عن الكلبي ، محمد بن مروان السدي الصغير ، وقد قالوا فيه : إنه يضع الحديث ، وذاهب الحديث متروك . ولهذا قال السيوطي في الإتقان « فإن انضم إلى ذلك - أي إلى طريق الكلبي - رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب » (١) ، وقال السيوطي أيضا في كتابه الدر المنثور ج ٦ ص ٤٢٣ « الكلبي : اتهموه بالكذب وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه : كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب ، ومع ضعفه الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد ضعفاً ، وهو محمد بن مروان السدي الصغير » وكثيراً ما يخرج من هذه الطريق الثعلبي والواحدي .

هذه هي أشهر الطرق عن ابن عباس ، صحيحها وسقيمها ، وقد عرفت قيمة كل طريق منها ، ومن اعتمد عليها فيما جمع من التفسير عن ابن عباس رضي الله عنه .

التفسير المنسوب إلى ابن عباس وقيمته :

هذا ، وقد نسب إلى ابن عباس رضي الله عنه جزء كبير في التفسير ، وطبع في مصر مراراً باسم « تنوير المقباس من تفسير ابن عباس » . جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشافعي ، صاحب القاموس المحيط ، وقد اطلعت على هذا التفسير ، فوجدت جامعه يسوق عند الكلام عن البسملة الرواية عن ابن عباس بهذا السند « أخبرنا

---

(١) إيثار الحق ص ٥٠٦ .
(٢) الإتقان ج ٢ ص ١٨٩ .
(٣) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ١١١ .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ١١١ .
(٥) التفسير - معالم حياته - منهجه اليوم ص ٩ .

(١) الإتقان ج ٢ ص ١٨٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عبد الله الثقة بن المأمون الهروى ، قال : أخبرنا أبى . قال : أخبرنا أبو عبد الله محمود ابن محمد المروزى . قال : أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروى . قال . أخبرنا على بن إسحق السمرقندى ، عن محمد بن مروان ، عن الكلبي . عن أبي صالح ، عن ابن عباس » . وعند تفسير أول البقرة ، وجدته يسوق الكلام بإسناده إلى عبد الله بن المبارك ، قال حدثنا على بن إسحق السمرقندى عن محمد بن مروان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . وفى مبدأ كل سورة يقول : وبإسناده عن ابن عباس .

... وهكذا يظهر لنا جلياً ، أن جميع ما روى عن ابن عباس فى هذا الكتاب يدور على محمد بن مروان السدى الصغير ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وقد عرفنا مبلغ رواية السدى الصغير عن الكلبي فيما تقدم . وحسبنا فى التعقيب على هذا ما روى من طريق ابن عبد الحكم قال : « سمعت الشافعى يقول : لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث [1] . وهذا الخبر - إن صح عن الشافعى - يدلنا على مقدار ما كان عليه الوضاعون من الجرأة على اختلاق هذه الكثرة من التفسير المنسوبة إلى ابن عباس ، وليس أدل على ذلك ، من أنك تلمس التناقض ظاهراً بين أقوال فى التفسير نسبت إلى ابن عباس وأخرى رويت عنه . ويمكن أن يقال - إن هذا التفسير المنسوب إلى ابن عباس لم يفقد شيئاً من قيمته العلمية فى الغالب . وإنما الشيء الذى لا قيمة له فيه ، هو نسبته إلى ابن عباس .

أسباب الوضع على ابن عباس :

ويبدو أن السر فى كثرة الوضع على ابن عباس ، هو أنه كان من بيت النبوة والوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وقوة أكثر مما لو وضع على غيره . أضف إلى ذلك أن ابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون ، وكان من الناس من يتزلف إليهم ، ويتقرب منهم بما يروونه لهم عن جدهم ... وربما نعرض لأسباب الوضع فى التفسير ، وإلى القيمة العلمية للتفسير الموضوع بصرف النظر عن وضعه ، فى مناسبة قريبة ، إن شاء الله تعالى .

محمد حسين الذهبي

(١) الإتقان جـ ٢ ص ١٨٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام واللغة العربية
فى مستقبل إفريقيا الجديدة

للأستاذ محمود الشرقاوى

١ — منذ كتبنا مقالنا : « الدين والقومية فى إفريقيا الجديدة »(١) ونحن نجد فى كل يوم مظهراً جديداً من مظاهر الحياة الجديدة فى هذه القارة الجديدة : مظاهر الحياة التى تتطلع فيها شعوب هذه القارة وزعماؤها وحكوماتها إلى مستقبل حر قوى كريم .

ففى هذه الفترة — على قصرها — نالت نحو عشرين دولة فى هذه القارة استقلالها ، ودخل أكثرها مجموعة الدول العالمية فى هيئة الأمم المتحدة . وزار كثير من زعماء هذه الدول التى نالت استقلالها بلادا كثيرة شرقية وغربية . عربية وغير عربية ، يعملون لتوطيد هذا الاستقلال الذى نالته بلادهم ، ويسعون إلى مغانم جديدة يحققونها لأوطانهم ، ويوثقون الصلات والروابط بين حكوماتهم وشعوبهم وبين أكبر مجموعة من الدول ، وبخاصة تلك التى تستطيع أن تمد يد العون المخلص لهذه الدول الإفريقية الناشئة .

هذه الدول الجديدة وشعوبها ، لم تنل استقلالها بثمن هين . ولم يخرج منها الاستعمار الغربى الشرير مخرجا سهلا . بل خرج منها مرغما مقهورا . فقد كان هؤلاء المستعمرون يخلصون لكلابهم وخيولهم وحيواناتهم ويعطفون عليها ويطعمونها ويدللونها أكثر مما يخلصون للآدميين من أهل هذه البلاد الإفريقية ويعطفون عليهم ويطعمونهم . وقد نشرت الأنباء والصحف حديثا عجيبا أدلى به متحدث رسمى فى مجلس اللوردات البريطانى يدل على قيمة الإنسان الإفريقى عند هؤلاء المستعمرين :

تحدث لورد موم قبل أسابيع فى هذا المجلس فقال : إنه « اشترى » رجلا فى السنة الماضية من إحدى مناطق الصحراء الكبرى التى تسيطر عليها فرنسا . وكان ثمنه سبعة وثلاثين جنيها وعشرة شلنات . . ! وكان غرضه من هذه الصفقة أن يثبت أن تجارة الرقيق ماتزال تمارس فى المناطق الخاضعة لفرنسا .

وقال لورد موم إن العبد « إبراهيم » كان جاثما كالكلب عند أقدام بائعه : « ميخائيل » . ثم انتقل فجثم عند قدمى اللورد ، بعد إتمام الصفقة . . ! وهذه شهادة مسئول إنجليزى كبير عن الدولة الصديقة لإنجلترا : فرنسا .

---

(١) عدد صفر ، ٣٨ ، من هذه المجلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونشرت الأنباء والصحف يوم ذاك تقريراً لهيئة الأمم المتحدة يقول إن المتاجرة الإفريقية يباع فيها فى كل شهر خمسة آلاف من الرجال والنساء والأطفال . ثم يرتب أكثرهم فى حراسة القوافل المسلحة إلى خارج القارة .

٢ — هذه القارة البكر التى خرج منها الاستعمار الغربى مرغما مقهوراً ، ستجد دولها الجديدة صعوبات كثيرة ، بل متاعب وعناً ، فى سبيل الحفاظ على استقلالها ، وفى أن تقيم لأبنائها حياة كريمة حرة مستقرة . وهى ، لذلك ، تتطلع إلى صديقاتها من الدول الإفريقية بخاصة ، تطلب إليها العون . ومن حقها أن تطلب وأن تجاب ، على أسس حكيمة مدروسة واعية .

وقد قلنا فى مقالنا السابق نحدد بعض السبل لهذا العون : (... السبيل — أو أوضح السبل — لذلك ، ندركه من حديث مسئول فى جمهوريتنا العربية عاد من الحج هذا العام فقال من حديث له : « إن شعورى بعد عودتى أن للإسلام جولة أخرى فى معركة الحرية العالمية . وأن كتائب حجاج إفريقيا ، التى زحفت إلى بيت الله الحرام ماشية على الأقدام ، تمثل طلائع هذا النصر . بل إنها تمثل العرب فى مستهل فجر الإسلام . إن طريقنا الرئيسى أصبح واضح المعالم . وعلينا أن نبعث إليهم بكتاب الله الكريم فى أيسر تفسير (١) يحمل شحنات من القوى الروحية المباركة التى تدفع عن هؤلاء العالقة الذين يفد منهم على الحجاز سنوياً ٢٠ ألف حاج من نيجيريا وحدها) .

هذا ما قلناه فى مقالنا الماضى عن السبيل الذى نستطيع به أن نعين هذه الدول الإفريقية الجديدة وأن نسدد خطاها وهى تتطلع إلى المستقبل .

ولكى ندرك بعض ما يحيط بسبيلنا هذه من المؤثرات والمعوقات نعرض بعض الحقائق المحيطة بهذه الدول ، وما يتناوشها من التيارات .

٣ — بعض هذه الحقائق أن الدول التى كانت تستعمر هذه الشعوب ، ثم خرجت منها مرغمة مقهورة ، تركت هذه الدول على حال من البلبلة والجهل والفساد بحيث لا تستطيع أن تستقيم لها حياة إلا بعد فترة طويلة من السنين . وقصدت هذه الدول الاستعمارية أن تتعثر دول إفريقيا الجديدة فى سيرها وأن تلتوى بها المسالك ، حتى يسيطر عليها الشعور بالعجز ، والإحساس بأنها فى حاجة لمعونة الدول التى كانت تستعمرها . لا تستطيع أن تستغنى عن إرشادها وتوجيهها ، فيعود من النافذة من خرج من الباب ، كما يقول المثل الأوربى .

(١) أقول : وأكثره سدادا وحكمة وفهما وإخلاصا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ترك الاستعمار الفرنسى غينيا ولغتها فرنسية . وليس فيها تعليم جامعى ولا فنى ولا ثقافى . حتى أن معظم الوزراء ، فى عهد استقلالها الجديد ، غير حاصلين على تعليم جامعى .

«قبل الاستقلال ، كانت فرنسا - باختصار - هى كل شىء ، هى الحكومة وهى الاقتصاد ، وهى الدولة والثقافة .

كان الاقتصاد الغينى فى يد مجموعة من الشركات الاستغلالية الفرنسية وبعض الشركات الزراعية الفرنسية أيضا » .

هذا مثل . وقد ضربنا فى مقالنا السابق أمثلة أخرى .

وبعض هذه الحقائق أن الاستعمار الغربى قصد ، عن تعمد وإلحاح ومثابرة ، أن يمحو عن البلاد الإفريقية التى دخلها الإسلام ودخلتها اللغة العربية ، قصد ، عن تعمد وإلحاح ومثابرة ، أن يمحو عن هذه البلاد صبغتها هذه الإسلامية والعربية . فالبلد الذى عرفه الناس قبل قرون باسم عربى هو (مالى) وزاره ابن بطوطة وسماه بهذا الإسم وتحدث عن الإسلام فيه ، هذا البلد المسلم العربى يسميه الاستعمار : (غانا الفرنسية) و (السنغال الفرنسى) . والبلد الذى عرفه الناس قبل قرون باسم عربى هو (غانا) يسميه المستعمرون : (ساحل الذهب) ، لأنهم لا يعرفون من هذا البلد إلا ذهبه وخيره وأسلابه وحطامه .

حتى أسماء الأحياء من الناس والزعماء ، يمحون عنها صبغتها العربية ، ويحيلونها إلى صبغة أوربية :

فالزعيم الإفريقى (سيكوتورى) زعيم غينيا إسمه العربى - أو لقبه - (شيخ الطريقة) فتحولت كلمة : شيخ إلى (سيك) وكلمة : طريقة إلى (تورى) . والزعيم الآخر : (سيف الله ضياء الله) رئيس الجمعية الوطنية فى غينيا يتحول اسمه إلى (سيفولا ديالو) . والزعيم النيجيرى : (أبو بكر أبو عليوه) يتحول إلى : (أبو بكر باليوا) . ورئيس وزراء السنغال المسلم : (محمد ضياء) . يمسخ اسمه إلى (ماما دو ديا) . ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية (أحمد سراج الدين) يمحى عنه هذا الاسم المشرق ، فيصبح (آمادو سردونا) . ورئيس جمهورية مالى ، التى تعيش فيها أكثرية مسلمة : المؤدب كيتا ، يصير (موديبا كيتا) . وهكذا يصنع الاستعمار الغربى ببلاد إفريقيا ليقطع صلتها بماضيها ويفقدها شعور الثقة والعزة الذى توجده عراقة الأصل والأرومة والدين . وليربط حياتها وإحساسها به وحده .

ولو أن هذا الاستعمار أبقى لهذه الشعوب

لغـــة دينها ـ العربية ـ لما صارت أسماء زعمائها وألقابهم إلى هذا المسخ .

هـذه السياسة الشريرة التي كانت الدول الأوربية تلتزمها وهي تستعمر إفريقيا ، وتسيطر عليها وتتحكم في حاضرها ومستقبلها : هذه السياسة الشريرة ، ما يزال الغرب مصرا عليها للمستقبل أيضا . يضع لها الخطط البعيدة ويرسم لها الخطوط ويحدد الأوضاع .

يتحدث العالم الأوربي عن « السوق الأوربية المشتركة » قبل شهور فيجعل إفريقيا من مجالات نشاطه وتخطيطه ، ويضع عليها نظره لتكون سوقا محتكرة لهذه الدول . والنفوذ الاقتصادي له ما بعده من النفوذ السياسي والعسكري والثقافي وغيرها من ألوان النفوذ .

وفي الكونغو عاد رجال الإرساليات المسيحية في أول من عاد بعد استرداد بلجيكا بعض نفوذها فيه .

وليست أوربا وحدها هي التي تجعل بلاد إفريقيا مجالا لنشاطها ومطامعها وتخطط لمستقبلها ونفوذها فيها . بل هناك أمريكا أيضا . ولأمور خاصة بأمريكا وأوضاع الملونين فيها ، تستعين بالدول الأوربية على بسط نفوذها على بلاد إفريقيا ، ويتعاون الشريكان الخصيمان المتوجسان على التمكين لهذا النفوذ . والحيلولة دون غيرهما ، ودون الاتصال بهذه الدول الإفريقية الجديدة . بما في ذلك الدول الإفريقية المستقلة ، التي هي أولى الدول بأن تلجأ إليها وتستعين بها في هذا السبيل .

وصحف أمريكا تعلن ذلك ولا تخفيه ، وهذا مثل مما كتبته في ذلك : (واليوم وقد نهضت أوربا من كبوتها الاقتصادية وصارت تعامل أمريكا معاملة الند للند صرفت أمريكا الشطر الأوفر من اهتمامها إلى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . على أن اهتمامها بإفريقيا له المكانة الأولى لأسباب سياسية استراتيجية ظاهرة . وفي ذلك يقول والتر ليبمان ، المعقب الأمريكي المعروف ، وهو يعرض لواجب التفاهم التام بين أمريكا وأوربا الغربية : « إن هذا التفاهم بين ندين هو أوجب ما يكون في إفريقيا ، إفريقيا الشمالية وإفريقيا الوسطى وإفريقيا الجنوبية . يلزمنا الاعتراف بأننا لا نستطيع أن نجري في إفريقيا على سياسة أمريكية مستقلة لأننا لا نزال بعيدين عن النجاح في حل المشكلة المتعلقة بمواطنينا المنحدرين من أصل إفريقي . لهذا السبب ، وهو سبب كاف وإن تكن هناك أسباب أخرى تضاف إليه ، يمكننا أن نمارس أعمال البر في إفريقيا ، لا أعمال السياسة) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن هذا لا يمنع أمريكا من أن تمارس « أعمال السياسة » عن طريق الدول الأوربية الغربية ، إما فرادى وإما جميعا . ونحن نعلم إذن ما تكون هذه السياسة .

وليست دول أوربا وأمريكا وحدها هي التي تحاول وتجاهد في أن تتسلل إلى إفريقيا الجديدة لتبسط عليها نفوذها مرة أخرى . بل هناك إسرائيل : الخطر الأكبر على العرب والإسلام .

ففي مذكرة أذاعتها الأمانة العامة الجامعة العربية أنه يوجد في أثيوبيا وأريتريا ٤٨٠ خبيراً إسرائيليا يعملون تحت ستار المعونات الفنية . وأن هؤلاء الخبراء الإسرائيليين « يعملون بهمة ظاهرة لتشتيت أكثر من عشرة ملايين من أصل عربي من موطنهم الأصلي المتاخم لبعض الدول العربية ، وكلما بدت معارضة أو تكتل ضد الصهيونيين كان مصير أصحابها السجون » . وذكرت مذكرة الأمانة العامة للجامعة عدة شركات صهيونية « تتحكم في الحياة الاقتصادية في هذين البلدين : أريتريا وأثيوبيا »(١) .

فإسرائيل إذن ، يساندها الاستعمار ويؤازرها ، تعمل وتجاهد لتسبق غيرها في التمكن من إفريقيا ، وسعيها هذا لا يذهب هباء ، كما نرى .

وإسرائيل تدرك ما يمكن أن تصل إليه الدعوة الإسلامية في دول إفريقيا المستقلة ، وما يمكن أن تتأثر به شعوبها إذا قامت هذه الدعوة على أسس سليمة مدروسة مثابرة حكيمة .

وإدراك إسرائيل لأثر هذه الدعوة وما يمكن أن تتأثر به شعوب هذه الدول منها ، يجعلها - أي إسرائيل - تبادر بنشر الدعوة الإسلامية - عن طريقها هي - بين هذه الشعوب . وليس هذا غريبا على خبث إسرائيل . لأنها تحقق به لنفسها مكاسب كبيرة من السهل إدراكها .

فقد نشرت الصحف أن إسرائيل ترسل إلى الدول التي استقلت حديثا في إفريقيا مدرسين يعلمون أبنائها الإسلام واللغة العربية وأن مدرسيها هؤلاء يشكلون خطراً غير قليل في بعض هذه البلاد ، ويمتد نفوذهم ، وبالتالي نفوذ دولتهم ، فيها ويستوغل . ونشرت الصحف أيضا أن إسرائيل بنت على نفقتها مسجداً في سيراليون أهدته لمسلميها . . !

فإسرائيل تدرك أن المستقبل في دول أفريقيا للإسلام واللغة العربية وأن هذا هو السبيل للتأثير على سكان تلك البلاد وكسب مودتهم والسيطرة على عواطفهم ، ثم التحكم بعد ذلك في مصائرهم . والدول الأوربية في ذلك من وراء إسرائيل . ولنا من ذلك عبرة واضحة .

---

(١) جريدة الأهرام : ١٤ نوفمبر ١٩٦١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٥ — ولكى ندرك الاحتمالات القائمة فى دول إفريقيا الجديدة نحو مستقبل الإسلام ، نذكر ما نشرته صحف القاهرة من أن أربعة آلاف فى جنوب السودان دخلوا فى الإسلام خلال أربعة شهور [١] وأن خمسين ألفاً فى تلك البلاد أسلموا قبل ذلك . منهم عشرون من السلاطين . وأسلم فى أسبوع واحد، ثلاثمائة وخمسون .

وقد تكون هذه الأرقام محتاجة إلى الدقة . ولكن الوضع فى إفريقيا كلها ، بلا شك ، لا يستنكر معه ذلك ولا يستبعد ، وكل الدلائل قائمة على صدقه ، كما هى قائمة على استمراره ودوامه .

وفى السطور التالية ننقل بعضا من تقرير يؤيد ذلك ويؤكده : « وجماعة التبشير الإسلامى والإصلاح بالسودان تضم ٣٠٠ عضو يدفع كل منهم اشتراكا سنويا قدره خمسة وعشرون قرشا ، وقد أصبح لها الآن مركز رئيسى فى الدلنج فى جبال النوبة غرب السودان يضم ٥ فروع فى هذه المنطقة ، و ٣ مراكز أخرى فى الجنوب فى مناطق « يای » و « كاجو كاجو » و « جوبا » .

ورغم ضآلة إمكانياتها المالية لقيت رسالتها إقبالا كبيراً من سكان المناطق المقفلة سواء فى المديريات الجنوبية أو فى جبال النوبة ، وقد اعتنق الإسلام على أيدى بعثات الجماعة أكثر من ٢٠ ألف نسمة ، معظمهم من مناطق جبال كرمتى . والنتل ، وكاركو ، وكندكرو ، وكندكير ، وضلنان ، وأبوصية ، والمندل ، والصبى ، والكاشة ، والشفر ، وكرره .

كما أسلم على يد بعثات الجماعة جميع تلاميذ منطقة سيلارا بالقرب من الدلنج .

وأنشأت الجماعة داراً فى أم درمان خصصتها لإيواء ٦٠ طالبا ممن أسلموا فى الجنوب ، وجاءوا لتلقى علومهم فى الخرطوم على نفقة الجماعة [١] » .

فإذا نظرنا إلى الناحية المقابلة نجد أن بعثة تبشيرية واحدة فى مساحة لا تزيد عن عشرة آلاف ميل مربع من « وسط أفريقيا — قد قامت فيها ٥٥٠ مدرسة ، و ٢٥٠ كنيسة .. فى حين أن عدد أتباعهم الذين استمالوهم فى هذه المنطقة لا يزيد على ١٨٠٠٠ وطنى ، أى بمعدل كنيسة لأقل من ٥٠ شخصا ، ومدرسة لأقل من ٢٥ شخصا . . ! [٢] » .

ومع هذا التباين الكبير فى الجهد والسعى والإنفاق ، نجد هذه النتيجة التى أسلفناها من انتشار الإسلام وتمكنه وشموله ، وهذا

(١) جريدة الأهرام : ٢٩ مايو سنة ١٩٦٠

(١) جريدة الأهرام : ١٣ فبراير ١٩٦١ .

(٢) نقلا عن مجلة [تيم] الأمريكية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمر طبيعي لأسباب أهمها طبيعة الإسلام نفسه ، ثم تليها طبيعة الأوضاع في دول إفريقيا المستقلة نفسها ، فبعض هذه الدول للإسلام فيها السيادة والقيادة . وبعضها يجد فيه الرجاء والأمل .

٦ — وقد زار صحفي عربي جمهورية الصومال قبل شهور ، فكان مما كتب عن شعبها وعقيدته وإيمانه مايلي :

« وأهل الصومال مسلمون متعصبون لدينهم بدرجة كبيرة . والواحد منهم يبدأ حياته الدراسية دائما بحفظ القرآن ، مهما كان مركزه ومهما كان مستقبله . ولقد حاولت بعثات التبشير هناك أن تحارب هذا بإمكانيات ضخمة . بل إنها لجأت إلى إنشاء دار ضخمة ليقيم فيها الأطفال ، ويتعلموا مجانا مقابل أن تستطيع أن تخرجهم من الإسلام للمسيحية . ولكنها لم تفلح ، ولعل البلد الوحيد في إفريقيا الذي سجلت فيه البعثات التبشيرية فشلا ذريعا هو الصومال . ولقد رأيت عددا كبيرا من الصوماليين يبدأ من سن العشرين في اقتصاد مبلغ من المال كل عام ليحج بيت الله الحرام »[1] .

وما يزال شعب الصومال يتبع التقويم العربي في توقيته اليومي ، أي أن « النهار » يبدأ عندهم من طلوع الشمس .

فعندما يتطلع شعب الصومال هذا إلى معونة الجمهورية العربية المتحدة — وقد تطلع فعلا — لكي تعينه في ثقافته وتعليمه ، فإلى أي مكان من هذه الجمهورية العربية يتطلع ؟

وعندما يستعين شعب الجمهورية الصومالية — وهذا مبلغ تمسكه بالعقيدة وحرصه على حفظ القرآن وتعليم الدين — عندما يطلب هذا الشعب العون على تعليم أبنائه ما يريد لهم أن يتعلموا ويحفظوا ، فأي الهيئات هي التي تستطيع أن تلبي حاجته تلك وحاجة أبنائه ..؟

الجواب واضح بين .

وقد تنبأت جريدة بريطانية واسعة الانتشار هي صحيفة « سكوتسمان » بأن جميع المستعمرات والبلاد الهامة في إفريقيا ستنال استقلالها قبل سنة ١٩٦٥ . وقد يكون ذلك أقرب من هذا الأجل القريب . ونقول نحن إن بلادا كثيرة من هذه المستعمرات الإفريقية سيكون الوضع فيها بعد الاستقلال شبيها بهذا الذي نراه الآن في الصومال ، أو قريبا منه .

ومن قبل تحدث سفير السنغال في القاهرة فقال إن شعب بلاده هو أقرب الشعوب الإفريقية للعرب ، وأن كثيرين من أهله يعرفون اللغة العربية وأنه هو نفسه — السفير — يقول الشعر العربي ، ويحفظ للمتنبي وشوقي والبوصيري . واسم هذا السفير : « التيجاني » ومن هذا الاسم نعرف أنه مسلم ، بل هو

[١] الأستاذ أحمد زين : جريدة الأخبار في ٩ مايو سنة ١٩٦١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« شيخ طريقة » التيجانية ، وكان أبوه شيخا لها وزعيما روحيا تلقى العهد على يديه أربعمائة ألف سنغالى ، من ثلاثة ملايين .

وهذه حقائق يجب أن تدخل فى الاعتبار ونحن نتحدث عن الإسلام والعربية فى مستقبل الدول الإفريقيـــة المستقلة ، وما يمكن ، بل مايجب ، أن تفيـده من ذلك لديننا ولغتنا .

وقد زار القاهرة قبل شهور زعيم من زعماء المسلمين فى كينيا : هو الشيخ على سنيدى ، رئيس اتحاد المسلمين فيها . وتحدث هذا الزعيم المسلم عن بلاده ووضع الإسلام فيها ، وفى هذا الحديث نجد عبرة تفيدنا فيما نحن بسبيله من حديث الإسلام فى إفريقيا :

يقول الشيخ سنيدى إن المهاجرين الأولين من المسلمين ـ العرب والفرس ـ الذين دخل الإسلام إفريقيا معهم ، كان أول شىء فعلوه هو تعليم مبادئ الإسلام وأصوله لأبنائهم . وتحفيظ القرآن لصغارهم ، وكبارهم ، رجالا ونساء ، وصبيانا وفتيات . حتى لا يوجد فى سواحل كينيا من لم يحفظ القرآن ويكتبه ، فحفظ القرآن ودراسته إذن ، حملهم عن التعلم والتعليم ، وأزال عنهم الجهل والأمية ، وعلمهم الحرص على اللغة العربية .

ثم جاء العصر الحديث ، عصر الاستعمار الغربى والغزو الصليبى ، فتعرض الإسلام فى كينيا (لأكبر دعاية مستأصلة له) ـ أى تريد أن تستأصل الإسلام من تلك البلاد . وشرح الزعيم الكينى وسائل الاستعمار والصليبية فى ذلك .

ثم ننتقل إلى الوضع فى (غانة) فنجد فيها مليونين من المسلمين ، أى ثلث سكانها . ونجد اللغة العربية فيها تزاحم الإنجليزية ، فهما اللغتان الدائعتان ، على رغم ما تجد العربية من عنت ومعاندة ، وتجـــد الإنجليزية من معونة ومساندة . ونجد فى كبرى مدنها : كوماسى مسجداً على طراز عربى يسع عشرة آلاف مصل .

وفى نيجيريا نجد ما هو أبين وأوضح ، نجد زائراً من مصر ومن الأزهر ، يقيم فيها فترة من الزمن باحثاً دارسا ثم يقول : (إننى وجدت المسلمين فى تلك البلاد ـ نيجيريا ـ على بعد الشقة بيننا وبينهم ـ يقدرون مصر حق قدرها ، من أجل الأزهر ، ومن أجل الأزهر فقط ، ويكنون له ولعلمائه كل تقدير وإجلال) [1] .

والمسلمون فى نيجيريا متشددون متدينون ، يعتبرون يوم الجمعة عيداً ، وصلاتها مظهراً للفرح والبهجة والسرور . يلبسون لها أفخر ما عندهم من الثياب وأكثره نظافة . تسير

---

[1] من تقرير للدكتور محمد الفحام : مجلة منبر الإسلام عدد ٥ السنة ١٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمامهم لصلاتها الطبول والمزامير، في الذهاب والعودة . ذلك مظهر من مظاهر تدينهم .

ويقول بعض من زار تلك البلاد إنه كلما تعصر واحد من أبنائها أسلم في مقابله عشرة ، مع ما يبذل من السعي والجد والمال لنشر المسيحية .

وهذه حقيقة معروفة ، نشرتها جريدة « التمبو » التي تصدر في المكسيك فقالت : « إن الإسلام ينشر بسرعة في دول إفريقيا التي استقلت حديثا . وإن تعلم اللغة العربية يسير مع موجة انتشار الإسلام جنباً إلى جنب » (١) .

ونيجيريا هذه التي يقيم فيها عشرون مليونا من المسلمين بين خمسة وثلاثين من السكان المسيحيين والوثنيين، زعيمها ورئيس حكومتها مسلم مخلص متدين هو الحاج أحمد بللو سردونا . وهو ليس رئيس حكومة فقط ، بل هو ، إلى ذلك ، رئيس حزب وزعيم أمة ، يحفظ القرآن ويعرف أصول الإسلام ويتكلم العربية فيحسنها ، وكان تدينه من أسباب زعامته وقيادته ورياسته .

وهذه العاطفة والمعرفة والعقيدة ، هي التي جعلته يخاصم إسرائيل ، ويمانع في تسللها إلى شمال نيجيريا على رغم معاونة بريطانيا لها في ذلك ، وجعلته يمنع بعثات إسرائيل من دخول المنطقة التي يحكمها . ويرفض أن يعقد اتفاقات معها .

فأي قوة أعظم من هذه العواطف وهذه العقيدة نستطيع أن نفيد منها وندرك المدى الفسيح الذي يمكن أن تبلغه دعوة الإسلام والعربية في مثل هذه البلاد .

٧ — وليست الأوضاع والحقائق وحدها هي التي ترسم الطريق وتحدد المعالم لمستقبل الإسلام والعربية في إفريقيا الجديدة . وتدعونا ، بل تصرخ فينا ، أن نفكر ونعمل ونبادر ، بل الطلائع والاتجاهات في تلك البلاد تدعونا لنعمل ونبادر .

من هذه الطلائع والاتجاهات أن المؤتمر السنوي الثاني للجمعية الثقافية الإسلامية في السنغال قرر مطالبة الحكومة باعتبار اللغة العربية في البرامج الدراسية ابتداء من الصفوف الأولى . وزيادة عدد المدارس العربية في مدن السنغال وقراها ، والاعتراف بالشهادات الصادرة عن المدارس العربية .

ومن هذه الطلائع أن غينيا في عهد استقلالها بدأت تتطلع إلى المستقبل وتقيم له الأسس الراسخة ، فرضت تعليم اللغة العربية لغة ثانية على طلبة المدارس الثانوية ، لأنها — كما قال الحسيني أيوب وزير استعلامات غينيا — : « اللغة الإفريقية الوحيدة المكتوبة، وبما أن ثمانين في كل مائة من سكان غينيا

(البقية على صفحة ٨٣٦)

(١) من مجلة المصور : ١٥ مايو ١٩٦١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مقام الحذف ... وكذا خطاب الذكى يباين خطاب الغبى (١) » .

ولكننى أرى أساس بشر أوسع من هذا الإطار الذى وضعه البلاغيون ، لأنه يتناول ذلك ويتناول ما ينبغى أن يعرض من العناصر ، وما ينبغى أن يترك .

خامسا : أكدت أن الأدب هبة وطبع ، وأن النص الأدبى قد يطيع الأدب الموهوب فى سهولة ويسر ، وقد يحتاج منه إلى معاودة عند النشاط وفراغ البال .

وسوف نرى أثر هذه الأفكار فيمن جاء بعده من الناقدين .

الدكتور أحمد أحمد بدوى
وكيل كلية دار العلوم

[١] الإيضاح للقزوينى ١ : ٢٦ الطبعة المحمودية التجارية سنة ١٩٣٥ م .

(بقية المنشور على صفحة ٨٢٦)

مسلمون ، فإن لهم الحق فى تعلم لغة دينهم » .

وقد فرضت اللغة العربية فعلا على جميع الطلبة فى مدارس غينيا الابتدائية والثانوية من أول هذا العام الدراسى .

٨ — وهناك صيحة من بلاد أخرى بعيدة تؤيد رأينا وتزكيه ، وهذه الصيحة ينادى بها مسيحى شرقى يقيم فى أمريكا .

فنحن نعرف جميعا كيف تسيطر الصهيونية على مشاهير الناس والحكام فى أمريكا . وفى مقاومة هذه الآفة وتصحيح الوضع بالنسبة للعرب ، والحق والعدل والسلام أيضا ، يرى السيد جيمس عنصرة ، الرئيس التنفيذى للمغتربين العرب ، أن مما يجب عمله لإحباط ذلك وتوثيق الروابط بين المهاجرين العرب وأوطانهم ، اختيار أساتذة وإرسالهم لنشر الدعوة الدينية وتفقيه المسلمين فى أمور دينهم ، والمسلمون فى أمريكا الشمالية ثلاثون ألفا من بين نصف مليون عربى مغترب ، ثم يقول السيد جيمس إن الدعوة الدينية لها فعلها وأثرها فى النفوس .

هذا ما يقوله عربى مسيحى . عن أمريكا ومن فيها من المغتربين العرب المسلمين . فكيف بإفريقيا وشعوبها المبتدئة فى سلم الثقافة والمعرفة . . ؟

وقد صدق الدكتور عبد الرحمن بدوى ، وأحسن ، حين قال فى حديث له بإذاعة القاهرة : « إن حدود انتشار اللغة العربية فى إفريقيا هى حدود انتشار الإسلام ، فمن العسير ، بل يكاد يكون من المستحيل ، الفصل أو الحجز بين الإسلام واللغة العربية » .

٩ — هذه الأوضاع والحقائق والآمال ، هى التى ترسم لنا السبيل وتضىء الطريق ونحن نتطلع إلى مستقبل الإسلام والعربية فى إفريقيا الجديدة .

محمود الشرقاوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معانى القرآن :

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد » .

كلمة « رب » تطلق فى كلام العرب على معانه ثلاثة يرجع إليها كل ما عداها من المعانى كما يقول فضيلة المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق:

فالسيد المطاع فيهم يدعى ربا .

والرجل المصلح للشىء يدعى ربا .

والمالك للشىء يدعى بالنسبة له كذلك ربا.

فربنا هو السيد الذى لا شبيه له ، وهو المصلح أمر خلقه بما أسبغه عليهم من نعمه ، وهو المالك الذى له الخلق والأمر .

ومن ثم لا تستعمل كلمة « الرب » بالألف واللام فى غيره تعالى ، لأن معناها المالك المتصرف فى كل ما عداه . ولا يقدر على ذلك إلا الله ، وأما « رب » بدون أل فتستعمل فى غيره تعالى مقيدة بما تضاف إليه ، فتقول رب الدار ، أى مالكها ، ورب الأسرة ، أى القائم على رعايتها وسياستها .

وكلمة « قلب » تطلق القرآن على العقل ، وهو أداة التفكير والإدراك . كما تطلق على هذا الجهاز الإلهى الذى نعرفه وهو مناط الشعور والإحساس .

والهداية هى الدلالة على المقصود بخفاء ولطف ، وهى لا تكون بالعقل وحده . فقد يخطىء العقل وتخطىء الحواس ، وإنما تكون الهداية ويكون الاتجاه إلى الخير والحق بالإحساس الراشد ينبعث من داخل النفس . وبالإلهام الخفى من الحكيم العليم ، وبالاعتصام بحبله ودينه مصداق قوله : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » . ولعل فى هذا بعض ما يفسر دعاءنا فى كل صلاة بقول الله : « إهدنا الصراط المستقيم » . لأن الهدى كما يقول الله « قل إن الهدى هدى الله » .

والزيغ هو الميل والانحراف عن طريق الحق ودين الله الذى ارتضاه .

وهذا الدعاء ورد فى القرآن على ألسنة الراسخين فى العلم ممن وفقهم الله إلى الانتفاع بعقولهم وقلوبهم ، وآمنوا بيوم الحساب ، يوم يكون الثواب والعقاب . فهم يسألونه ـ ونسأل الله معهم ـ أن لا يزيغ قلوبهم بعد أن هداهم وأن يهب لهم من عنده رحمة ـ وهى تفسر بما ينشأ عنها من النعم ـ لأنه دون غيره المنعم الكثير الهبات ذو الفضل العظيم . وهم يؤمنون بيوم الحساب وهو يوم لا شك فيه ، لأن العدل الإلهى يقتضيه ، فلا يفلت مسىء من عقاب ، ولا يحرم محسن من ثواب . ولأن الله وعد به عباده . وخلف الميعاد نقص يستحيل عليه سبحانه . وهذا الإيمان يعبرون عنه بهذا الدعاء : « ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد » .

عبد الرحيم فودة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مكتبة النقد الأدبي في اللغة العربية
صحيفة بشر بن المعتمر

للدكتور أحمد أحمد بدوي

سوف ندرس تحت هـذا العنوان أهم الآثار التي كتبت باللغة العربية في النقد الأدبي ، وأعني بالنقد الأدبي كل ما يقوّم النصوص الأدبية ، ويبين أسباب جمالها ، ويدرس نواحي التأثير فيها ، فيشمل لذلك ما نسميه اليوم بعلوم البلاغة ، فهي في حقيقة الأمر من صميم النقد الأدبي ، ومعيار من معاييره ، لأنها تبحث في بعض وسائل التأثير في النفس الإنسانية ، وتدرس بعض ألوان الجمال في التعبير عن المعنى المراد ، ثم تجمّعت مسائلها بعضها حول بعض ، وأصبحت هذه المسائل تدعى بعلوم البلاغة ، وهي في الواقع من فروع النقد الأدبي ، وأبحاثها من بين أبحاثه الأصلية .

ولهذا سأجعل الكتب التي تناولت فنونا من دراسات البلاغة من مكتبة النقد الأدبي ؛ لنتبيّن كيف كانت هذه الدراسات مبعثرة بين مسائل النقد ، وكيف تبلورت واستقلت .

وسوف أتبع في عرض هذه المكتبة المنهج التاريخي ، منذ العصور الأولى إلى وقتنا الحاضر ؛ لنتبين تطور هذه الدراسات عبر الأزمان ، ونرى كيف أثر السابق فيمن جاء بعده ، وكيف استفاد الخلف من السلف ، فصححوا ، وفصلوا ، وزادوا ، وبوّبوا .

— ١ —

وإنا لنرى بذور النقد الأدبي منذ العصر الجاهلي ، وإن لم يطلقوا عليها ذلك الاسم الاصطلاحي ، فقد نقل الرواة ملحوظات كان السامعون يبدونها على ما يلقى عليهم من الشعر ، وآراء يحكمون بها على الشعر والشعراء ؛ فهذا النابغة الذبياني مثلا كانت تضرب له في سوق عكاظ قبّة حمراء من جلد ، وكان الشعراء يأتون إليه ، فيعرضون عليه أشعارهم ، وحدث أن أنشده الأعشى مرة ، ثم أنشده حسّان بن ثابت ، ثم شعراء من بعده ، ثم أنشدته الخنساء قصيدتها في رثاء أخيها صخر ، التي منها :

وإنّ صخراً لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار

فأعجب بالقصيدة ، وقال لها : لولا أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أبا بصير - يعني الأعشى - أنشدني قبلك ، فقلت : إنك أشعر الجن والإنس[١] . وبذلك يكون النابغة قد حكم بأن الأعشى أشعر الذين أنشدوه ، ثم تليه الخنساء في جودة الشعر .

كما روى أن عمرو بن الحارث الغساني فضل حسان على النابغة ، وعلى علقمة بن عبدة ، وكانا حاضرين معه ، وأثنى على لامية حسان التي فيها :

لله در عصابة نادمتهم
يوما بجلق في الزمان الأول

ودعاها البتارة التي بترت المدائح[٢] .

كما كانوا يأخذون على النابغة الذبياني الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروي في القصيدة ، وعابوا على الشاعر أن يصف الشيء بغير ما هو له ، إلى غير ذلك من ملحوظات تتعلق بالمعنى حينا ، وبالصياغة حينا آخر ، وكلها يهدي إليها ذوقهم المتمرس بالشعر ، فيجعل في مكنتهم أن يدركوا جماله ، ويوازنوا بين قائليه .

ويأتي الإسلام ، فيتسع المجال للنقد الأدبي عندما يستمعون إلى القرآن ، فيتذوقون بلاغته المعجزة . ويوازنون بينه وبين ماعرفوه من فنون القول ، أو عندما يصغون إلى ما ينتجه شعراء الإسلام ، والشعراء المخالفون لهم ، ويفضلون إنتاجا على إنتاج .

ويتقدم الزمن ، ويغزر إنتاج الشعر ، وتتعدد مراكزه بين الحجاز والشام والعراق وتشب خصومات بين الشعراء ، ويوضع علم النحو ، ويتدخل النحاة في تقويم الشعر ، كما يتدخل اللغويون في هذا التقويم ، ويكون من ذلك كله نشاط النقد الأدبي تتعدد فيه الاتجاهات ، وتكثر فيه الموازنات ، وتعرض الأسباب لما يذكر من الآراء ، ويتناقل الرواة هذه الثروة النقدية جيلا عن جيل ، حتى أتى من أخذ هذا التراث فنظمه في كتاب يعد أول مؤلف جمع تلك الآراء المبعثرة ، فرتبها وألف بينها ، وحفظها من أن تضيع مع السنين ذلك هو ابن سلام مؤلف كتاب « طبقات فحول الشعراء » .

كما تحتاج الدولة إلى الكتابة ، ويتعلم بعض أبنائها الخطابة ، ويضع رجال الأدب قواعد يجدر أن يتبعها الكتاب والخطباء . وبقي لنا من ذلك صحيفة لأحد رجال الكلام الذين كانوا يعنون بالجدل وبلاغة القول تؤثر في السامعين ، فيميلون إلى حيث يريد رجل الكلام أن يقودهم ، وتلك هي : « صحيفة بشر بن المعتمر » .

---

[١] تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، لطه أحمد إبراهيم ص ١٢ .

[٢] المرجع السابق ص ١٤ . وجلق : دمشق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

— ٢ —

صحيفة بشر بن المعتمر (*):

وقبل الحديث عن كتاب ابن سلام أرى من الخير أن أعرض لصحيفة بشر بن المعتمر فقد تعرضت مع إيجازها لمسائل من النقد يحسن بيانها :

« ١ »

تعرضت الصحيفة أول ما تعرضت لوقت إنتاج العمل الأدبى ، وأوصى بشر أن يكون ذلك عند الرغبة فى الإنتاج ، فعلى الأديب أن ينتهز تلك الساعة ، فإنها تنتج أبرك الثمرات يقول بشر :

« خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، وإجابتها إياك ؛ فإن قليل تلك الساعة أكرمُ جوهرا ، وأشرفُ حسباً ، وأحسنُ فى الأسماع ، وأحلى فى الصدور ، وأسلمُ من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة(١) من لفظ شريف ، ومعنى بديع ، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومُك الأطولُ ، بالكدّ والمطاولة(١) والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً(٢) ، وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرجَ من ينبوعه ، ونجم(٣) من معدنه » .

والجملة الأخيرة تدل على إيمان بشر بأن الإنتاج إذا كان ناشئا عن رغبة فى الأديب جاء طبيعياً واضحاً لا التواء فيه ولا غموض .

أما إذا حمل الأديب على نفسه ، وأكرهها على ما لا رغبة لها فيه ، فهنا يسير الأديب فى طريق وعر ، يدفعه إلى التعقيد الذى يذهب بالمعنى ، ويضيع بهجة الألفاظ ، وفى ذلك يقول :

« وإياك والتوعرَ ، فإن التوعر يسلك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك » .

وكأن بشراً بذلك يعقد صلة نفسية بين الوضوح فى الانتاج والرغبة النفسية ، وبين الغموض والتعقيد وحمل النفس على الانتاج قسرا . وهو رأى له صوابه .

ويتحدث بشر عن اللفظ والمعنى ، فيقول « ومن أراغ(٤) معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما . فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف

---

* فقيه معتزلى مناظر ، تنسب إليه الطائفة البشرية من المعتزلة ، مات ببغداد سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥م) [من الأعلام للزركلى] والصحيفة فى الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين ص ١٠٤ (المطبعة التجارية الكبرى سنة ١٩٢٦ م) .

(١) العين : خيار الشىء . والغرة : الشريف

(١) المطاولة : المغالبة .

(٢) قصد فى العمل : استقام .

(٣) نجم : ظهر .

(٤) أراغه : أراده .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما [1] وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما ، وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما » .

وهو بذلك يوصي أن يكون اللفظ مؤديا معناه في وضوح ، وأن على الأديب أن يبحث عن اللفظ الموضح لفكرته ، حتى لا يفسد المعنى واللفظ معا ، وتضيع بذلك الثمرة المرجوة من الكلام ، وهو نقل الإحساس والشعور من الأديب إلى السامع أو القارئ ، فإذا لم يوح اللفظ بالمعنى المراد أصبح الأديب بعبارته المنقوصة أسوأ حالا منه قبل صياغة نصه الغامض الهجين ؛ لأنه يوقع السامع في ظلام بهيم .

وسوف توضح الصحيفة ما يريده بشر بالشرف ، حين تتعرض لفكرة لا تزال تتعرض لشرحها إلى اليوم ، وهي فكرة الموهبة في الأدب ، فالأديب في عقيدتنا اليوم موهوب كما هو عند بشر ، غير أن هذه الهبة قد تكون واضحة تبدو لأول وهلة وقد تكون خفية يحتاج صاحبها إلى بحث وتنقيب . وبشر يضع اختبارا به يعرف الإنسان نفسه أموهوب هو في الأدب أم غير موهوب ، إذ يقول :

« فكن في ثلاث منازل ؛ فإن أولى الثلاث : أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا ، وقريبا معروفا ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت » .

« والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة . وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال » .

« وكذلك اللفظ العامي والخاصي ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تغطفك عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام » .

هذا هو الاختبار الذي يختبر المرء مقدرته الأدبية ، فإذا استطاع أن يثبت فيه علم أنه البليغ التام ، وعلم أنه موهوب عليه أن يتابع خطاه .

أما الأديب التام فهو الذي تتحقق في ألفاظه العذوبة والرشاقة والفخامة والسهولة ، وفي معناه الوضوح ، وأن يكون الكلام مناسبا لما يتطلبه المقام ، وموافقا لمن قيل لهم ، فتختار ألفاظه من القاموس الذي تحيط به

(١) هجن الأمر : قبحه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الطبقة المثقفة إذا كان الكلام قد أنشئ لها ، وتتنقى كلماته سهلة قريبة التناول إذا كان للعامة قد صيغ .

وهذه لفتة طيبة لبشر بن المعتمر ، عندما أدخل فى حسابه الأدب يكتب لطبقة العوام ، ولكنه مع ذلك لا يريد أن ينزل بالأدب ، بل يريد أن يرتفع بمستوى العوام ، فيعد من مقدرة الأديب أن يتلطف حتى يفهم العامة معانى الخاصة ، ويصوغ ذلك فى أسلوب لا تنبو عنه أذواق الخاصة من المثقفين ، وهو بذلك يحفظ للأدب سموه عن أن يكون عبارة مبتذلة .

ولعل بشرا أراد برشاقة اللفظ وعذوبته أن يكون متخير الحروف ، وبفخامته ألا يكون سوقيا ، وبسهولته ألا يكون هناك تنافر بين حروفه .

وإذا كان بشر يرى استعمال اللفظ العامى فى موضعه ، كاللفظ الخاصى فى مكانه ، كلاهما قد وضع حيث ينبغى أن يوضع ، وهو بذلك يستجيب لحاجات الجماهير الشعبية ، فى أن يكون لها أدب تستطيع أن تفهمه فإنه يفضل الارتقاء بالأسلوب كما ذكرنا ، وذكره للجلال بين صفات اللفظ يدلنا على أنه لا يقبل بحال أن تكون العبارة سوقية مبتذلة .

وشرح بشر ما يريده بالمعنى الشريف ، وأنه لا يقصد أن يكون من معانى الخاصة ؛ فإن المعنى لا يتضع بأن يكون من معانى العامة ، ولكن المعنى الشريف هو المصيب النافع . وإذا كان من السهل إدراك ما يراد بالإصابة فى المعنى ، بأن تكون الحقائق التى فيه يقرها الواقع والتاريخ ، فإن إحراز المنفعة الذى وصف به المعنى يحتاج إلى تريث فى فهم معناه ؛ فهل يعد بشر تلك المعانى التى لا تعود بفائدة على قرائها - غير شريفة ؟ وما معنى الفائدة التى ينبغى أن تؤخذ من الأدب حتى نعد المعنى شريفا ؟ أو أن المنفعة تحرز إذا أدرك المعنى الصواب ؟ فيكون معنى الشرف حينئذ صواب المعنى ؛ فإذا أخطأ الأديب فى المعنى الذى يريده ، فقلب الحقائق مثلا ، أو وصف الشئ بما ليس من صفاته ، لم يكن المعنى إذاً شريفا .

يعرف الأديب المطبوع نفسه بسرعة استجابة المعانى له والألفاظ ، وهناك صنف آخر من الأدباء لا يستجيب لهم القول فى أول وهلة ، ولا ينقاد لهم الكلام عند تطلبه ، ولكن لهم مع ذلك موهبة الأدب ، فهؤلاء عليهم أن يعاودوا المحاولة ، فإن استجاب القلم لهم أدركوا أن هناك هبة وطبعا . يقول بشر :

« فإن كانت المنزلة الأولى لا توانيك ولا تعتريك ، ولا تسمح لك عند أول نظرك ، وفى أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

موقعتها ، ولم تصل إلى قرارها ، وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل فى مركزها وفى نصابها ، ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن ، والنزول فى غير أوطانها ، فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور ، لم يعبك بترك ذلك أحد ، فإن أنت تكلفتهما ، ولم تكن حاذقاً مطبوعا ، ولا محكما لسانك ، بصيرا بما عليك ومالك ، عابك من أنت أقل عيبا منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك ، فإن ابتليت بأن تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة ، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة ، فلا تعجل ، ولا تضجر ، ودعه بياض يومك وسواد ليلك ، وعاوده عند نشاطك ، وفراغ بالك ، فإنك لا تعدم الإجابة ولا المؤاتاة (١) ، إن كانت هناك طبيعة ، أو جريت فى الصناعة على عرق » .

وهنا يلح بشر على نقطة واحدة ، تلك أن يكون للكلمة عمل تؤديه كاملا فى الجملة ، بأن تؤدى نصيبها فى المعنى المراد ، فإذا لم تقم بهذا الأداء كانت قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها . وذلك العيب ينبعث من أمور كثيرة فصلها النقاد بعد ذلك ، فالكلمة لا تقع موقعها إذا لم تفد معنى جديدا ، ولا تصل إلى قرارها إذا لم تكن دقيقة ، ولا تنال حقها من أماكنها المقسومة إذا لم يتبع فى ترتيبها ترتيب المعنى فى نفس قائلها ، ولا تحل القافية فى مركزها وفى نصابها إذا لم تفد معنى ، وإنما جيء بها لإكمال الوزن فحسب ، ولا تتصل القافية بشكلها إذا اضطر الشاعر من أجل القافية إلى أن يأتى بها سهلة فى بيت قد اختيرت كلماته قوية جزلة ، أو جزلة بين ألفاظ سهلة ، أو غريبة بين كلمات قريبة مألوفة . وتكون قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها إذا أفسدت معنى البيت أو أضرت به . تلك عيوب الصياغة يقع فيها من يحتاج إلى دربة طويلة ، ومعاودة نظر فيما كتب ، ولكنه يصلح ما أفسد إذا عاود النظر ، ورجع إلى ما كتب فاستطاع أن يهذب ويقوم ، ويكون ذلك دليلا على أن لديه موهبة الأدب ، فله أن يستمر فى عمله أديبا منتجا .

أما هذا الذى يعاود الكرة ، مرة بعد مرة ، من غير أن يستجيب قلمه لما يريد فذلك دليل على أنه غير موهوب ، وأن عليه أن يبحث عن عمل آخر غير الأدب ، يقول بشر : « فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول إهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛

---

[١] المؤاتاة الموافقة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإنك لم تشتهه . ولم تنازع إليه ، إلا وبينكما نسب ، والشيء لا يحن إلا إلى ما يشاكله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات ؛ لأن النفوس تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والمحبة ؛ فهذا هذا » .

فبشر يرى الأديب أحد رجلين : أديب ينقاد له القول في سهولة ويسر ، وآخر يحتاج في إنتاجه إلى معاودة ما يعالجه ، حتى يستقيم له ما يريد . وكلا الرجلين موهوب مطبوع .

ويعود بشر بعد ذلك إلى الحديث عن المعاني ، وما ينبغي أن يؤخذ منها وما يترك ، فيقول : « ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني . ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات . فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .

وتفسير ذلك أن المعنى الذي يريد الأديب أن يتحدث عنه له عناصر شتى ونواح كثيرة فينبغي للأديب أن يعرف هذه العناصر والنواحي ، وأن يبذل جهده في الكشف عنها ، ثم يعرف قيمة كل عنصر وناحية . فمنها ما هو من صميم الموضوع يجب عليه أن يتناوله بالعرض والدراسة والتحليل ، ومنها ما هو عرضي ، ليس في صلب الموضوع ، فيتناوله برفق ، بحيث لا يطغى على ما هو أصيل .

وعليه أن يعرف أحوال من يستمعون إليه أهم من العامة أم من الخاصة ، أمن الموافقين أم من المخالفين ، أمن يتأثرون بالدين ، أم من يتأثرون بالدنيا ، أمن الشديدي اللدد أم من يسهل قيادهم ، إلى غير ذلك من أحوال المخاطبين .

وعليه أن يعرف إلى جانب ذلك الحال التي ينشىء لها خطبته ، والمقام الذي يتكلم فيه فإنه إذا عرف أحوال المخاطبين من ناحية ، وعرف المقام الذي من أجله وقف ليخطب ثم كان ملما بعناصر الموضوع ، ممسكا بأطرافه استطاع أن يعرف أي العناصر تصلح لهؤلاء المستمعين فخدمهم بها ، وأيها ينبغي أن يعرض عنه فلا يذكر ، وأن يدرك ما يناسب المقام من أفكار تقال وأخرى تطوى ، فكثيرا ما يكون في عناصر الموضوع ما يرتفع عن مستوى السامعين . فيكون ذكره عبثا ، وقد يكون فيها ما يضعف من المقام ، فلا تبلغ الخطبة غايتها المرسومة .

ولما كان الخطيب مرتبطا بالجمهور ، ويقاس نجاحه وإخفاقه بمقدار تأثيره في هذا الجمهور ، كان لا بد من أن يدخل الجمهور في حساب الخطيب ، وأن يدخل المقام في هذا الحساب أيضا ، وأن يوازن الخطيب بين أفكاره وأن يختار منها ما يصلح للجمهور ، وما يناسب المقام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(ب) لقد مر بشر ومعه هذه الصحيفة بإبراهيم بن جبلة الخطيب . وهو يعلم الفتيان الخطابة ، فدفعها إليهم ، وأعجب المدرس بما فيها . ورأى نفسه محتاجا إليها أكثر من احتياج تلاميذه . ولكن يظن أن بشرا لم يكن قد أعد هذه الصحيفة متضمنة تعاليم الخطابة فحسب ، ففيها مايتصل بفنون القول : شعره ، وكتابته ، وخطابته ، فالجزء الأخير من هذه الصحيفة ، وهو الجزء الذى يطلب فيه بشر أن يوازن المتكلم بين أقدار المعانى ، وأقدار السامعين ، وما يتطلبه المقام يرتبط ارتباطا وثيقا بالخطابة ، وإن صح أن يعنى به الكاتب والشاعر ، إذا تخيلا جمهورا يكتبان له ولكنهما فى كثير من الأحيان يتجهان إلى المعنى يريدان أن يبلغا فيه أقصى ما يستطيعان وأن يلما بكل ما يجول فى نفسيهما من خواطر وإحساسات ، لأن الجمهور لا يواجههما ؛ فيضطران إلى إدخاله فى الحساب .

أما باقى الصحيفة فتتصل أوثق اتصال بالكتابة والشعر ، لأن فيه الوصية بانتهاز الفرصة للإنتاج ، وذلك إنما يكون فى غير الخطابة التى يحدد وقت إلقائها المقام والجمهور إذا كانت مرتجلة . أما إذا كانت تعد وتكتب فلها حينئذ حكم الرسالة والقصيدة .

وتتصل بالشعر أيضا عندما حدثنا عن القافية القلقة فى مكانها ، والنافرة من موضعها .

(ج) ويمكن أن نلخص المبادئ التى تضمنتها الصحيفة فيما يلى :

أولا : وصيتها الصالحة باختيار وقت الرغبة فى الإنتاج ؛ ليخرج النص الأدبى واضحا رائعا .

ثانيا : عنى بشر أول ما عنى بالنهى عن التوعر لأنه يؤدى إلى التعقيد الذى ذمه بشر ، وأبغضه .

ثالثا : شرط للأدب الرفيع أن يتصف بصفات . وأن يخلص من أخرى .

فيجب أن يتصف اللفظ بالرشاقة والعذوبة ، والفخامة والسهولة ، وأن يكون المعنى ظاهرا مكشوفا .

وأن يخلو من أن تكون الكلمة غير مؤدية نصيبها فى المعنى ، وغير دقيقة ، وغير واقعة فى مكانها من الجملة . ومن أن تكون القافية غير مكملة معنى البيت الذى وضعت فيه ، أو من طبيعة غير طبيعة أخواتها . أو مضعفة لمعنى بينها ، أو لا قيمة لها فى هذا البيت .

رابعا : وضع أساسا عنى به النقاد من بعده عناية كبرى ، وهو مراعاة أقدار المستمعين وأقدار الحالات ، فقد تطور ذلك إلى تعريف البلاغة بأنها « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ، وشرحوا ذلك « بأن مقامات الكلام متفاوتة ؛ فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ... ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مقام الحذف ... وكذا خطاب الذكى يباين خطاب الغبى (١) » .

ولكننى أرى أساس بشر أوسع من هذا الإطار الذى وضعه البلاغيون ، لأنه يتناول ذلك ويتناول ما ينبغى أن يعرض من العناصر ، وما ينبغى أن يترك .

خامسا : أكدت أن الأدب هبة وطبع ، وأن النص الأدبى قد يطيع الأدب الموهوب فى سهولة ويسر ، وقد يحتاج منه إلى معاودة عند النشاط وفراغ البال .

وسوف نرى أثر هذه الأفكار فيمن جاء بعده من الناقدين .

الدكتور أحمد أحمد بدوى
وكيل كلية دار العلوم

[١] الإيضاح للقزوينى ١ : ٢٦ الطبعة المحمودية التجارية سنة ١٩٣٥ م .

(بقية المنشور على صفحة ٨٢٦)

مسلمون ، فإن لهم الحق فى تعلم لغة دينهم » .

وقد فرضت اللغة العربية فعلا على جميع الطلبة فى مدارس غينيا الابتدائية والثانوية من أول هذا العام الدراسى .

٨ — وهناك صيحة من بلاد أخرى بعيدة تؤيد رأينا وتزكيه ، وهذه الصيحة ينادى بها مسيحى شرقى يقيم فى أمريكا .

فنحن نعرف جميعا كيف تسيطر الصهيونية على مشاهير الناس والحكام فى أمريكا . وفى مقاومة هذه الآفة وتصحيح الوضع بالنسبة للعرب ، والحق والعدل والسلام أيضا ، يرى السيد جيمس عنصرة ، الرئيس التنفيذى للمغتربين العرب ، أن مما يجب عمله لإحباط ذلك وتوثيق الروابط بين المهاجرين العرب وأوطانهم ، اختيار أساتذة وإرسالهم لنشر الدعوة الدينية وتفقيه المسلمين فى أمور دينهم ، والمسلمون فى أمريكا الشمالية ثلاثون ألفا من بين نصف مليون عربى مغترب ، ثم يقول السيد جيمس إن الدعوة الدينية لها فعلها وأثرها فى النفوس .

هذا ما يقوله عربى مسيحى . عن أمريكا ومن فيها من المغتربين العرب المسلمين . فكيف بإفريقيا وشعوبها المبتدئة فى سلم الثقافة والمعرفة . . ؟

وقد صدق الدكتور عبد الرحمن بدوى ، وأحسن ، حين قال فى حديث له بإذاعة القاهرة : « إن حدود انتشار اللغة العربية فى إفريقيا هى حدود انتشار الإسلام ، فمن العسير ، بل يكاد يكون من المستحيل ، الفصل أو الحجز بين الإسلام واللغة العربية » .

٩ — هذه الأوضاع والحقائق والآمال ، هى التى ترسم لنا السبيل وتضىء الطريق ونحن نتطلع إلى مستقبل الإسلام والعربية فى إفريقيا الجديدة .

محمود الشرقاوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جريمة الزنا هل تحرم المصاهرة ؟

للأستاذ محمد سعاد جلال

١ ـ المذاهب :

مذهب أبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل وقول ابن القاسم من المالكية أن من زنا بامرأة حرمت عليه أمها وبنتها ، وتصير أصولها وفروعها في التحريم عليه كأصوله وفروعه وكذلك العكس ، شأنها في ذلك شأن الموطوءة بنكاح صحيح .

ومذهب الشافعي وأبي ثور وقول عبد الملك ابن الماجشون من المالكية وكذلك رأى ابن حزم ـ إلا في موضع واحد سنذكره ـ أن الزنا لا يحرم شيئا وأن من زنا بامرأة فلا تحرم عليه ولا يحرم عليها أصولا وفروعا.

قال في المبسوط (إذا وطىء الرجل امرأة بملك يمين أو نكاح أو فجور تحرم عليه أمها وبنتها وتحرم هي على آبائه وأبنائه) (١) .

وقال الشافعي في الأم (فأما الزنا فلا حكم للزنا يحرم حلالا . فلو زنا رجل بامرأة لم تحرم عليه ولا على ابنه ولا على أبيه ، وكذلك لو زنا بأم امرأته أو بنت امرأته لم تحرم عليه امرأته . وكذلك لو كانت تحته امرأة فزنا بأختها لم يجتنب امرأته ولم يكن جامعا بين الأختين) (١) .

وقال ابن حزم في المحلى: (ولا يحرم وطء حرام نكاحا حلالا إلا موضع واحد وهو أن يزني بامرأة فلا يحل نكاحها لأحد ممن تناسل منه أبدا وأما لو زنا الابن بها ثم تابت لم يحرم بذلك نكاحها على أبيه وجده. ومن زنا بامرأة لم يحرم عليه إذا تاب أن يتزوج أمها أو بنتها، والنكاح الفاسد والزنا في هذا كله سواء) (٢) .

وبمقارنة هذا النص بنص الأم السابق نتبين مخالفة ابن حزم للشافعي في الموضع الواحد الذي ذكره . وهو حرمة مزنية الأب على فرعه . بل يخالفه في التسوية بين الزنا والنكاح الفاسد .

قال الشافعي في الأم: (وإن كانت الإصابة بنكاح فاسد احتمل أن يحرم من قبل أنه يثبت فيه النسب ، ويؤخذ فيه المهر ، ويدرأ فيه الحد ، وتكون فيه العدة ، وهذا حكم

(١) المبسوط جـ ٤ ص ٢٤ .

(١) الأم جـ ٥ ص ٣٢ .

(٢) المحلى جـ ٩ ص ٣٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحلال . وأحب إلى أن يحرم من غير أن يكون واضحا . فلو نكح رجل امرأة نكاحا فاسدا فأصابها لم يحل له عندى أن ينكح أمها ولا ابنتها ولا ينكحها أبوه ولا ابنه . وإن لم يصب الناكح نكاحا فاسدا لم يحرم عليه النكاح الفاسد بلا إصابة فيه شيئا من قبل أن حكمه لا يكون فيه صداق ولا يلحق فيه طلاق ولا شيء مما بين الزوجين) (١) .

وقال القرطبي (ومن زنا بامرأة ثم أراد نكاح أمها أو بنتها لم تحرما عليه بذلك) وقالت طائفة تحرم عليه . روى هذا القول عن عمران بن حصين . وبه قال الشعبي وعطاء والحسن وسفيان الثوري وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي . وروى عن مالك أن الزنا يحرم الأم والإبنة وأنه بمنزلة الحلال . وهو قول أهل العراق . والصحيح من قول مالك وأهل الحجاز . أن الزنا لا حكم له . لأن الله سبحانه وتعالى قال (وأمهات نسائكم) وليس التي زنا بها من أمهات نسائه ولا ابنتها من ربائبه . وهو قول الشافعي وأبي ثور (٢) .

وقال ابن قدامة المقدسي الحنبلي في الشرح الكبير على متن المقنع : (ويحرم على الرجل نكاح ابنته من الزنا وأخته وبنت ابنه وبنت بنته وبنت أخيه وأخته من الزنا . في قول عامة الفقهاء) (١) .

وقال في المغني : (إذا زنا بامرأة حرمت على أبيه وابنه وحرمت عليه أمها وبنتها كما لو وطئها بشبهة أو حلالا . ولو وطء أم امرأته أو ابنتها حرمت عليه امرأته (٢) .

هذه خلاصة المذاهب الإسلامية في المسألة. وإليك الاستدلال على كل مذهب .

٢ — الأدلة :

(ا) استدل الشافعي ومن وافقه على مذهبهم بالأدلة الآتية : —

أولا : بما روى عن ابن عباس أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عمن غشي امرأة . هل تحل له بنت امرأته . فقال لا يحرم الحرام الحلال .

وبما روى عن عائشة رضي الله عنها . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . سئل عمن اتبع امرأة حراما . أينكح أمها أو ابنتها فقال لا يحرم الحرام . وإنما يحرم ما كان نكاحا حلالا .

وطعن في سند هذا الحديث بوجود عثمان بن عبد الرحمن الوقاص ، وصفه يحيى ابن معين بالكذب .

وقال البخاري والنسائي وأبو داود ليس

---

(١) الأم ج ٥ ص ٢٢ .

(٢) القرطبي ج ٥ ص ١١٥ .

(١) الشرح الكبير ج ٧ ص ٤٧٣ .

(٢) المغني ج ٧ ص ٤٨٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بشيء ، وذكره عبد الحق عن ابن عمر . ثم قال فى إسناده إسحق بن فروة . وهو متروك الحديث . وحديث عائشة ضعف بأنه من كلام بعض قضاة العراق ، قاله الإمام أحمد ، وقيل من كلام ابن عباس .

ثانيا : استدلوا بقولهم أن وطء الزنا لا يترتب عليه حرمة المصاهرة . لأنها نعمة وكرامة . فلا تنال بالسبب المحظور وهو الزنا .

أما أن حرمة المصاهرة نعمة وكرامة . فلأن أصل ثبوت مطلق التحريم كرامة للإنسان . وارتفاع بقدره عن رتبة الحيوان . وكونها نعمة . فلأنها تلحق الأجنبيات بالمحارم . فيحل له النظر إليهن . والخلوة معهن والسفر بهن . وذلك من غير شك نعمة .

أما أن هذه النعمة والكرامة لا تنال بالسبب المحظور . فلما ثبت من وجوب المناسبة بين الحكم وسببه . فكما لا يقال . أكرم الجاهل وأعز العالم . لانتفاء المناسبة . فكذلك لا يصح أن يجعل الزنا سببا لتلك النعمة والكرامة لانتفاء المناسبة بينهما . ولذا قال الشافعى : « النكاح أمر حمدت عليه . والزنا فعل رجمت عليه فلا يستويان » .

ثالثا : قوله صلى الله عليه وسلم « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . فالولد الذى تثبت له الأحكام الشرعية من ثبوت النسب والنفقة والإرث والوصية هو من كان من نكاح شرعى . أما من كان من الزنا . فلا تثبت له هذه الأحكام . وإذن فلا يكون للبنت من الزنا . حكم حرمة المصاهرة قياسا على انتفاء سائر أحكام النسب فى جانبها .

(ب) واستدل الحنفية ومن وافقهم من الحنابلة وبعض المالكية بالأدلة الآتية :-

أولا : بالكتاب . قال تعالى « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » . فإن المراد بالنكاح الوطء لأنه حقيقة فيه . وتقييده بكونه حلالا قدر زائد على النص . لا يثبت بخبر الواحد ولا بالقياس .

والدليل عليه . أن موطوءة الأب بملك يمين حرام على ابنه . فهذا إثبات أن المراد بالنكاح محض الوطء .

ثانيا : بالسنة . وذلك بما رواه ابن حزم عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن أم الحكم أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امرأة كان زنى بها فى الجاهلية . أينكح الآن ابنتها . فقال عليه السلام : (لا أرى ذلك ، ولا يصلح لك أن تنكح امرأة تضطلع من ابنتها على ما اطلعت عليه منها) وفيه ابن أم الحكم .

وبقوله صلى الله عليه وسلم . من نظر إلى فرج امرأة لم يحل له أمها ولا بنتها . وفيه الحجاج بن أرطأة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال ابن حزم وابن أم الحكم مجهول والحجاج بن ارطأة هالك - وكلاهما مرسل. ولا حجة فى مرسل (١) .

وقال للكمال عن الحديثين . كلاهما مرسل ومنقطع . إلا أن هذا لا يقدح عندنا إذا كان الرجال ثقاة (٢) .

ثالثا : بالمنقول من مذاهب الصحابة - رضوان الله عليهم - فقدى روى مذهب التحريم عن ابن مسعود وأبى بن كعب وعمران بن حسين وابن عباس بألفاظ مختلفة - ورأى الصحابى وإن لم يعتبر حجة عند الحنفية إلا أنه يقوى الرأى المطروح للنظر ويرجحه .

رابعا : قال ابن القيم فى زاد المعاد : (أجمعت الأمة على تحريم أمه عليه ، وخلقه من مائها . وماء الزانى خلق واحد . وإنهما فيه سواء . وكونه بعضا له مثل كونه بعضا لها) .

قلت : يعنى فحيث امتنع بالإجماع تحريم ابن الزنا على أمه يمتنع تحريم بنت الزانى عليه لأن النسبة بين الزانية وابنها كالنسبة بين الزانى وبنته سواء بسواء .

* * *

٣ - النتيجة :

هذا عرض للمذاهب الإسلامية فى هذه المسألة وملخصها : أن الحنفية والحنابلة يتخذون موقفا واحداً فى القول بتحريم الحياة الزوجية ابتداء واستمراراً بسبب المخالطة الجنسية غير المشروعة وأن المالكية على بعض الخلاف بينهم والشافعية ثم الظاهرية الذين يمثلهم ابن حزم - باستثناء مسألة واحدة يذهبون إلى عكس ذلك . ولا يرون للمخالطة غير المشروعة تأثيراً على الحياة الزوجية .

والذى يترجح عندى الأخذ بمذهب القائلين بالتحريم تورعا وذهابا مع المحقق الكمال رضى الله عنه فى أن حكم الحرمة (هو الجارى على المعهود من الاحتياط فى أمر الفروج) . ولأن الأخذ بهذا الرأى يقف حائلا فى وجه مظاهر الاختلاط الشائعة فى الأوساط العائلية وغيرها حيث يحتمل أن يلتقى النساء بالرجال فى جو واحد . ويكون العمل به ، من قبيل سد الذريعة إلى ما هو محرم وضار ومخرب لكيان الأسرة والمجتمع .

٤ - تعليل محتمل :

نلاحظ أن الخلاف فى هذه المسألة وجد قديما بين الصحابة ثم التابعين ثم ظهر فى المذاهب الفقهية بعد ذلك . وتسنح لنا من وراء هذه الملاحظة خاطره ، وهى أن هذه المسألة تصلح أن تكون مثالا على تأثر الآراء الفقهية بالبيئة الإقليمية التى نشأت فيها . فنجد أهل العراق على القول بالتحريم

(١) المحلى لابن حزم جـ ٩ ص ٥٣٥ .
(٢) راجع الفتح جـ ٢ ص ٢٦٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واعتبار البنت من الزنا كالبنت من الحلال فى ذلك ، وهو ملحظ لايخلو من اعتبار ، وأن أهل الحجاز يرون عكس ذلك ، وأن الزنا لا يحرم شيئا وأن المخلوقة من ماء الزنا مهدرة الحكم إهدارا . كما أنه لم يوجد نقل قاطع فى هذه المسألة عن النبي صلى الله عليه وسلم . فما نقل من الحديث فيها غير صحيح . منقطع ومرسل ومكذب بعض رواته ، كما صرح بذلك النقدة ، ثم صار مدار الترجيح فيها إلى أقيسة الفقهاء وآثار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فقد نلمح من هذا أن بيئة العراق لما كانت بيئة مدنية متحضرة يشيع فيها عمل النزعات الفلسفية المتحررة والآراء الاجتماعية المرنة . حيث لا ينظر فى أمثال هذه البيئات للبنت غير الشرعية نظرة شديدة النفرة والقساوة ـ بعكس الحال فى البيئات البدوية ذات الطابع الصارم ، وتناول مسائل الحياة بأسلوب يغلب عليه العنف والحزم ـ وأن بيئة الحجاز لما كانت بيئة بدوية صارمة على النحو الذى وصفنا وكانوا ينظرون لفعلة الزنا بعنف واشمئزاز ويبتون المخلوقة من ماء الزنا بتا ـ نقول لما كان الأمر ـ فى اختلاف البيئتين من حيث الاعتبارات الاجتماعية والنزعات الفلسفية ـ على ماذكرنا ، فقد صدر كل من القولين قول أهل العراق وقول أهل المدينة والحجاز مصبوغا بلون البيئة التى نشأ فيها . ثم قننته عبارات الفقهاء وأيدته أدلتهم بعد ذلك ، وهو أمر ملحوظ دائما فى التفاعل التشريعى بين البيئة والعمل القانونى .

محمد سلام مدكور

القلق الروحى هو أخص خصائص الإنسان الراقى ، لا تجده فى البدائيين ولا فى المستعبدين ولا فى المتبطلين ولا فى الذين يعيشون يوما بيوم ولا ساعة بساعة . لا تجده فى الموظف الذى قنع بوظيفته فلا يطمح ، ولا فى المتعلم الذى اكتفى بشهادته فلا يبحث . ولا فى المستكين الذى رضى بمهانته فلا يغامر . من « وحى الرسالة » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مهرجان الشعر في دمشق

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

في الساعة السادسة من مساء اليوم الثالث والعشرين من سبتمبر بدأ المهرجان على مسرح معرض دمشق بكلمة بليغة للدكتور أمجد الطرابلسي أبان فيها أن الشعر الجديد بهذا الاسم هو ما عبر به صاحبه عن تجاربه ومشاعره تعبيراً قويا صادقا مؤثرا ، ومن ثم فلا ينبغي أن يقال هذا شعر قديم ، وهذا شعر جديد إلا حين يراد التاريخ الزمني فحسب ، لأن الشعر في جوهره خالد أبداً ، متجدد على الدوام . وكان ذلك رداً بليغاً على أصحاب الشعر الجديد الذين يزعمون أن شعرهم يتصف وحده بالتجديد والتطور ، على حين يتسم غيره بالتقليد والجمود ! ...

وأعقبت هذه الكلمة كلمة أستاذنا العقاد التي أوضح فيها أن الشعر يتجدد من سنة إلى سنة ، ولكن كما يتجدد الربيع عاما بعد عام وأن الشعر إذا تغير ، فإنما يتغير على سنة الحياة ، لأنه هو التعبير عن الحياة ويتغير على سنة الربيع المتجدد ، وهو على تجدده الذي لا ينقضي ، أعرق من التاريخ . وفي هذه الكلمة تحدث العقاد عن ذلك الحنين القوي الذي ظهر في الشعر العالمي إلى مراجعة الوزن ، وإيثار الكلم المنظوم على الكلم المرسل بغير وزن ولا قافية . ثم استشهد على ضرورة القافية بما ورد في الطبعة الأخيرة من الموسوعة البريطانية الكبرى ...

تقول الموسوعة في فصل كتب عن القافية « إن قوانين القافية قد تصعب أحيانا كغيرها من القيود الفنية ، ولكنه ما من دليل قط على أن الجمال المطبوع الذي تجلبه القافية إلى الشعر يفقد أثره على الأذن الإنسانية ، أو يتعرض لخطر من الأخطار ممن يحاول أن يستبدل به النبرات او النغمات أو مجرد الإيقاع ...

وهكذا حسم الأمر فيما يدعيه أصحاب الشعر الجديد .

وتلت ذلك كلمة الأستاذ شفيق جبري التي تحدث فيها عن البحتري بمناسبة ذكراه حديثا لا مجال للكلام عنه الآن ، لأنني سأفرد مقالا خاصا أتحدث فيه عن الأبحاث التي ألقيت في المهرجان عن شاعرنا البحتري ، من كبار الكتاب ، وأساتذة الأدب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتتابعت القصائد فى هذا اليوم وفى سائر الأيام . وسنتحدث عنها فى هذا المقال حديثا عاما مجملا ، لأن دراستها دراسة تفصيلية تحتاج إلى عدة مقالات ، إن لم نقل إنها تحتاج إلى كتاب .

وأول ما نلحظه فى هـــذه القصائد جاءت كلها منظومة على النحو المألوف فى الشعر العربى قديمه وحديثه ، ولم يكن بينها قصيدة من طراز الشعر الجديد ، وقد اتسم الكثير منها برصانة التعبير ، وجدة التفكير ، وجمال التصوير .

وكان أغلب شعر المهرجان يدور حول المعانى التى تتصل بواقعنا المشهود ، ومستقبلنا المرتقب ، وتنزع إلى حضارتنا التليدة ، ومجدنا القديم . ولا عجب فى ذلك . فإن الأحداث التى عاصرناها ، والمبادىء التى تبنيناها ، والمجتمع الذى نبنيه على أسس تحقق مجد العروبة ، وكرامة الإنسان ... كل أولئك كان له صدى بعيد وتأثير عميق فى نفوس الشعراء ، فتفجر شعرهم قوى التعبير ، بليغ التأثير ، واضح الغاية . وكم كنت أتمنى أن يشهد هذا المهرجان من يزعمون أن الشعر قد مات بعد شوقى وحافظ ، لأنهم يتلفتون فى المناسبات القومية ، فلا يجدون الشعراء الذين يقولون ولا يسمعون الشعر الذى يقال . كم كنت أتمنى أن يشهدوا هـذا المهرجان ليعلموا أن الشعر بخـــير ، وأن الشعراء موجودون . ولكن أين المنابر التى من فوقها ينشدون ؟ وأين وسائل النشر التى تنشر لهم ما يريدون ؟ ...

والذين يثيرون الغبار حول المهرجان إنما يفعلون ذلك لأن القائمين على مهرجان الشعر لم يعترفوا بشعرهم فيسمحوا لهم بإنشاده فأحنقهم ذلك وأثار غيظهم ، كما أحنقهم وأثار غيظهم أيضا ما ظفر به الشعر المنظوم فى هذا المهرجان من إقبال الجماهير ، وتقدير الصحافة . ولأنى أريد أن أكون صادقا مع نفسى ومع الناس صريحا فى مقالى وموضوعيا أيضا . أذكر أن بعض القصائد التى ألقيت فى المهرجان كانت دون المستوى الفنى اللائق به ، وقد كان من الأولى استبعادها ، ولا ينبغى أن يجامل بعض الأشخاص أو بعض الأقطار على حساب الشعر ، وقد علمت أن بعض الشعر قد ألقى فى المهرجان دون أن يعرض على المختصين !! ...

والآن لنستعرض معاً أيها القارئ بعض ما أنشد من الشعر فى هذا المهرجان .

لقد أقيم المهرجان فى دمشق الفيحاء ، فكان من الملائم أن يتغنى الشعر بجمالها الرائع ، ومجدها الخالد ، وحضارتها الزاهية ...

هذا رامى ذو القلب الفتى الشاب يصور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شوقه وحنينه إلى دمشق وأهلها فيقول ، وما أجمل ما يقول :

طال شوقى إلى ربا قاسيون
وهفا بى إليه فرط حنينى
غبت عنكم حولا ، وما غاب عنى
ما شجا خاطرى ، وشاق عيونى
من حديث أندى من الزهر فى الفجـ
ـر إذا رف تحت ظل الغصون
وصفاء يشف عن كرم النفـ
ـس ، ويغنى عن الإخاء المتين
ووفاء تمضى الليالى ، وتبقى
صورة منه فى إطار السنين

ثم يصف جمالها ، ويتحدث عما فيها من الفتون ، حديث المتيم المفتون فيقول :

ما أحيلاك يا دمشق ! وأبهى
كل ما فيك من ضروب الفنون
جنة تبهر العيون ، وواد
ضاحك الظل ، هادر بالعيون
زينت جيدها عقود من الغـ
ـدران سالت باللؤلؤ المكنون
كلها عذبة الخرير على حسـ
ـن اختلاف فى غنة ورنين

وهذا صالح جودته شاعر الرقة ، يناجى « بردى » مناجاة المحب الوامق ، فيقول :

فديتك يا « بردى » ما جريت
تغنيت بالحب إذ تهـدر
تحب عيونك سحر العيون
وتحسد رونقك الأنهـر
على درجاتك طال الربيع
وطاب بك الصحب والمعشر

ثم يلتفت إلى دمشق ، فيخاطبها بهذه الأبيات :

أجل . . ذاك موسمنا يا دمشق
وفيه خريخفك يخضوضر
وأنت إذا لم تكونى الجنان
فإنك من روحها جوهر
مشينا إليك مع المهرجان
خطى المؤمنين إذا كبروا

ويختم قصيدته بأبيات يحيى فيها ثوارنا الأحرار ، ويشيد بالمبادىء التى آمنوا بها فى مجال الحياة . فيقول :

رعى الله من قومنا فتية
مشوا للجهاد فما قصروا
أقاموا الحياة اشتراكية
يعز بها الكادح المعسر
وسنوا شريعتهم فى الحياد
وقالوا هو الحلف والمحور
وما أمنوا للألى أيمنـوا
ولا آمنوا بالألى أيسروا
ولكن تلاقوا على وحـدة
ينادى بها الثائر الأسمر

والشاعر كامل أمين الذى اشترك فى معركة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلسطين ، ونقل جريحا إلى دمشق يتحدث عن هذه الذكريات حديثا يمتزج فيه الألم بالاعتزاز فيقول :

كبرت لله لما عدت ثانية
أقبل الأرض تحمى قبلة الظامى
هذى مساحب قلبى بعد عودته
من المهاجر يندى جرحه الدامى
فلول جيش وأعلام ممزقة
كصعدة الرمح ، أو أشلاء ضرغام
وحفنة من بقايا كل صاعقة
فى الحرب ، أطلقها رام على رام

إلى أن يقول :

دمشق يا وطن الأفلاك ، يا وطنى
يا وحى شعرى وتاريخى وإلهامى
حسبى أراك ، ولو ملكت أجنحة
مسحت عينى ، وما داست أقدامى

والقومية العربية لها فى نفوس الشعراء أسمى مكانة ، وأرفع منزلة ؛ فهى عقيدتهم التى بها يؤمنون ، وعنها يناضلون ، وهى سر قوتهم ، ومبعث عزتهم ، ومنارهم الذى يضىء لهم طريق المجد ، ويهديهم سبيل الخلود ، فلا عجب أن يتغنوا بها فى المهرجان ، غناء يبقى على مر الزمان ... يقول الشاعر عبد الله يوركى فى قصيدته « الوحدة » :

يا أخى ، يا أخا العروبة هيا
قم نعانق رجاءنا البساما
قم نوحد بلادنا ، قم نحطم
وثن البغى ، قم نهز الخياما
لست منى ، ولست منك إذا لم
نتعاون عقيدة وحساما
القوى القوى يحيا سعيدا
وأخو العجز يلعن الأياما
لا تخف مدفع العداة . وأقدم
فالمنايا تخشى الفتى المقداما
كل جرح أصاب صدر أبى
شع فى صدره الجريح وساما

أما أبو سلمى . فهو يريد أن يرى القومية العربية حقيقة مجسدة ، فى أمة موحدة ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا دالت دولة الاستعمار فى كل أرض عربية ، ولذلك نراه يصرخ فينا صرخته القوية :

لا تقولوا قومية ... وبقايا
قومكم فى الكهوف دون جناح
لا تقولوا ترابنا عربى
بعد ما دنسته دنيا افتضاح
تتغنون بالبطولة والأنجم
نبكى على الحمى المستباح
لا تقولوا عروبة ، وفلسطي
ن تنادى : متى يفك سراحى ؟

فليسمع ذلك أولئك الذين جعلوا إسرائيل تقيم الأفراح ، وتعلن البشائر ، وتحول نهر الأردن !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهذا شاعر الجامعة العربية محمد التهامى يخاطب أبناء العروبة فى قصيدته البليغة ، فيقول :

بنى العروبة ، نحن الكل ، وحدنا
ماض عزيز ويوم حافل وغد
بغداد إن مسها وجد وأرقها
فنحن ، نحن الألى نشقى بما تجد
عمان إن عز فيها بعض ما طلبت
فمن عزيز دمانا الغوث والمدد
وتلك تونس نادت فاستجيب لها
يفديك تونس منا المال والولد

ثم يذكر فرقة العرب التى كانت سببا فى ضياع فلسطين ، ولن تظل ضائعة ، وفى قيام إسرائيل ، وان تبق قائمة :

لو يشعرون بما جرته فرقتهم
لو يشعرون لما قرت لهم كبد
لو يذكرون فلسطين التى ذهبت
لو يذكرون لولى الصبر والجلد
الأهل فى دارهم باتوا على دعة
وأصبح الصبح لا أهل ولا بلد

وإذا تحدث الشعراء عن القومية العربية حديث الفخر والاعتزاز ، فإن من طبيعة الأشياء أن يتحدثوا عن رائدها فى عصرنا الحديث ، وباعثها فى حياتنا الحاضرة جمال عبد الناصر ، فلنستمع إلى الشاعر عامر بحيرى فى قصيدته الحافلة : « مواكب الشعر » :

صدر هذا الزمان كالزمن الساما
الف عهد من العلا والبطولة
عجبا للزعيم يبعث فيه
مثلما يرسل الإله رسوله
قام فى أهله جمال ، فأغلى
شبه المنتقى ، وشرف جيله
بعث العرب بعد سجن وقيد
لحياة عريضة مستطيلة
قد عرفناه صامدا وشجاعا
وفتى عزة ، وداعى رجولة
صافحته قلوبنا خافقات
واستباحت عيوننا تقبيله

ولنتأمل ما يقوله الشاعر صلاح الدين كديمى فى قصيدته « قصة العروبة » :

يابانى المجد فى آفاق أمته
بما يحقق من نصر على النوب
أقصيت عن أرضها ظل الغزاة ولم
تجنح إلى فشل فيه ، ولم تخب
يرعاك من عرشه رب السماء بما
يزجى من العون عن بعد وعن كثب

ولعلك تسأل أيها القارىء : وأين فلسطين فى هذا المهرجان ، وهى حافزة الهمم ، وملهمة الشعراء ؟ فاسمع صرخة عبد الله شمس الدين :

مهلا فلسطين ... ارقبى
ركب السنا وترنمى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ليل الهوان قد انطوى
من أفقك المتجهم
قد جاء « ناصر » بالصبا
ح يزفه لك ، فابسمي
وترقبي يوم الخلا
ص على يديه ، واسلمي

ثم أنصت إلى عزمي الدباغ ، وهو يتمنى العودة إلى موطنه الحبيب :

يا صاحبي هلا أعود لموطني
والعود مطلب أمتي ورجاها
وطني فلسطين الجريحة سعرت
زفرات قلبي من لهيب نواها
منحته آية مجدها ، فبدا له
عز الحياة فهام في ذكراها

ثم يهتف في عزم وقوة :

سنعود رغم الغاصبين لأرضنا
والثأر غاية ثورتي ومناها

وكان الحديث عن اللاجئين موضوع قصيدتي الشاعرين الشابين عبد المنعم عواد ، وفتحي سعيد ، وقد فاز الأول بالجائزة الثانية وفاز الثاني بالجائزة الثالثة في المسابقة التي عقدها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بين الشعراء الشبان ممن يقل عمرهم عن ثلاثين عاما .

وهل يستطيع الشعر أن ينسى الجزائر ، وهي أرض البطولة ، وموطن الكفاح ، وقصة التضحية والفداء ؟ هذا صالح الخرفي الشاعر العربي الجزائري ينادي رفاقه المجاهدين في كل أرض عربية :

أيها الزاحفون زحف المنايا
في ذرا « أطلس » الأشم المصابر
في ربا « ميسلون » في « الجبل الأخ
ضر » في ضفة « الخليج » المغامر
أيها العائدون عودة زحف
عربي الخطى ، أبيّ المشاعر
أنتم المجد والخلود ، وأنتم
مهرجان انطلاقنا ، والمنابر
لست أخشى على العروبة شرا
ما تبقى في جبهة العرب ثائر

وهذا صاحبه معزي زكريا يتحدث عن تضحيات الجزائر ، وعن الخطوب وأثرها في إنهاض الشعوب فيقول :

وفي الجزائر أشلاء ممزقة
راحت عن العرب قربانا وغفرانا
الشرق في الخطب طارت عنه سكرته
لولا المصاب لظل الشرق سكرانا
قد كان ما كان ـ والأيام موعظة ـ
يا ليت ما كان قبل اليوم ما كانا

ولم يكن شعراء الجزائر وحدهم في هذا المجال ، فهذا أستاذنا علي الجندي يسخر من ديجول سخرية مرة موحية ، ويصوره تصويرا هزليا بليغا لموقفه من الجزائر المناضلة فيقول:

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قل لديجول ، وبعض القـ
ـول للمرضى شفـاء
أنت هرقـوب فرنسا
والعراقيب سـواء
أجوف كالطبل مشرو
خا على بعض الهـواء
ذاهب فى الجو كالنخـ
ـلة من غـير غناء
قامة تحبو على الأر
ض ، وأنف فى السماء

وقد احتفل المهرجان بذكرى البحترى شاعر الشام ، فأسهم الشعراء فى هـذا المجال بقصيدة للأستاذ الكبير محمود غنيم يقول فيها :

حين غنت دمشق شعر الوليد
قالت الطير : يا دمشق أعيدي
رددى يا دمشق لحنا وعته
أذن الدهر منذ عهـد عهيد
شاعر أعجز الفحـول بشعر
سلس طيـع ، عصى عنيد
شاعر ، بل مصور ، بل مغن
ما قوافيه غير أوتار عود

وبقصيدة للشاعر المجيد العوضى الوكيل ، يصف فيها شعر البحترى ، وصفا جميلا صادقا كما فعل صاحبه غنيم ، فيقول :

على شعره وسم للشآم وسحره
أفانين من سحر تحير رائيها
إذا وصفت حسن الربيع شهدته
وأزهاره قـد فتحتها قوافيها
أليس بها من جنتيه مشابه ؟
وما أصدق الأشعار وصفا وتشبيها

وكما هاجم العقاد فى نشره الشعر الجديد هجوما عنيفا ، فقد هاجمه الشعراء فى شعرهم مثل هذا الهجوم ، وكان أولهم صالح جودت حيث يقول عن أصحاب هذا الشعر :

يقولون جاءوا بشعر جـديد
يحب القـديم الذى نكبرُ
تفاعيلها يزدريها الإطـار
ومبناه تنكره الأبحـر
وأبياته كضمير اليهـود
تطول مع الزيف أو تقصر

إلى أن يقول :

وما الشطرتان سوى المقلتين
وفاق إحـداهما أعور

ثم جاء الشاعر الجزائرى معزى زكريا ، فقال عنهم :

وعابثين أرادوا الشعر مهزلة
فأزعجوا برخيص القول آذانا
تنكروا للقوافى حين أعجزهم
سوغ القوافى ، وضلوا عن ثنايانا
قالوا : الجمود على الأوزان وزنكم
فشعرنا الحر لا يحتاج أوزانا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فأين من جرس الإيقاع خلطكم
ماالشعر إن لم يكن سوقا وأغصانا،
وكيف ؟ هل خلد التاريخ شخصكم
مهما تفنن إخراجا وإتقانا ؟
وما عسى تنفع الإسفاف مطبعة
تضفى الدمقس على الأموات أكفانا

واختتم الهجوم محمود غنيم بهذه الأبيات البليغة :

هل درى البحترى أن أناسا
بعده شوهوا جمال القصيد ؟
قد جزينا على ارتكاب الخطايا
بأناس جاءوا بشعر جديد
زعموه حرا ، ورق الجوارى
بعض أوصافه ، وذل العبيد
عصبة تحسب القوافى غلالا
وتعد الأوزان بعض القيود
لهم الله ، كل عى لديهم
مظهر من مظاهر التجديد
ما أراهم يلقون شعرا ، ولكن
يحصبون الأسماع بالجلمود
إن يكن طابع العروبة فى الشعر
جمودا ، فمرحبا بالجمود

وقد اشترك فى مهرجان الشعر شاعران من شعراء الشعر الجديد ، هما حجازى وعبد الصبور ، فأما أولهما فلم يلق قصيدته لظروف لا محل لذكرها الآن ، وأما الآخر فقد ألقى قصيدة من الشعر المألوف ، وقد وصفتها إحدى صحف دمشق بأنها قصيدة ضبابية لا مغزى لها ، وهى تدل على أن صاحبها قد عجز عن صياغة الشعر المألوف ، فهرب إلى صياغة أخرى يستطيعها كل إنسان ، وإن لم يكن شاعرا خبيرا بالقوافى والأوزان. ولست أدرى كيف اشترك الشاعران فى المهرجان بشعر مألوف ، وهما ينكران هذا الشعر ؟ أتراهما تخليا عن مبدئهما فى الشعر نظير رحلة إلى دمشق ، وإقامة فى «سميراميس» ؟ الحق أننى كنت أفضل - حرصا على مبادئهما - ألا يشتركا فى المهرجان ، مادام المشرفون عليه لا يعترفون بشىء اسمه الشعر الجديد .

ولا أستطيع أن أقول إننى قد قدمت للقارىء صورة كاملة لهذا المهرجان إذا أنا لم أعرض نماذج من شعر الشاعرات اللائى شاركن فيه ، وقبل عرض هذه النماذج يقتضينى الإنصاف أن أذكر أن شعرهن قد بلغ مبلغا من التجويد يستحق الإعجاب والتقدير ، ويُحمد قائله شاعرا كان أو شاعرة . ويقتضى الإنصاف أيضا أن أقول هنا وأنا مطمئن لما أقول : إن فى عصرنا الحديث شاعرات يقفن فى مجال الشعر جنبا إلى جنب مع غيرهن من الشعراء . والعجب أن هؤلاء الشاعرات قد أبدعن شعرا قويا فى الموضوعات القومية ، شعرا اختفت منه سمات الرقة الأنثوية ، ليحل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

محلها مثل زئير الأسود ، وزمجرة الأعاصير ! ولكنى سأكتفى بما سجلته من شعر الرجال ، فى هذا المجال ، وسأعرض هنا من شعر النساء لونا من الشعر يدل على مقدرتهن الفنية من جانب ، ويوضح ظاهرة شعرية تجلت فى المهرجان من جانب آخر ، ذلك أن بعض ما أنشد فى المهرجان لم يكن يصور مشاعر عامة فى موضوعات قومية ، وإنما كان يصور مشاعر خاصة فى تجارب ذاتية . ومن هذا الشعر الذاتى سنأتى بألوان من شعر شاعراتنا المجليات .

هذه قصيدة « من وحى الزهور » للشاعرة شريفه فتحى . تربط فيها بين ألوان الأزهار ، وما تثيره هذه الألوان فى النفس من خواطر وأحاسيس ، فتقول :

إن كانت الأزهار ذات معان
أو فسر الإحساس بالألوان
كان البنفسج آهة الأشجان
أو أنة الشكوى من الحرمان

* * *

والياسمين بطهره المأثور
فوق النحور كلؤلؤ منثور
وعلى الخمائل كالبنات الحور
ترنو إليك بأعين وثغور

وتبدو المحبة العميقة المتبادلة بين الفتاة وأمها فى شعر روحية القليني حين تقول :

من وحى قلبى ، من تألق ذاتى
من نبع وجدانى سرت دعواتى
يا رب صن أمى وسر سعادتى
يا رب ، واحفظها بحق صلاتى
هى بسمتى ، هى نظرتى ، هى مؤنسى
هى مرشدى فى أحلك الظلمات

وحين تقول :

إن غبت عنها أرهفت من سمعها
وتعرفت بين الخطا خطواتى
فإذا حضرت تظل توسع جبهتى
قبلا كأنى غبت من سنوات
وإذا شكوت لها الحياة تجيبنى
لوذى بإيمان وفرط أناة
وثقى بربك يابنيـــة إنه
يرعاك فى الروحات والغدوات

وهذه عزيزة هارون تشفق من فراق صديقتها ، فتهتف بها قائلة :

لا تبعدى . . . إنـــنى
أخاف من وحـــدتى
وعـــالمى واســـع
أكبر من مهجتى
ودمعـــتى فســـحة
تنساب فى بسمتى
إن تبعدى ، إنها
تحـــرقنى . . . دمعتى

وأستطيع الآن أن أقول إننى قد أعطيت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صورة صادقة ، وإن تكن صغيرة ، لما ألقى فى المهرجان من شعر قومى عام ، أو ذاتى خاص . وقد رأى القارئ أن هذا الشعر فى مجموعه شعر رائع يدل على أن الشعر بخير ، وأن الشعراء موجودون .

وبقى أن أسجل إعجابى الشديد بما لمسته عند إخواننا السوريين من تقدير للشعر ، وإقبال عليه ؛ فقد كانت قاعة المهرجان تغص ، على سعتها ، فى كل يوم بالآلاف المؤلفة من الجنسين ، على الرغم من أن الدعوة كانت خاصة ! ولو أنك شهدت فضليات السيدات ، وكرائم الآنسات ، وهن يملأن قاعة المهرجان ، لخيل إليك أنهن قد أقبلن لسماع أم كلثوم فى أغنية من كلمات رامى ، ولحن من ألحان السنباطى ، أو لشهود هزلية مما يمثل فى القاهرة على مسرح الريحانى . ولقد كنت أجلس ذات يوم قريبا من سيدة معها ابنتاها ، وكان المتحدث عن البحترى يتمثل بأبيات من شعر المتنبى ، فأشهد أنى سمعت الأم وابنتيها وهن يسبقن المتحدث فى الإنشاد ! فاسألوا كم سيدة من سيداتنا تصطحب بناتها إلى مهرجان يقام للشعر ، وكم سيدة أو آنسة من غير المشتغلات بالشعر والأدب تعرف من يكون المتنبى من بين من خلق الله أو ما خلق الله ؟ .

وظاهرة أخرى تدل على حب السوريين للأدب ، وتقديرهم للأدباء ، وذلك أنهم ما كادوا يعلمون بحضور صاحب الرسالة أديبنا العربى الكبير الأستاذ الزيات ، حتى توافدوا عليه مرحبين أجل ترحيب ، ومثنين أعظم ثناء ، فكان مجلسه ندوة من ندوات الأدب ، ومظهراً من مظاهر العروبة . وكان الجميع يتحدثون عن الرسالة الغائبة حديث الحب والشوق والإعجاب ، ويسألون : متى تعود إلى مكانها فى طليعة المجلات وقد ظل شاغراً منذ فارقته ، ومازال ينتظرها حتى الآن ؟

وكان من المقرر أن يستمر مهرجان الشعر والاحتفال بذكرى البحترى حتى مساء الخميس الثامن والعشرين من سبتمبر ، ولكن فى الساعة الأولى من صباح هذا اليوم أعلنت الخيانة عن نفسها ، وكشر الغدر عن أنيابه ، وقامت الحركة الرجعية ، بدعوتها الانفصالية فرأينا مظاهرة هزيلة مأجورة تجوب شوارع دمشق ، وهى تهتف هتافات رعناء تكشف حقيقة من يسيرون فيها وتفضح نوايا من سيروها . وما يكاد النهار يتقدم حتى تغمر دمشق مظاهرات جارفة . تضم الألوف من الشعب رجالا ونساء ، فتيانا وفتيات ، وهم يشقون عنان السماء بالهتاف للوحدة والإشادة بجمال . وأشفق قادة الحركة على أنفسهم من الهزيمة وعلى حركتهم من الإخفاق ، فأصدروا الأوامر بقمع المظاهرات وسرعان ما غمرت الدبابات والمصفحات شوارع دمشق

(البقية على صفحة ٨٥٩)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مطران ، وأبعد منزعه وعمق تحليله فى النادر من شعر الخفيف ، ولا أزال أذكر قصيدته « أيتها الابتسامة » تلك التى تشخص بريق الابتسامات المختلفة ، فنعرف شعاع كل بسمة ومصدره ، فبسمة الذل غير بسمة الشهوات غير بسمة الرياء غير بسمة الفرح غير بسمة التهكم وإن كان لكل بسمة بريق يتحد مظهرا ويختلف تأثرا وانعكاسا ، وكم كان يسرنى أن أذكر هذه القصيدة فى مجال الاشتهار ، ولكن القارىء الطلوب سيعثر عليها بسهولة فى العدد (٦٠٠) من الرسالة ، ونحن نهيب بمجلس الفنون والآداب أن يلتفت إلى ديوان الشاعر فيأمر بطبعه أسوة بمن طبع دواوينهم من الشعراء ، واكثره بمجلات الرسالة ، وأقله بمجلات الرائد ، وكلتاهما تحتل المكتبات العامة فلن يتعب من يريد النشر والطبع ، ولكنه سيغنم الشكر والتقدير ، ولعلّ كلمتنا هذه تكون عزاء متواضعا لمن قرءوا الخفيف وعشقوه ، وهى أيضا إجابة مفحمة عن سؤالنا المتقدم : هل من وعى أدبى ؟ وفيها المقنع السديد .

محمد رجب البيومى

(بقية المنشور على صفحة ٨٥١)

واستخدم رجال الجيش والشرطة كل وسائل القمع لفض المظاهرات وتفريق المتظاهرين .

وفى عصر يوم الجمعة سارت بنا السيارات فى الطريق إلى بيروت ، وكان الشعب يقف على جانبى الطريق يشيعنا بنظراته التى تعبر بصمتها البليغ عن مشاعره الحبيسة وعواطفه المكبوتة . وأبى إخوان كرام إلا أن يرافقونا إلى الحدود بين سورية ، ولبنان الكريم ... لبنان الذى استقبلنا بالحب والشوق والترحاب حين شيعنا الإخوة المرافقون بالقبلات والعناق والدموع ، وعادوا وهم يتمنون لنا سفراً سعيداً ، وعودا حميداً ... أجل أيها الإخوة ... عودوا إلى الفيحاء ذات الغوطتين التى يطوقها قاسيون بالساعدين ... وسنلتقى يا دمشق ... سنلتقى كما قلت وكما سأظل أقول.

سنلتقى عما قريب حين تورق الغصون
فحيّنا تحيا به أرواحنا ، ولن يهون
ومجدنا مفاخر ، تروى حديثها السنون
لقد رأيت فى الوداع كيف تدمع العيون
وكيف تهتف القلوب والضلوع فى جنون
سنلتقى عما قريب حين تورق الغصون

أجل سنلتقى بالقلوب النقية ، والنفوس الوفية ، والمشاعر الطيبة ، سنلتقى فى ظل الوحدة القوية لنسير معاً من جديد فى طريق القومية العربية .

ابراهيم محمد نجا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شمس تغيب
صفحة من كفاح أديب كبير

للأستاذ محمد رجب البيومى

اهتزت الدوائر العلمية والأدبية لنبأ موت الأستاذ محمود الخفيف فجأة وهو يؤدى واجبه فى مدرسة الإبراهيمية الثانوية ، ولم تقم الصحافة اليومية بما كان ينبغى لرجل خدم الثقافة . وعمل فى الصحافة . وكان أنموذجا حيا قويا سليما للصلح الأديب المؤمن المتدين .

كان الأستاذ الخفيف صاحب رسالة فى دنيا الأدب والفكر ، فلم يكن ليكتب كلمة واحدة لا تهدف إلى مثل رائع ، أو تكشف حقيقة مطموسة ، وإذا أردت سمة بارزة لأدبه ، فتلك هى البطولة ، بطولة الرأى حين يواجه بحقه الساطع قلول الباطل فيقهرها فى اعتزاز ، وبطولة الفكر حين ينزع إلى القمم الشامخة فى دنيا الإنسانية ، فيرفرف فى أجوائها ، ويستلهم مناذعها وأهواءها ، وبطولة اللفظ حين يؤثر التركيب الحر ، والتعبير الموحى المشع ، فيعرضه فى موكب من البلاغة العالية . وبطولة الإحساس حين يتجه إلى تصوير أدق مناز الضمير الحى ، وأرق خلجات الروح المتوثب ، وأخفت همسات الشعور النبيل فى شعر صاف ينحدر كالماء !! لقد كان الرجل مؤرخا وكاتبا وشاعرا ، وفى كل ناحية من نواحيه يستفيض القول ، ولن نقدر على استيفائه إلا باقتضاب طائر يهدى الكتاب !! إلى آثاره ، ولعلهم يطالعون .

ترك الأستاذ الخفيف فى سجل التاريخ مؤلفات حية خالدة ، لأن الكاتب لم يعمد إلى بعض الحوادث التاريخية ليؤلف منها كتبا مكررة ، مختلفة الأسماء فقط ، كالتى تملأ رفوف المكتبات ، ولكنه كان مخلصا أمينا فى تحقيقه ، فقد نظر إلى مواضع الخطأ المغرض ، والاتهام الزائف ، فجعل منها مضمار تفوقه ، وميدان تبريزه ، متعرضا فى سبيل ذلك إلى خصومات قاهرة عنيدة ، ومتحديا بها سلطات طاغية رهيبة ، تعمل على تلبيس الحق بالباطل ، وتتخذ لذلك من بعض الأقلام مطايا عليلة الضمائر ، مريضة الإيمان فتركبها ببريق المنصب ، ووهج الذهب ، لتفترى بها على البررة من زعماء الأمة ما يلمس صحفهم البيض !! ثم لا تقتصر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الخيانة للمكراء على هؤلاء الزعماء بل تتعداهم إلى الأمة المسكينة فيصفونها بالغفلة والانحطاط وقد ألقت زمامها فى أيديهم ، واستجابت إلى هواتف الوطنية ، ونوازع الكرامة والإباء .

ماذا كان التاريخ يقول عن أحمد عرابى قبل أن يحط عنه الخفيف مؤلفه الجرىء ؟ ! كان أكثر الناس يظنون بوحى من هذه المطابا المسخرة فى الصحف والمؤلفات أن الزعيم الأبى مثال الحمق والنزق والرعونة ، وأنه السبب الأول فى الاحتلال والهزيمة فلولا ثورته ما أتت انجلترا إلى مصر !! ثم يزيدون فيصفونه بالجهل والدروشة وحب المجد الشخصى ، بل يصمه كثير منهم بالخيانة ـ خيانة وطنه لا توفيق ـ ! حتى أن أعظم قادة الأمة من الكتاب والشعراء قد انساقوا إلى هذا التهتان ، فأحمد لطفى السيد يزعم فى الجريدة أنه قام بثورة لا داعى لها ولا قيمة ! وشوقى يرسل القصائد المخزية فى سب العصاة والمرقة الثائرين ! ولك أن تتصور بعد ذلك ما يقوله الأذناب والأبواق ! ومن يجرؤ على أن يثبت للزعيم حسنة شفعها بعشرات المآخذ ! وشبح القصر يلوح لعينيه فى كل كلمة تقال ، حتى جاء الخفيف فى سطوة فاروق وطغيانه فسطر كتابه الوطنى لينصف به البرىء النزيه ! فإذا عرابى البطل المعلم المفترى عليه ، وإذا الأمة تسترد كرامتها وتغسل عنها وضر الجهل والغفلة حين تابعت هذا البطل عن يقظة واختيار ، وقد شرحت فى عدد شوال سنة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر كيف قامت السفارة البريطانية وقعدت لمواجهة الخفيف انجلترا بما أسلفت من خيانة واعتداء ، وكيف زجر القصر وغضب الأمير على مجلة الرسالة فأوقفا بسلطة الحكم العرفى سلسلة البحث المتصل ! حتى أتيح له أن ينشر كاملا فى مجلد ضخم خاص ! وعرف الناس عرابيا على حقيقته طاهر السريرة ، مخلص العقيدة رائع الزعامة عظيم الدفاع ! .

لو لم يكن للباحث المؤرخ غير هذا العمل البطولى الضخم ، لكان فى طليعة المكرمين الأحرار ولكن له معه أعمالا مجيدة هادفة ، كانت مع دقتها العلمية ذات وحى وطنى رائع ، إذ أن القلم الذى حشد جهوده لدرء السبة الشنيعة عن وطنه المصرى ، فى شخصية زعيمه أحمد عرابى ، قد شاء أن يفتح عيون بنى قومه على آفاق جديدة تشرق بالحرية وتهب منها نسمات الكرامة والاستقلال ، حين كتب مجلدين كبيرين ـ لأول مرة فى اللغة العربية ـ عن سيرتى ابرهام لنكولن ، وتولستوى ، وهما يختلفان نشأة ، ونبوغا فالأول عصامى باسل أنضجته نار الحرمان والفاقه ، ولكنه شق طريقه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى الزعامة متسلحا بمواهبه الشخصية ومكافحا شتى أعاصير الرجعية والاستغلال والعنصرية حتى استطاع أن يسعد الإنسانية بعامة ، حين عمل على تحرير العبيد ، وتحقيق المساواة العادلة فى معشر يتهارشون على الغنائم المغتصبة والذهب المتجمد من عرق الكادح ، وجهد الزنجى وبؤس العبد ، فكان بحياته المكافحة علما من أعلام الحرية ودرساً ناجحا للكرامة يجب أن يعلمه قارئو العربية لينهض من بينهم من يعتنق مبادئه فيذود عن حوضه ويحمى حمى أجداده !! هذا لنكولن ، أما تولستوى فقد نشأ أرستقراطيا يحمل لقب الكونت ويتقلب فى أعطاف النعيم والدعة والجاه ، ثم نأى عن طبيعة طبقته . فعشق المعرفة والثقافة ، ووهب الإحساس الرحيم والشعور النبيل ، فانقلب إلى زاهد مصلح وكاد بمبادئه أن يكون نبيا ، إذ تنازل عن ضياعه الشاسعة لذوى الفاقة والكدح من عبيد الأرض ، وخدم السادة ، وعاش عيشة الفلاح المسكين ، والزاهد القانع وقد اجتاحت نفسه عواصف مدمرة من الشك المقلق ، والسهد الثائر ، فانقطع بنفسه قرابة عشر سنوات للتفكير فى الدين والبشر ، ونفض يديه من الأدب والإبداع حتى اتجه زورقه إلى ساحل الإيمان بعد أن حاول من الريف الحالكة أمواجا ذات بطش وجبروت ، وصار الفيلسوف بزهده وإيمانه وأدبه من ذوى الرسالات الخالدة فى دنيا البحث والإصلاح ، ومثله فى أهدافه الرائعة جدير أن يكون درساً آخر لقراء العربية كلنكولن سواء بسواء !! وفى اعتقادى أن الذين قرءوا كتب الخفيف الثلاثة عن عرابى وتولستوى ولنكولن قد وجدوا فيه مؤرخا من طراز نادر فهو مع حرصه على الحقائق وتتبعه المنهج العلمى فى البحث والاستنتاج ، ذو أسلوب مشرق ينفح بشذى الإبداع ، ويزرع فى صحراء الحقائق ورودا زاهية من الصياغة الفنية والإلهام العبقرى ، حتى ليخيل إليك وأنت تطالع آثاره التاريخية أنك تتابع قصة مؤثرة لا أنك تقرأ بحثا قامت معالمه واستوت مناحيه !! وبعض النقاد يظنون بين التاريخ والأدب مجافاة منكرة ، فلا يرحبون بجهد علمى يتشح بمطارف الأدب ، وقد تعرض إنتاج الخفيف لبعض المآخذ الموهومة حين اتجه إلى تقويمه ناقد شهير هو الدكتور زكى نجيب محمود ، فأخذ عليه فى بعض أعداد مجلة الثقافة شيئين هامين فى رأيه ، أما أولهما فهو ما سماه ، اتحاد المدرك بالمدرك ، وأما الثانى فهو تفكير المتمنى . وكلا المأخذين موجه بالذات إلى كتاب أحمد عرابى . وكأنى بالدكتور وقد لمس حرارة الدفاع وقوة العاطفة وروعة الصياغة فى أسلوب الخفيف ، فظن فى ذلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يجور على الحقيقة ، والرجل صاحب فلسفة لا تاريخ ، وكان عليه أن يعرف أن طبيعة الدفاع عن زعيم أمين يرمى بالخيانة عن مكر أثيم ، تقتضى هذا الإخلاص الحار ، وتدفع ذوى الجفاف والدقة أن يفيضوا ببعض مشاعرهم فى إيضاح الحق وقد تلاحقت حوله الستور والأسداف ، فالمدرك هنا لم يتحد بالمدرك حين بدد عنه كثيراً من الاتهامات ، ولكنه استعرض الحقائق الثابتة واستنطقها عن حصافة ويقظة ، فنطقت بفضل الزعيم وسموه ، وأخشى أن يكون الدكتور الناقد ممن يحتمون على المؤرخ أن يستعلى على مترجمه ، فيذكر نصيباً من مآخذه يضارع ما أسلف من محامده ، فإذا لم تكن لديه مآخذ تذكر ، اخترعها اختراعا لتتم عملية الإنصاف ، وقد بدد الأستاذ العقاد هذا الوهم حين قال فى مقدمة كتاب (عبقرية عمر ص٥) « فالناس قد تعودوا ممن يسمونهم بالكتاب المنصفين ، أن يحبذوا وأن يقرنوا بين الثناء والملام ، وأن يسترسلوا فى الحسنات بقدر لينقلبوا من كل حسنة إلى عيب يكافئها ، ويشفعوا كل فضيلة بنقيصة تعادلها ، فإن لم يفعلوا ذلك فهم إذن مظنة المغالاة والإعجاب المتميز ، عرض لى ذلك فذكرت قصة العامل الذى تحاكم إلى قاضيه مع بعض السوقة فى عقار يختلفان على ملكه ، فحكم القاضى للسوقة بغير الحق ليغنم سمعة العدل فى محاسبة الملوك » اهـ .

أما تفكير النفى فلا ظل له إطلاقا بين سطور الكتاب ، وهو مأخذ لو ثبت لنفى عنه صبغة البحث التاريخى ، ويكفى هنا أن نسجل شهادة أديبين كبيرين تحوان ما قام بذهن الناقد عن تخمين وحدى لا عن بحث ويقين ، قال الأستاذ العقاد عن كتاب أحمد عرابى ، فى افتتاحية العدد (٧٧٩) من الرسالة .

« تقرأ الكتاب إلى صفحاته الأخيرة فتخرج منه بهذه الصورة الصحيحة التى ارتسمها المؤلف ، وثبت ظلالها وألوانها بالوقائع والأسانيد ، وجمع لها من الوثائق ما لا غنى عنه فى فهم هذا الزعيم ، ولا فى فهم مصر الحديثة وعوامل نهضتها ، ودخائل تاريخها فى الجيلين السابقين . . . وليس تمحيص التاريخ المصرى ولا تمحيص الزعيم المصرى كل ما يستفاد من قراءة كتاب الأستاذ الخفيف ، فإن أساليب السياسة الأوربية والاستعمار الأوربى فى القرن العشرين بعض ما يستفاد من هذا الكتاب الذى يعد فى بابه قليل النظير » .

وقال الأستاذ أحمد حسن الزيات عن الكتاب أيضا فى افتتاحية العدد (٧٣٤) من الرسالة .

« ومن حيث الطريقة قد اتخذ المنطق ميزانا يأخذ به ويعطى ، فهو يروى بالنص

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصريح ، ويدعى بالدليل الناهض ، ويقنع بالحجة العالية . ويستقرى فيحسن الاستقراء ويستنتج فيجيد الاستنتاج ، ثم جعل همه منذ اللحظة الأولى بتبرئة الجندى الثائر ، فسلسل الوقائع والفصول سلسلة المقدمات الصحيحة ، ثم خرج منها بالنتيجة التى لا موضع فيها للشبهة » .

الحق أن الخفيف باحث جرىء لولا قوة إيمانه بربه ، وصدق يقينه بوطنه ، ما أقدم على هذا العمل البطولى الممتاز ، ولو كان لدينا وعى حقيق لقيل ذلك وأكثر منه فى وداع الراحل العزيز .

وسأضطر معجلا أن أترك جهده فى الحقل التاريخى فلا أتناول بحوثه عن مزينى الإيطالى وبيرون الإنجليزى وميرابو الفرنسى وشريف والشرقاوى المصريين وعقبة بن نافع العربى لأتحدث عن جهده فى الكتابة والشعر فقد كانت كتابته الأدبية ذات وجهتين ذاتية وموضوعية ، والأولى تتجه إلى المجتمع المصرى اتجاها ناقدا . فقد وضع الخفيف منظاره على عينه ، وطفق يبصر ما حوله من أوضاع مريضة فرأى من المفارقات والغرائب ما يدعو إلى التسجيل . وكم كان يمض نفسه أن يشهد مواقف الرياء والملق ، ومواكب الغرور والادعاء ، ومظاهر التجبر والتسلط ، فيشعر شعور الإنسان النبيل وينعكس شعوره فيما يكتب فلا تكاد تطالع موضوعا من موضوعات كتابه (من وراء المنظار) حتى تدرك ما يغمر خلق الكاتب من مرارة لاذعة ، والكتاب أشبه بقصص صغيرة متلاحقة تصور كل أفصوصة مشهداً من المشاهد المفاجئة ، فهذا وكيل نيابة يريد أن يعرف الناس سلطته القانونية ، وذاك مدير مصلحة لا يرضى بغير التذلل والخنوع من مرءوسيه ، وهم من حوله يبالغون فى انتشائه الموهوم ، وذلك شرطى جامد الإحساس يعامل الإنسان والحيوان معاملة تتحد فى القسوة والإذلال ! ! ومن الواضح أن أمثال هذه المشاهد المألوفة تراها العين العابرة فلا تتأثر بها غير لحظات محدودة ! ولكنها حين تصور بقلم كاتب كمحمود الخفيف تترك من الأثر مالا يمكن أن يزول دون عناء وتفكير ، لأن تسلسل الخواطر ، وتصوير الانفعالات ، وحتمية النتيجة ، تجسد لخيال القارئ مالا يجسد ، المشهد الواقعى ، ومن الطريف أن أحد فصول الكتاب يتحدث بإكبار سار عن رئيس فراشى المدرسة التوفيقية الثانوية إذ رأى فيه الكاتب على ضآلة وظيفته صورة للرجولة الحازمة ، والعزة المترفعة ، والكرامة الأصيلة مما افتقده فى مديرى المصالح الكبيرة ورؤساء الأعمال الهامة فلم يجد ظلا منه . فكان رئيس

فراشي المدرسة مثلا صالحا للاحتذاء ، وقد قلت إن كل مشهد من هـذه المشاهد أشبه بأقصوصة فقط ، ولكنه ليس بأقصوصة فنية ، ولا أدري لماذا لم يشأ الكاتب أن ينهج في تصويره نهج القصة الأدبية ، مع قدرته التامة على ذلك ، إذ أنه قدم لي في بعض إنتاجه بمجلات الرسالة والرواية والرائد قصصا مكتملة تحمل عناصر الأسلوب الروائي ، وإن كانتا ملهما يجمل من التاريخ أدبا . لقمين أن يجعل من القصة عجبا ، ! وأستشهد هنا بقصته الرائعة (عفراء الغجرية) وأخواتها كثيرات ، كدليل على توفيقه الفني وإبداعه القصصي ، فقد أحكم المشاهد إحكاما لا تنقصه قراءة الخواطر ، واستشفاف النوازع . أما حلاوة التصوير وعذوبة التعبير فما لا يستغرب من شاعر موهوب ! ! أقول من يدري لعله لم يشأ أن ينهج منهج القصة في كتابه (من وراء المنظار) ليكون أدخل في باب الواقعية المباشرة ، إذ أن القصة توحي إيحاء ظاهراً أو مستتراً ، أن الخيال قد جمع بين حقائق متباعدة وربطها برباط يجعل واقعيتها متوقعة لا واقعة : أما المشهد المجرد فينطق بصدقه الصارخ دون ستار ، وهذا كلام قد يختلف فيه النظر لإيجازه المحتوم ، وليس هنا مجال النقاش ! ! .

أما الوجهة الموضوعية لدى الكاتب الأديب فتبدو في دراساته الفنية للأدباء ، ومذاقه الوجداني للقصائد ، وأصدق شاهد عليها دراسته الطويلة الممتعة للشاعر الحزين (ملتون) فقد تابع أدوار حياته متابعة يقظة ، وحلل عناصر شعره تحليلا بصيراً ثم خلص إلى مأساته الالهية ففهم عناصرها الفاجعة من انتاج الشاعر قبل روايات مؤرخيه ، ووقف لدى فردوسه المفقود موقف الشاعر من الشاعر ، فرأى ما لا يرى الناقد المتقيد بحدود واصطلاحات ، ولا يزال ما كتبه الخفيف عن (ملتن) منسابا في أعداد الرسالة الغراء دون أن يجمع في كتاب ، وربما كان كتابه عن تولستوي صورة متقاربة منه في المنهج والطريقة ، إلا أنه أدخل في كتب الدراسات الأدبية من كتاب تولستوي التاريخي لذلك اعتبره مثالا الوجهة الموضوعية في الدراسة التحليلية دون كتاب الفيلسوف .

ويطول بي العجب إذ أنظر إلى شعر الخفيف فأجده دون ما يستحق ذيوعا واشتهارا ، مع أصالة منهجه ، وصفاء نبعه ، ورونق تجديده وربما كان تعليل ذلك نبوغه في أكثر من ميدان فإن الذين يتفرغون للشعر وحده ينحصر اشتهارهم في مجاله ، فيعرفهم القراء بقصائدهم وحدها ، أما سواهم من الكاتبين الشاعرين فلا يجدون الالتفات الكافي من القراء ، وإن سبقوا سواهم من المتفردين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جودة قريحة وفيضان عاطفة ، وخصوبة إنتاج ، ولن أذكر العقاد وحده فى مصر بل أذكر معه المازنى وفخرى أبا السعود وعبد الرحمن صدقى ، وطاهر الطناحى ، وزكى مبارك ومحمود الخفيف وسواهم من فطاحل المجددين ! على أن شعر الخفيف قد منى بشىء آخر ضائل من روايته لسوء حظه وكان أحرى بذيوعه ، ذلك أنه متنوع الأوزان مختلف القوافى ، فشطوره تارة مجزوءة وتارة كاملة أو منهوكة فى القصيدة الواحدة ، وقد فاجأ الناس منذ ثلاثين عاما بهذا النوع المبتكر فحسب عليه لاله ، فأنت تقرأ مثلا قصيدة (على قبر زوجها) فتجد بها من صدق العاطفة وحرارة اللوعة وقوة النظرة ما يرفعها إلى مستوى مشرف ، ولكن اختلاف أشطارها بين كاملة ومجزوءة مع اختلاف القافية أيضا قد باعد بينها وبين النغم المألوف فى وقت كان فيه للشعر الكلاسيكى دعاته المثابرون ، وإذا كنا الآن قد ألفنا هذا التنويع وزنا وقافية بل طرأ علينا غيره مما لا ندرى بماذا نسميه ، وانطلق الدعاة له يلهجون به فى كل ناد وصحيفة فإن الخفيف حين نوع الأوزان منذ أكثر من ربع قرن كان يخطو الخطوات الأولى بعد وثبة المجددين الابتداعيين هذا من ناحية الشكل . أما من ناحية الموضوع فقد فتح الأستاذ للشعر العربى أبوابا رحبة حين أكثر من الروائع التاريخية فى أعداد الرسالة الممتازة فسجل بطولات محمد والحسين وجعفر بن أبى طالب وصلاح الدين الأيوبى وأحد شهداء فلسطين فى قصائد طويلة تبلغ إحداها ثلثمائة بيت مطرد النسق متدفق الإلهام ساطع الرواء . كما أن أشعاره الوصفية فى تصوير الطبيعة قد أخصبت الحقل الشعرى . ولقحت أشجاره بلقاح إبداعى جديد ، فالليل والبحر والفجر والحقل والحصاد والربيع والخريف والشتاء ، والصبارة الحزينة ، والشجرة العارية وما إليها من روائع المشاهد قد وجدت انطباعها الصادق فى مرآة الشاعر ، وظهرت على صفحات الرسالة تتخايل فى معارض زاهية من الرونق ، وكثيرا ما كانت تقرن بصور طبيعية لأشهر فنانى الطبيعة فى الغرب فيرى قارئ الرسالة اللوحة البصرية تجاور اللوحة الشعرية فى تعارف حبيب يدفع إلى الموازنة حينا ، والإعجاب الصامت أحيانا آخر ، ويخيل إلى أن مطران رحمه الله قد أثر فى اتجاه الخفيف نحو القصة الشعرية ، إذ حذا حذوه فى مثل قصائد وداع ، وهند الثلاثين ، وفى الطريق إلى يثرب مع الفصل التام بين العبقريتين ، فمطران عميق قوى تتخلل أبياته رصانة محكمة تميل بها إلى الشدة والأسر ، ومحمود رقيق ناعم تموج مشاعره فى غدير هادىء شفاف ، وقد تجد سعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مطران ، وأبعد منزعه وعمق تحليله فى النادر من شعر الخفيف ، ولا أزال أذكر قصيدته « أيتها الابتسامة » تلك التى تشخص بريق الابتسامات المختلفة ، فنعرف شعاع كل بسمة ومصدره ، فبسمة الذل غير بسمة الشهوات غير بسمة الرياء غير بسمة الفرح غير بسمة التهكم وإن كان لكل بسمة بريق يتحد مظهرا ويختلف تأثرا وانعكاسا ، وكم كان يسرنى أن أذكر هذه القصيدة فى مجال الاشتهار ، ولكن القارىء الطلوب سيعثر عليها بسهولة فى العدد (٦٠٠) من الرسالة ، ونحن نهيب بمجلس الفنون والآداب أن يلتفت إلى ديوان الشاعر فيأمر بطبعه أسوة بمن طبع دواوينهم من الشعراء ، واكثره بمجلات الرسالة ، وأقله بمجلات الرائد ، وكلتاهما تحتل المكتبات العامة فلن يتعب من يريد النشر والطبع ، ولكنه سيغنم الشكر والتقدير ، ولعلّ كلمتنا هذه تكون عزاء متواضعا لمن قرءوا الخفيف وعشقوه ، وهى أيضا إجابة مفحمة عن سؤالنا المتقدم : هل من وعى أدبى ؟ وفيها المقنع السديد .

محمد رجب البيومى

(بقية المنشور على صفحة ٨٥١)

واستخدم رجال الجيش والشرطة كل وسائل القمع لفض المظاهرات وتفريق المتظاهرين .

وفى عصر يوم الجمعة سارت بنا السيارات فى الطريق إلى بيروت ، وكان الشعب يقف على جانبى الطريق يشيعنا بنظراته التى تعبر بصمتها البليغ عن مشاعره الحبيسة وعواطفه المكبوتة . وأبى إخوان كرام إلا أن يرافقونا إلى الحدود بين سورية ، ولبنان الكريم ... لبنان الذى استقبلنا بالحب والشوق والترحاب حين شيعنا الإخوة المرافقون بالقبلات والعناق والدموع ، وعادوا وهم يتمنون لنا سفراً سعيداً ، وعودا حميداً ... أجل أيها الإخوة ... عودوا إلى الفيحاء ذات الغوطتين التى يطوقها قاسيون بالساعدين ... وسنلتقى يا دمشق ... سنلتقى كما قلت وكما سأظل أقول.

سنلتقى عما قريب حين تورق الغصون
فحيّنا تحيا به أرواحنا ، ولن يهون
ومجدنا مفاخر ، تروى حديثها السنون
لقد رأيت فى الوداع كيف تدمع العيون
وكيف تهتف القلوب والضلوع فى جنون
سنلتقى عما قريب حين تورق الغصون

أجل سنلتقى بالقلوب النقية ، والنفوس الوفية ، والمشاعر الطيبة ، سنلتقى فى ظل الوحدة القوية لنسير معاً من جديد فى طريق القومية العربية .

ابراهيم محمد نجا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أحمد محرم

شاعر العروبة والإسلام

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

وحدى شقيت بهذا الشعر أجعله
أحدوثة الدهر أو أنشودة الأبد
أصوغه من شعاع ليس يحجبه
سور من الحقد أو ستر من الحسد

هـذه صرخة شاعر وقف فنه على رفعة الشرق وإحياء مجد الإسلام ، ومع ذلك أنكره الشرق وضيعه أهله ، حتى داخله الشك أن يكون فى الشرق قطان يعرفون للناس أقدارهم ويلفتهم الأدب الخالص ، فقال :

ديار الشرق ، هل بك من قطين ؟
دعينى ، ما الديار ؟ وما القطين ؟
ظمئت ، وفى فمى الأدب المصفى
وضمت ، وفى يدى الكنز الثمين

مولده ومرباه :

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كانت ربة الشعر قد طوفت بإلهامها على ضفاف النيل ، وأرسلت أولى أنغامها الشجية على لسان البارودى ، ومن بعده شوقى ، فأخذت دولة الشعر تزهو ، وتشتد أركانها .

وفى يوم السبت الخامس من المحرم سنة ١٢٩٠هـ الموافق ٢٠ من يناير سنة ١٨٧٧م ضمت ربة الشعر إلى قيثارها وتراً جديداً ، واستقبلت مالكنها زائراً اتخذته من أعوانها ، ومنحته إلهامها .

ذلك هو أحمد محرم الذى ولد فى حى « باب الوزير » من أحياء القاهرة فى بيت متوسط الحال لأبوين تركيين ، الوالد تركى صميم من أبناء المماليك الشراكسة ، والوالدة اختلط نسبها بالدم المصرى ، وتنسب إلى عائلة « الدرملى » الشهيرة بالقاهرة .

وقد ورث محرم خصائص الدم التركى والمصرى من جهة أبويه ، وامتص الطبع العربى بحكم ثقافته ونشأته وبيئته ، فاجتمعت فيه خصائص هذه الأجناس وتكون مزاجه من مجموعها .

وكان والده « حسن أفندى عبد الله » رجلا مستعربا متدينا يحب العرب ويتعلق بتاريخهم ، يتمسك بمبادئ الدين ، ويأخذ أفراد أسرته بما يؤمن به ، وقد أورث هذه النزعة ولده « أحمد » فتأثر بهذا التوجيه أعظم التأثر ، وكان لهذه التربية الدينية الصارمة اتجاه واضح فى شعره وأدبه ، من إشادته

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بمجد الإسلام ودفاعه عنه، وتسجيله لحياة النبي صلوات الله وسلامه عليه وحروبه تسجيلا لم يضطلع به شاعر سواه في عصره. ولم يسعفنا ما وصلت إليه أيدينا من مراجع بجدة لمحرم، ولم تهتد إلى أسرته، فقد سكت التاريخ عن ذلك.

ونرى من اسم الوالد، وعدم وقوفنا على أسرة للشاعر أن «محرما» لقب خص به الشاعر وحده؛ ويغلب على الظن أن أباه لقبه هذا اللقب لمولده في شهر «المحرم» العربي، ومما يقوي هذا الظن في نفوسنا أن محرما كان له شقيق أكبر منه توفي ورثاه في ديوانه الأول، وأثبت مراثي أصدقائه من الشعراء فيه، وكان اسمه «محمود صفر»، وأغلب الظن أن أباه أضاف إليه هذا اللقب لمولده في شهر صفر العربي، ولعلنا نأخذ من هذه الإضافة في أسماء البنين دليلا على تعلق الوالد بالعرب وحبه لتاريخهم.

شب أحمد في بيت والده يصنعه على عينه ويقوم على رعايته، ويبدو أنه كان من ذوي النعمة وإن لم يبلغ حد الثراء.

ثم رحل الوالد إلى إقليم البحيرة، وألقى عصى التسيار في إحدى قراها يقوم بشئون بعض مزارع كبار الملاك هناك، ويرعى بنفسه ضيعته الصغيرة في تلك الناحية.

ورحل الطفل مع والده إلى مقره الجديد، واستهوته حياته الجديدة، وتملت عيناه بسحر الريف، وانطلق وراء خياله في سهوله المنبسطة، ووقف على نمط جديد من الحياة، وأسلم نظراته للأفق ترى التقاء السماء بالأرض على مدى البصر، ومن قبل كان يصطدم بمنازل الحي ودوره، فلا يرى الأفق ولا يبصر السهل الفسيح، ولا يحس بخرير الماء وتفتح الزهر وتهويم الفراش.

أخذ الصبي بهذا الجمال الطبيعي الذي صنعته يد الله فأبدعت، ونهلت حواسه من مجاليه، وكانت حياته في طفولته حياة الترف والنعيم، فليس بغائب عنا الحياة الهانئة، والنعمة الوفيرة التي كان يمرح في ظلالها نظار التفاتيش والقائمون على أمر الضياع، فقد كانوا ملوكا غير متوجين في مزارعهم وقراهم، ومازالت بقايا هذه الحياة تتراءى على صفحات أذهاننا، كلما حاول أحدنا أن يعيش لحظات في ظلال ماض غير بعيد.

ويبدو أن والد محرم كان رجلا محبا للقراءة شغوفا بالأدب، مصاحبا لأهله من شعراء وكتاب، يغشى مجالسهم، ويشارك فيها، فأورث ابنه هذه النزعة، ونمى فيه حب الكتب والتطلع إلى الكتابة في سن مبكرة.

وتربى محرم كما يتربى صبيان القرية الناعمون في عصره، فأحضر له أبوه المعلمين، وقاموا على تلقينه مبادئ القراءة والكتابة حتى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عرف شيئا من المطالعة والحساب والإملاء وحفظ القرآن الكريم ، فألحقه أبوه بإحدى مدارس القاهرة ، وكان التعليم فيها يومئذ وقفا على أبناء الطبقة الموسرة .

غير أن مناهج الدراسة فيها لم تصادف قبولا من نفس محرم ، فأعلن تبرمه بها ، فنقله أبوه إلى مدرسة أخرى ظنها خيرا من الأولى إلا أن محرما الذى طبعت نفسه على حب العربية من صغره ، وتعلقت بأدبها مبكرا لم يستسغ منهجا دراسيا يرى نفسه فيه غريبا على العربية مبتوت الصلة بها فكان يرى نفسه غريب القلب واليد واللسان كما يقول المتنبى ، فهل يطمئن إلى هـــذه الحياة التى تنكره وينكرها ؟ ، وكيف يستريح ، وهـو الذى يتطلع إلى منزلة المتنبى ومكانة البحترى ؟

فبعث لأبيه بقصيدة يشكو له فيها ما يعانيه ، ويصور ألم الغربة فى نفسه ، وهو يومئذ لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، فما كان من أبيه إلا أن أعاده إلى القرية ، وأحضر له بعض أساتذة الأزهر يلقنونه فقه اللغة العربية وأدبها .

ولما رأى أبوه فيه ذلك النضج المبكر والميل الغالب للأدب والشعر فتح له مكتبته يقرأ فيها ما يشاء ، واشترك له فى الصحف والمجلات ، وجلب له ما تفيض به المطابع من كتب ، وأقبل محرم يثقف عقله ، ويغذى وجدانه بعيون الشعر العربى وينتقل بين مكتبة أبيه يختار منها ما يرغب فيه كما تنتقل النحلة بين أزهار الروض تمتص من هـذه وتدع تلك .

وأخذ أبوه يشجعه على قرض الشعر ، ويطلعه على أحدث ما أنتجه أصدقاؤه من الشعراء ليثير طموح نفسه ، ويكافئه كلما أنشد قصيدة ، ويصحبه معه فى رحلاته إلى مدينة دمنهور ، ويعقد الصلة بينه وبين شيوخها وذوى المكانة فيها من الوجهاء والأدباء والسراة .

وكان بمدينة دمنهور على عهد محرم رجل من زعماء الأدب الشعبى يسمى (الشيخ جاد علوان) ، وكانت له حلقة يجتمع فيها عشاق الأدب ومحبوه ، فتعرف محرم عليه ، وشهد ندوته ، وألقى فيها بواكير قصائده حتى عرفه الناس ، وأقبلوا عليه . وداب محرم على اطلاعه ، وتزويد ثقافته ، وقد تهيأ له من وقت الفراغ ما استطاع بفضله أن يلم بالشعر العربى فى جميع عصوره ، ويحفظ منه دوره وعيونه ، لم يصرفه عن ذلك اشتغال بتحصيل العيش ، أو مطالب الحياة ، فقد كفاه أبوه مؤونة ذلك .

ولقد كان محرم يعكف على كتبه وشعره آناء الليل وأطراف النهار ، حتى ضاقت أمه به ، وعابت عليه انكبابه على شعره ، حتى أصبح عالة على أبيه يعوله كما يعول البنات ، بل إن البنات خير منه ، لأنهن سيتزوجن ، وهو لا أمل فى تحوله عن هذه الحال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد صور محرم موقف أمه هذا فى إحدى قصائده . وكانت تأخذ عليه أنه يظل يقرأ حتى ينطفىء السراج حينما يفرغ زيته وتغيب النجوم عن أفق السماء . أستمع إليه يقول على لسان أمه :

ابنيّ إن المرء يغنى شأنه
فيعيش فى الأهلين وهو محبب
وأراك فى شرخ الشباب وروقه
يغذوك والدك الكبير الأشيب
يسعى وأنت مع البنات كبعضها
ثاو ، وليتك مثلهن فتخطب
لا مال تكسبه ، ولست ببارح
تفنى وتتلف جاهدا ما يكسب
تدع السراج فلست تطفىء نوره
حتى ترى اخرى النجوم تغيب
أيباع هذا الشعر أم أنت امرؤ
تهوى من الأشياء ما يتجنب ؟

وقد كان للنشأة الصارمة التى أخذ بها محرم نفسه منذ صغره أثر بعيد فى اتجاهه نحو الأغراض الجادة فى شعره ، وكذلك تربيته الدينية التى فرضها أبوه عليه منذ نعومة أظفاره لم تترك له مجالا يتغنى فيه بعواطفه أو ينطلق مع أحلام الشباب شأن غيره من ذوى الإحساس والشاعرية . لذلك نرى غزله الذى أنشده فى صور شبابه غزلا صناعيا ، لا تحس فيه وهج العاطفة ولا وقدة الشعور وإن كان موسيقيا عذب الرنين قوى النسج ، لأن حياته قد صرفته عن هذا السبيل الذى يسلكه لداته ، ويعبر هو عن ذلك فى بعض قصائده :

لعمرك ما ينهنهى شبابى
إذا هفت الحلوم إلى الأناة
صحبت الجد فى غلواء عمرى
فقد جعلت تعاتبنى لداتى
وإن مظنتى أن تلتمسنى
ندىّ ذوى الحلوم الراجحات

وكانت هذه النشأة داعية له من جانب آخر أن يأخذ نفسه بأخلاق الإباء والكرامة والغيرة والحمية على الدين والوطن ، والتفانى فى الذياد عنهما ، والدفع عن حياضهما وخطا فى هذا الميدان خطوات فسيحة حتى لقد اتخذ لنفسه لقب « نصير الدين » وقد أخذ نفسه بهذه المبادىء التى آمن بها ، وجرت فى نفسه مجرى الدم من العروق لم يتخل عنها ساعة من زمان ، وجعلها منهجه فى معاملاته مع الناس واتصاله بهم وكم دعوه إلى الهو فى صباه ، فنأى عنهم وأعرض ، وهو يهتف .

قالوا : زمان الصبا لهو لصاحبه
فقلت : مالى أراه ، وهولى كمد
إنى امرؤ ماجد الأخلاق فاضلها
ما عابنى لعب يوما ولا فند
سموت بالجد والصدق اللذين هما
خدناى إياهما أبغى وأعتمد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من المنذرات الدينية والاجتماعية والقومية ، حددت لها الإذاعة المدة الواقعة بين الحادى والثلاثين من أكتوبر سنة ١٩٦١ إلى الثالث عشر من نوفمبر ، وجعلت الأحاديث فى هذه الندوات موجهة إلى الضباط والجنود فى جيشنا العربى المجاهد . وقد أقيمت فى المناطق العسكرية بغزة والعريش والاسماعيلية وفايد والقاهرة والإسكندرية وكانت بمناسبة ذكرى العدوان الثلاثى الغاشم على بلادنا ، وبقصد تقوية الروح المعنوية فى صفوف الجنود المرابطين على الثغور ، والحدود ، والخطوط الأمامية .

ولعل أهم مالاحظناه هو أن هؤلاء المجاهدين من أبناء الأمة المؤمنة ، يتطلعون فى حرص وشوق إلى معرفة هدى الله وكلمة الإسلام فى شئون الحياة الفردية والجماعية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالشئون الاقتصادية : كالاشتراكية وتحديد الملكية والتأميم وغيره . وهذا يدلنا على أن النزعة الدينية مستكنة فى صدور هؤلاء الجنود ، وأنها تؤثر أثرها وتؤتى ثمرها فى التفكير والتوجيه ، ومن الواجب أن يواصل المختصون تقوية هذه النزعة وتزكيتها وتجليتها وتوجيهها إلى ما ينفع الفرد والمجموع ، وما يحسن الربط بين واجب الله وواجب الحياة ، والجمع بين تبعات الإيمان وحقوق الأوطان ، والتنسيق بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة اهتداء بقول الله جل جلاله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

ولعل الجندى عند خطوط الدفاع ، وعلى ثغور المرابطة ، هو أشد الناس حاجة إلى تعمير الصدر بالإيمان ، وتحصين القلب باليقين ، وتثبيت النفس بالعقيدة التى تعلم صاحبها أن الله هو خير الناصرين ، وأقوى المؤيدين ، وأنه يعين عباده المؤمنين : بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » ، « وإن جندنا لهم الغالبون » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

ولقد سمعنا نشيد « الله أكبر » يتردد أكثر من مرة ، فيذكرنا بأنه حينما أقبلت ساعة الهول ودقت طبول الخطر ، وتعرضت الأمة كلها للغزو الأثيم والعدوان الظلوم ، انطلقت صيحة الإيمان من فم أحد الشعراء ، فإذا القدر الغلاب يدفعه إلى افتتاح نشيده بشعار الإسلام وهتاف الإيمان : « الله أكبر » وإذا هو ينطقه بقوله :

الله أكبر فوق كيد المعتدى
والله للمظلوم خير مؤيد
أنا باليقين وبالسلاح سأفتدى
بلدى ونور الحق يسطع فى يدى

وتذكرنا أن هذا النشيد الوطنى الدينى الهدار قد انتشر وسار ، وتردد على اللهوات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والألسنة ، فأشعر من يعرفون ومن لا يعرفون أن الإيمان بالله هو الملجأ والمعتصم وهو شاطىء النجاة والأمان ، حينما تثور الأعاصير وتتمرد الرياح ، وتتلظى الأخطار هنا وهناك ، وصدق القرآن الكريم إذ يقول « وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه » .

* * *

ومما لاحظناه أيضا أن إخواننا فى قطاع غزة . وأشقاءنا اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم فى فلسطين العربية الإسلامية بغير حق يحسون الآن بلاذع الألم وعميق الحزن لما حدث من انفصال بين مصر وسورية ، لأنهم كانوا يؤمنون بأن الوحدة بين هذين الجزءين من أجزاء الوطن العربى الكبير بداية لامتداد « كماشة » عربية تدور وتلتف حول الجزء المغتصب من أرض العرب والمسمى زورا وبهتانا باسرائيل ، لتسترد هذه « الكماشة » من غاصبيه ، وتعيده إلى أهله ومستحقيه ، عن طريق التطويق والهجوم لتحرير المغصوب واسترداد المنهوب ، وكانوا يرون أن يوم العودة إلى فلسطين قد أصبح قاب قوسين أو أدنى ...

ولكن الحركة الانفصالية فى سورية جاءت فخيبت الآمال ، وأبعدت يوم الخلاص ، لأنها فصمت « الكماشة » العربية من وسطها .

وكنا نقول لهؤلاء الأشقاء : نحن معكم فى أن حركة الانفصال قد خيبت الآمال ، وباعدت بيننا وبين يوم التحرير ، ولكننا مع هذا لا نيأس ولا نقنط : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » ، « ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

ولاحظنا كذلك أن حالة الجنود قد تغيرت عما كانت عليه بالأمس ، فبالأمس كانت الجندية أمرا بغيضا مكروها عند العامة وكان إذا طلب أحد لأداء واجب الجندية هلع وفزع وودعه أهله بالصراخ والعويل ، وكان الجندى يعامل معاملة سيئة وقاسية ، فهو يسمع من الشتائم أقذرها ، ويجد من المعاملة أسوأها ، وكان الجندى يحس بأنه خادم لقائده فهو يسخره فى أعوائه وشهواته .

وأما اليوم فقد صارت الجندية للجميع ، وصار بين الجنود علماء ومدرسون ومحامون ومهندسون وأطباء وطلاب جامعات ، وصار بينهم مثقفون وشعراء وأدباء ، وصارت الجندية فى نظرهم أمرا شريفا يفخر به صاحبه حتى لقد قيل فى إحدى الندوات إن الجندية هى « واجب ضريبة الدم » فاعترض أحد الجنود على هذا التعبير متحمسا وعلق عليه بقوله : « إن الجندية حق المواطن » بمعنى أن المرء الكريم يطالب بتمكينه منها ، لأنها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حقه الذى يجب أن ينالة فمن حق كل إنسان أن يدافع عن نفسه ووطنه وأبيه وأمه وإخوته وأسرته . فأعجبتنا هذه الروح الدالة على الحماسة والوعى ...

وكذلك قال قائل منا : « لقد كتب علينا الجهاد لتحرير الوطن » ، فاعترض جندى متحمس على هذا التعبير ، وقال إن التعبير بقولنا « كتب » فيه معنى الإرغام والإكراه ، والجندى الآن لا يكره عمله فى الجندية ، ومع إعجابنا بحماسته أوضحنا له أن هذا التعبير مستمد من تعبير القرآن الكريم - وهو الإمام فى البيان العربى - ومادة « الكتابة » تدل على الانتظام والجمع فى الأصل ، وتدل على العزم وعلى الفرض . وعلى الأمر المراد ، وعلى التقدير . وعلى القضاء المبرم ومن آيات التنزيل فى هذه المادة قوله تعالى : « كتب عليكم الصيام » ، « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » ، « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » ، « كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » .

وكذلك تغيرت معاملة القادة الجنود ، فصار هناك تفاهم وتراحم ، وأحس الجندى بذاته وكرامته ، وبدت الطاعة من الصغير والعدالة من الكبير ، حتى تذكرنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » .

* * *

ولقد مررنا بالجنود وهم يرابطون داخل خنادقهم فى الخطوط الأمامية والمواقع العسكرية ، ورأينا كيف يقف الجندى فى الخندق بملابس الميدان ، ومدفعه فى يده ، وبصره يحدق أمامه ، ويظل هكذا ثمانى ساعات فى اليوم ، ثم يخلفه فى مكانه أحد زملائه ؛ فزكينا فيهم هذا الجهد ، ورددنا عليهم قول الحق تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم فى سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه » ، وقوله : « كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة » وقوله : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » .

ولعل الحديث الذى كان له وقع السحر فى آذان هؤلاء الجنود هو حديثنا إليهم عن الشهادة فى سبيل الله والوطن ، أو صناعة الموت فى سبيل الحق والواجب ، فقد تواثبت أفئدتهم حماسة وشجاعة حينما تبينوا كيف كانت صناعة الموت هذه عادة آبائهم وأجدادهم منذ القدم ، فمن آبائهم الشجاع الذى قال :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بكرت تخوفني الحتوف كأنني
أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل
لابد أن أسقى بكأس المنهل
فاقني حياءك لا أبالك واعلمي
أني امرؤ سأموت إن لم أقتل !

ومن آبائهم أيضا الذي قال يخاطب نفسه مثبتاً لها في مواطن الهول :

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الأبطال : ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً
فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز
فيطوى عن أخي الخنع اليراعي (١)

ولقد اهتزت نفوس الجنود بكريم المشاعر وهم يسمعون كيف علّم محمد أتباعه صناعة الموت في سبيل الله ، وسبيل الله عريضة واسعة ، فهي سبيل الحق والعدل والإيمان والحرية وعزة الأوطان وكرامة الإنسان ، حتى قال سيد البشرية : « والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل » وقال : « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » وقال : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة » .

واهتزت نفوسهم حين عرفوا كيف كان القرآن المجيد إماما لهذا النبي وقومه في تعليمهم الشهادة ، فهو الذي يقول : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » . وهو الذي يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

ولقد اطمأنت نفوس الجنود إلى التزكية الدينية للمبادئ الاشتراكية السمحة العادلة التي جاء بها الإسلام حينما سمعوا هذه الآيات من كتاب ربهم عز وجل ومعها ما يناسبها من تفسير « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا » ، « وجعلنا لكم فيها معايش » ، « أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وآتوهم

(١) أخو الخنع : الذليل ، واليراع : القصبة التي لا جوف لها ، والرجل الجبان الذي لا قلب له ، كأنه لا جوف له يكون فيه قلب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من مال الله الذى آتاكم » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » ، « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

وحينما سمعوا هذه الأحاديث المشرقة من أقوال الرسول المصلح ومعها ما يلائمها من شرح وبيان :

« ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » ، « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » ، « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع » ، « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه وهو يعلم » ، « إن الأشعريين كانوا إذا ارملوا فى غزو ، أو قل طعام عيالهم ، جمعوا ما لديهم من طعام فى ثوب واحد ، فاقتسموه فيما بينهم بالسوية فهم منى وأنا منهم » ، « الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » ، « ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة » ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، « المال مال الله وأنا عبده » ، « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ، « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » ، « أيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به » .

أما بعد ، فقد كان آخر ما أسمعته أولئك المجاهدين المرابطين قول الشاعر العربى المقدام:

سأحمل روحى على راحتى
وأمضى بها فى طريق الردى
فإما حياة تسر الصديق
وإما ممات يسوء العدا

ولو أن أفراد الأمة المناضلة حملوا أرواحهم على أيديهم ، وانطلقوا بها فى ميادين جهادهم ، مستعدين لبذلها حين يجد الجد ، لكتب لهم ربهم النصر والعزة والكرامة : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

أحمد الشرباصى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اقتصاديات السكان عند ابن خلدون

للأستاذ محمد محيي الدين المسيري

ظروف المجتمع وتأثيرها على دراسات السكان :

من أهم الموضوعات التي يهتم بها الاقتصاد الاجتماعي مسائل السكان وعلى الأخص علاقة عدد السكان بمستوى المعيشة . بيد أن الاعتبارات الاقتصادية البحتة ليست هي العوامل الوحيدة التي يصح الأخذ بها في تقدير مسائل السكان . بل هناك اعتبارات أخرى منها الحربي والاجتماعي والأخلاقي .

وليست مسائل السكان من المسائل التي أثيرت حديثا بل كانت موضع بحث القدماء . إلا أن بحث القدماء يتغلب عليه الطابع الاجتماعي والحربي . ولا يبدو فيه جليا الطابع الاقتصادي . ففي أثينا وفي سبارطة نظروا إلى السكان كأداة حربية تبسط بها الدولة سلطانها على جيرانها . وهنا تنتشر في الشعب المتسلط فكرة تسيطر على عقليته ونفسيته من جميع الوجوه ، أساسها زيادة عدده لتحقق هذا الهدف [١] .

فالدولة الرومانية القديمة شجعت كل ما من شأنه زيادة السكان . وقد اتخذ الاستعمار في شكله الحالي نفس الأسلوب فهو يشجع الأفراد على التمسك بعقيدة « سيادة الجنس » المستعمر على غيره من الأجناس الأخرى . وعلى هذا فالسياسة السكانية التي رسمها « هتلر » بعد سنة ١٩٣٤ [١] كانت تهدف إلى زيادة عدد السكان في ألمانيا لأغراضه الاستعمارية كما أن العقيدة البريطانية لا تخرج بعيدا عن هذا الاتجاه على الرغم من أن الدولة لا تفصح علنا عن اتجاهاتها السكانية .

كذلك كان يرجى من النسل تعويض ما تأتى عليه المجاعات والأمراض والحروب ، وقد يكون عرب الجاهلية من الشعوب القليلة التي ربطت الاعتبارات الاقتصادية بالاعتبارات الاجتماعية عند تناول مسألة وأد البنات . فقد كان العربي الجاهلي يخشى من ضغط المجاعات والغزوات على شرف أسرته فيفضل الوأد على العار المتوقع من احتمال القحط ، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم » .

[١] السياسة التوسعية أو الاستعمار .

(١) ذلك أنه اعتقد أن الجنس الآري هو سيد أجناس العالم ، وهو لهذا السبب يجب أن يسود ويحكم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما فى بحث المدرسة التقليدية لمسائل السكان فقد طغت الناحية الاقتصادية فجعلوا مقياس الرغبة فى زيادة السكان مرتبطا بتأثير تلك الزيادة فى مستوى المعيشة هل يكون صعدا بتأثير قانون الغلة المتزايدة فى الانتاج لكثرة اليد العاملة أم أن قانون الغلة المتناقصة فى الإنتاج يؤدى عاجلا أو آجلا إلى انخفاض ذلك المستوى .

والواقع أن بحث تلك المسألة كان يرتبط دائما بالظروف الموجودة فى زمن ذلك البحث ، وقد كانت لظروف الاقتصادية تشغل المقام الأول حين كتابة « مالتس » ومن تلاه مباشرة ، لذلك ظهرت فى كتابتهم نزعة تغليب الاعتبارات الاقتصادية فى استنتاجهم . أما أن مسألة السكان ترتبط بالظروف الملازمة للزمان والمكان فالدليل على ذلك مستفاد من تبادل التشاؤم والتفاؤل حسب الزمان والمكان الذى كتب فيه كل من جودوين ومالتس وآدم سميث وسسموندى الخ .

وقد كتب ابن خلدون ما كتبه عن السكان فى زمن كان الاعتبار الغالب على مسألة السكان هو الغالب قديما ، أى الاعتبار الاجتماعى والحربى . فالنسل كان مطلوبا لإعزاز الدعوة القومية والتغلب على غزوات الأسبان للأندلس . كما أن الاسلام شجع زيادة النسل وتحسينه .

ويروى ابن خلدون من الناحية السياسية والحربية أن عظم الدولة يكون على نسبة القائمين بها فى القلة والكثرة . والسبب فى ذلك كما يقول فى مقدمته فى الفصل الثالث ص ١٥٣ ، ١٥٤ : « إن الملك إنما يكون بالعصبية ، وأهل العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها . فما كان من الدولة العامة قبيلها وأهل عصبيتها كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطانا واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الاسلام . . . وأما طول أمدها فعلى تلك النسبة » . . . وهكذا نسب ابن خلدون الدولة فى أعمارها على نسبة القائمين بها .

على أن ابن خلدون لم ينظر لمسألة السكان من الناحية الاجتماعية والسياسية فقط ، بل تناول أيضا الناحية الاقتصادية فبحث زيادة السكان وأثرها فى زيادة الانتاج ثم علاقتها بمستوى المعيشة مفندا ظاهرة الغلة المتناقصة كما تناول بالبحث أثر الرخاء فى زيادة السكان وأخيرا أردف ببحثه بحثا جديدا لم يسبق اليه عن أثر الاستعباد فى قلة السكان .

أثر وفرة السكان فى زيادة العمران :

يرى ابن خلدون أن وفرة السكان تؤدى إلى زيادة تجزئة العمل وبالتالى إلى زيادة التعاون وحسن الاستغلال فيزداد الانتاج

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تبعا لذلك . ومن ناحية أخرى يؤدى ازدياد العمران الناتج إلى ازدياد القوة الشرائية وبالتالى إلى زيادة الطلب وزيادة الانتاج مرة ثانية . فلا خوف إذا من زيادة السكان إذ أن وفرة السكان وإن أفادت زيادة فى العرض إلا أنها من ناحية أخرى تقابلها زيادة فى الطلب . والمجتمع يسعى دائما إلى استيعاب الزيادة فى السكان دون أن يؤثر ذلك على مستوى المعيشة فيه لأن ازدياد السكان يقابله زيادة العمران . وما دام كل من البسط والمقام فى ازدياد فلا خوف من انخفاض نسبة الحاصل .

يقول فى هذا الصدد (فى الفصل الرابع من مقدمته ص ٣٤٢) « إن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته فى معاشه وإنهم متعاونون جميعا فى عمرانهم على ذلك والحاجة التى تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورة لأكثر من عددهم أضعافا . فالقوت من الحنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه . وإذا انتدب لتحصيله الستة أو العشرة من حداد ونجار للآلات وقائم على البقر وإثارة الأرض ... الخ . ونوزعوا على تلك الأعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم مقدار من القوت فإنه حينئذ قوت لأضعافهم مرات فالأعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضروراتهم » .

خلاصة رأيه هذا أن ازدياد التعاون الناتج عن ازدياد السكان مرجعه تجزئة العمل مما يؤدى إلى تطبيق قانون الغلة المتزايدة [1] .. وهو لذلك يعتبر السلف العظيم لمارشال حين يقول هذا « يبدو أن زيادة السكان تصاحبها باستمرار زيادة فى وسائل إشباع الحاجات الإنسانية » [1] .

وتلك هى الفكرة الأساسية التى حارب بها أغلب الاقتصاديين مخاوف مالتس ، فالغلة المتزايدة هى الضمان الكبير الأثر فى نظام السكان . ولا ننسى أن هامش الانتاج كان لا يزال متسعا فى ذلك الزمن بمعنى أنه لم تكن الموارد الطبيعية مستغلة الاستغلال الأقصى . فكان يمكن أن يؤدى المجهود الجديد إلى غلة متزايدة . ومن جهة أخرى نلاحظ أن عنصر العمل كان أهم عناصر الانتاج . فمعنى وفرة السكان وفرة اليد العاملة ووفرة الإنتاج وازدياد العمران .

على أن ابن خلدون لم يقتصر على إعطاء

---

(١) يقصد بهذا القانون أن كل زيادة فى عناصر الإنتاج المستخدمة فى المشروع تنشأ عنها زيادة فى الناتج بنسبة تزيد على نسبة زيادة هذه العناصر . ويتحقق قانون الغلة المتزايدة فى جميع المشاريع سواء كانت صناعية أو زراعية غير أن أثره فى الصناعة أكثر وضوحا .

(1) Morshall, Principles of economico — Eight Edition p. 321 .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فكرة مجملة عن زيادة الإنتاج بسبب زيادة تجزئة العمل من جراء وفرة السكان . بل أخذ يتقصى بدقة تأثير وفرة السكان فى زيادة الإنتاج .

قال : « فأهل مدينة أو مصر إذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار ضروراتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالأقل من تلك الأعمال وبقيت الأعمال كلها زائدة على الضرورات فتصرف فى حالات الترف وعوائده وما يحتاج إليه غيرهم من أهل الأمصار . ويستجلبونه منهم بأعواضه وقيمه . فيكون لهم بذلك حظ من الغنى . وقد تبين لك فى الفصل الخامس فى باب الكسب والرزق أن المكاسب إنما هى قيم الأعمال . فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعتهم أحوال الرفه والغنى إلى الترف وحاجاته من التأنق فى المساكن والملابس ، واستجادة الآنية والماعون ، واتخاذ الخدم والمراكب وهذه كلها أعمال تستدعى بقيمها ويختار المهرة فى صناعتها ، والقيام عليها ، فتتفق أسواق الأعمال والصنائع ، ويكثر دخل المصر وخرجه ، ويحصل لليسار لمنتحلى ذلك من قبل أعمالهم ، ومتى زاد العمران زادت الأعمال ثانية ، ثم زاد الترف تابعا للكسب ، وزادت عوائده وحاجاته ، واستنبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب فى المدينة لذلك ثانية ، ونفقت سوق الأعمال بها أكثر من الأول وكذا فى الزيادة الثانية والثالثة لأن الأعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى ، بخلاف الأعمال الأصلية التى تختص بالمعاش » (١) .

فالنقط الأساسية فى نظرية ابن خلدون عن تأثير وفرة السكان فى العمران هى أن زيادة اليد العاملة تؤدى إلى تجزئة العمل وبالتالى إلى تطبيق قانون الغلة المتزايدة فى الإنتاج ، ثم ان زيادة اليد العاملة معناه زيادة الأعمال وازدياد المكاسب وازدياد القوة الشرائية ، وازدياد الطلب وحاصل ما تقدم زيادة العمران بازدياد الدخل والخرج ، إن الإنتاج الجديد ينصرف إلى الترف إذ أن الضروريات تكون منتجة بقدر كاف وإليها انصرفت الأعمال الأصلية .

وقد ميز ابن خلدون بين إنتاج الضروريات وإنتاج مواد الترف ، فالأعمال الأصلية للسكان منصرفة إلى إنتاج الضروريات . أما حيث يتسع المصر او المدينة فالأعمال او المجهودات الجديدة تنصرف إلى الإنتاج الترفى فضغط زيادة السكان لا يؤثر فى مستوى القوت فهذا القوت ينتج بقدر كاف بأقل مجهود من المجتمع . ومجال البحث إنما هو عن أثرها فى مستوى الرفاهية .

(١) مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الرابع ص ٢٤٢

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولما ميز ابن خلدون بين انتاج الضرورات وانتاج ادوات الترف ، وفرق بين مستوى الرفاهيه وبين مستوى القوت وضع بذلك مسألة زيادة السكان فى وضعها الصحيح . فالمسألة ليست مسألة الإعاشه فهذه يمكن ضمانها وانما المسألة تتعلق بضغط تلك الزيادة على مستوى رفاهية السكان الأصليين .

ولابن خلدون فضل يذكر على مالتس ومن رأى رأيه . فهؤلاء خلطوا بإشارتهم إلى الجوع والأمراض بين أثر زيادة السكان فى مستوى الرفاهية وبين ضغطها على مستوى القوت ، فالغذاء يحصل تدبيره بالتخزين أو الاستيراد . والمشاهد عموما أن إنتاج الضروريات من مواد غذائية ... الخ أكثر من الاستهلاك الكلى بل قيل إن العالم يشكو فى هذه الناحية من إفراط الإنتاج . ثم إن مسألة القوت مسألة نسبية للإرادة والمناخ والعادات أثر كبير فى تكييفها . وعلى حد قول ابن خلدون عن هلاك الناس بالمجاعات أن الذى قتلهم هو الشبع المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق (١) . فالناحية المهددة ليست إمكان نتاج ضروريات المعيشة وإنما الكماليات فيها فهذه موضوع التنازع والانتقال واليها تتجه الأطماع فتتحرك الفتوحات والاستعمار . وقد أجاد ابن خلدون كل الإجادة بهذا التمييز الجوهرى بين مستوى الرفاهية ومستوى القوت .

وإذا كانت بعض الجماعات قد وجدت نفسها مهددة ، من الناحية الغذائية فسبب ذلك ليس عجزا فى طاقة الإنتاج وإنما اختلال فى نظام التوزيع ... .. فقد يكون هناك اختلال بين حجم الزراعة والصناعة أو امتلاك فئة قليلة أدوات الإنتاج فتتحكم فى الأجور والغذاء وتتسلط على كافة شئون الدولة .

فزيادة السكان إذاً من الناحية الاقتصادية لا يخشى معها حتى على مستوى الرفاهية . فزيادة الاستهلاك تقابلها زيادة الإنتاج ، وزيادة العرض يقابله زيادة الطلب ، وزيادة الخرج يقابله زيادة الدخل ، وبالأجل زيادة السكان يقابلها زيادة العمران .

أثر العمران فى زيادة السكان :

قدمنا أن كثرة السكان تؤدى إلى زيادة العمران . إلا أن ابن خلدون يرى كذلك أن اتساع العمران يستوعب ازدياد السكان .

(١) مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الأول ص ٨٦ فى اختلاف أنواع العمران فى الخصب والجوع . وينتقد من يتوهم أن الجوع مهلك « فليس الأمر كذلك إلا إذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهو يعلق أهمية كبيرة على أثر العمران في تيسير سبل المعيشة ويشبه الناس في تزاحمهم على ثروات العالم بتزاحم الحيوانات العجم على فتات بيوت أهل النعم. وكيف تختلف أحوالها في هجرانها أو غشيانها، فإن بيوت اهل النعم والثروة والموائد الخصبة منها تكثر بساحتها وافنيتها الحبوب وسواقط الفتات فيزدحم عليها غواشي النمل والخشاش. ويحلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطانا وتمتلىء شبعا وريا. وبيوت اهل الخصاصة والفقراء الكاسدة ارزاقهم لا يسرى بساحتها دبيب ولا يحلق بجوها طائر، ولا تأوي إلى زوايا بيوتهم فأرة ولا هرة، ويقول «واعتبر غاشية الأناسي بغاشية العجم من الحيوانات وفتات الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يبذلها لاستغنائهم عنها في الأكثر لوجود امثالها لديهم[1]».

وهذا الكلام الأخير يكاد يشير إلى فائض المستهلك الناتج عن العمران وكيف أنه يزداد لفائدة المستهلكين كلما زاد العمران. فكلما زاد العمران زاد ما يناله الفرد من خير وزادت قوة شرائه.

ويقول بوتول[2] «إن ابن خلدون يهتم اهتماما كبيراً بالظواهر المتعلقة بمسألة السكان ويظهر ما بينها وبين ثروة البلد من علاقة وثيقة.

إن بعض كتاباته تضعه في صف أصحاب النظريات التي سميت théories populationistes - وهي نظريات السكان - والتي تجعل من السكان سبب الثروة. من ذلك قوله «إن تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرفه لأهلها ونفاق الأسواق إنما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة»[1]. وهو يرجع ذلك إلى تجزئة العمل بل يكاد يلمح قانون المنافذ.

ولكن نظرية ابن خلدون لا تقتصر على جانب واحد من المسألة إذ هو يذكر فيما بعد أحوالا تجعل الثروة سببا في زيادة السكان وليس السكان سببا لزيادة الثروة. من ذلك قوله «إن الدولة التي تشجع الصناعة يزيد سكانها وتزيد جبايتها».

ويستنتج بوتول مما تقدم إدراك ابن خلدون إدراكا صحيحا للنواحي المتعددة التي تثيرها مسائل السكان.

(البقية في العدد القادم)

محمد محيي الدين المصري

---

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص ٣٤٤ في أن تفاضل الأمصار... الخ.

(٢) Bouthoul P. 34—34.

---

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص ٣٤٣

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أعلام التصوف :

الإمام أحمد الغزالى

للأستاذ عباس طه

إنى لأعجب أن يغفل الباحثون تاريخ رجل ملأ سمع الزمان وبصره وحلب شطرى الدهر حلوه ومرّه هو العلامة أحد كبار الربانيين المستنيرين فى علوم الحقيقة وفقه البصائر وهو صاحب هذه الترجمة .

يقول العلامة السبكى إن أحمد الغزالى وهو شقيق أبى حامد الغزالى المعروف بمصنفاته ومؤلفاته كان فى وعظه وتأثيره على النفوس وخطبه أخطب من دهر وأوعظ من قس وأدفق من نهر ، وكان أرق من الهواء وأسلس من سلسبيل الماء . كان واعظا تنفلق صم الصخور عند استماع تحذيره ، وترعد فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره ، فلا قلب إلا تبين صدعه ، ولا جفن إلا رشح بالدم دمعه فلو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب ، ولو ربط إبليس فى مجالس تذكيره لتاب (١) .

وقد سما التاريخ بأبى حامد الغزالى بينما ترك أخاه فى غمار المذنبين الخاملين رغم ما كان له من أثر عميق فى العصر الذى عاش فيه معاصراً لأخيه العظيم أبى حامد الغزالى .

صلته بأخيه ، وأثره فى غيره من المفكرين . ؟

إسمه كما ورد على لسان العلامة ابن خلكان « أبو الفتوح أحمد بن محمد بن أحمد الطوسى الغزالى الفقيه الشافعى (١) » . ويذكر السبكى (٢) وطاش كبرى زاده (٣) أنه كان يلقب بلقب أخيه زين الدين حجة الإسلام .

ولسنا نعرف مولده فى إحاطة شامله ، غير أن من الثابت البين أن ميلاده كان بعد عام ٤٥١ هـ أى بعد مولد أخيه أبى حامد . فمن الراجح إذن أن يكون مولده سنة ٤٥٣ أو سنة ٤٥٢ فالمارق بينه وبين أخيه فى السن لم يكن كثيرا فقد ذهبا معاً إلى المدرسة فى حداثة سنهما .

أما عن طفولته فقد توفى والده محمد الغزالى وهما حدثان وكان والدهما أميا رقيق الحال وكان يعيش فى طوس فى القرن الخامس الهجرى لا يأكل إلا من كسب يده فى عمل غزل الصوف . وكان يطوف على الفقهاء بحالسهم

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى جـ٢ ص١٠٣

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان ص ٤٩ .

(٢) طبقات : ص ٤٩ .

(٣) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة جـ ٢ ص ١٩٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويتوفر على خدمتهم . وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه إبنا ويجعله فقيها . ويحضر مجالس الوعاظ . فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه إبنا واعظا ، فاستجاب الله دعوتيه .

وقد أوصى الوالد بولديه إلى صديق له متصوف من أهل الخير، وقال له: « إن بي أسفا بالغا على جهلي بالقراءة والكتابة وأشتهي إدراك ما فاتني في ولدي هذين » . ولما مات والدهما وكانا تحت كفالة ذلك الصوفي العظيم أقبل الصوفي على تعليمهما حتى استنفدا ما خلفه لهما والدهما من المال وكان نزرا يسيرا فقال الرجل بحملهما وقال لهما ليس لي يدان باحتمالكما ، إعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، وأنا رجل من أهل الخصاصة والتجريد ، وليس لي مال أحملكما عليه، وإذن فأصلح ما أرى لكما أن تلجآ إلى مدرسة ليأتي إليكما قوتكما من هذه المدرسة فيعينكما على مضي الحياة في غضاضة من العيش » . فقال أبو حامد « فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحصيل القوت » (١) .

ولسنا نعرف كثيرا من الاختلاف بين الأخوين في منحاهما في تلك الفترة . غير أن الفارق الفريد هو بدء تكون الوجدان الصوفي العميق عند أحمد الغزالي ، وظهوره في إقدام منقطع أثناء تلاوته أو إنشاده أو صلاته ، وفي حبه للعزلة والخلوة ونأيه عن الجلوة . أما أبو حامد فقد كان يتجه اتجاها غير صوفي، بل كان يعد لحياة أخرى فقهية وعقلية بعيدة عن تقاليد الصوفية .

ولم تكشف لنا المصادر التي أفصحت عن أحمد الغزالي شيئا عن دراسته الفقهية ولا عن أساتذته الذين تلقى عنهم هذا السلوك . فقد ذكر صاحب وفيات الأعيان « أنه كان من الفقهاء المبرزين غير أنه جنح إلى الوعظ »(١)، ويذكر ابن السبكي وطاش كبرى زاده أنه تفقه ثم نزع إلى التصوف (٢) . وهذا ما يردده صاحب مرآة الجنان ، ونقله عنه في ألفاظه صاحب شذرات الذهب (٣) .

من هنا نصل إلى أن أحمد الغزالي لم يلج حظيرة الصوفية إلا بعد أن درس علوم الشريعة محققا بذلك تلك النزعة الصوفية التي كثيرا ما نادى بها السنيون من المتصوفة .

اختلفت المشارب بعد ذلك بين الأخوين

---

(١) ابن السبكي حـ ٢ ص ١٠٣ - وإتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين لابن المرتضى حـ ١ ص ٧ وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة حـ ٢ ص ٢٠٢ .

(١) وفيات الأعيان ص ٤٩ .

(٢) طبقات ص ٥٤ ، مفتاح ص ٢٠٢ حـ ٢ .

(٣) مرآة الجنان حـ ٢ ص ٢٢٥ شذرات الذهب حـ ٤ ص ٦٠

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى سلوكهما — فقد سار أبو حامد فى طريق الفقه ثم انتقل إلى علمى الكلام والفلسفة ، أما أحمد ، فقد غلب عليه الوعظ ، والميل إلى الانقطاع والعزلة وكان صاحب عبارات وإشارات » (١) .

فإذا انتهى دوره من هذه المرحلة وجاوز تلك المفازة رحل إلى همذان على ما يذكره الحافظ السلفى قال شهدت مجلس وعظه بهمذان، وكنا فى رباط واحد ، بيننا ائتلاف واكتناف وشديد رغبة فى وثيق صحبة كان من أذكى خلق الله وأعرفهم بمواقع الكلام وأصوبه فى نفوس الكرام .

إن شئت فهو الماء نميرا أو الزهر عبيرا ، وإن شئت فهو الجمر سعيرا أو النار توقدا وزفيرا ، إن شئت فهو اللبن خالصا سائغا يخرج من بين فرث ودم وإن شئت فهو المر النقيع والعلقم » (٢) وكذلك كل من يشعر بقسط وفير فى الوجود وأثره البعيد فى الخلود ينبغى أن يكون له لسان ذو حدين حد فائق وحد راتق إن سالمته سال عذبا وإن صارمته سل عضبا ، ومثل ذلك النحل إن رضيت عملت العسل وإن غضبت أعملت الأسل .

هذا هو أحمد الغزالى فى حالى رضاه فى الله وغضبه فى الله .

وقد طوف البلاد واعظا من أندر الواعظين وسبقته شهرة ضربت إليها آباط المطى حتى أتاها المريدون من كل مكان قصى يقول طاش كبرى زاده « وكان يدخل القرى والضياع ويعظ لأهل البوادى تقربا إلى الله تعالى » ويقول صاحب شذرات الذهب وعظ مرة فى بلاط السلطان محمود فنحله ألف دينار (١) » ثم انتهى به المطاف إلى بغداد ، يقص علينا ابن النجار أنه « دخل بغداد وأحرز بها القبول الأخاذ فازدحم الناس وتسابقوا إلى شهود مجلسه والاغتراف من مناهل درسه » وكان قد سبقه إليها أبو حامد الغزالى أخوه واجتمع به حتى التقيا على صعيد واحد ، وكانت العلائق بين الأخوين وثيقة ، فبينما أحدهما وهو أبو حامد يشرح للناس ويفصل فى أقضيتهم ويضرب فى علم الكلام والفلسفة وآداب المناظرة ومصطلح الحديث وعلم توهين الدخلاء على الفقه والتفسير والرياضيات ، كان أخوه أحمد يرمى الدنيا ببصره الثاقب فيراها دار غرور وخداع « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب » .

ولقد كان ضعيفا مستضعفا فإذا جد الجد فهو الليث عاديا ، وكان أكثر دهره صامتا

(١) شذرات الذهب .
(٢) طبقات نفس الصفحة .

(١) شذرات نفس الصفحة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإذا قال بز القائلين ، لا قلب له إلا مع الله ، ويقص صاحب مرآة الجنان (١) أن إنسانا سأله عن أخيه أبي حامد أين هو فقال بعد أن جال ببصيرته النفاذة إنه في الدم ، وذكر ذلك لأخيه أبي حامد فقال : صدق أحمد لقد كنت أذاكر في مسألة من مسائل المستحاضة وتقص السير الوثيقة أن أبا حامد عهد فترة إلى أخيه أحمد بالتدريس في النظامية فقام أحمد بذلك حتى عاد أخوه إليها ، وقد عاش في بغداد مدة ، ثم عاد إلى طوس مع أخيه ، إذ يذكر ابن المرتضى وفاة أبي حامد عن أخيه أحمد ووفاة أبي حامد كانت في طوس سنة ٥٠٥ هـ . وعاد أحمد إلى الطواف بعد وفاة أخيه حتى قضى سنة ٥٢٠ هـ في قزوين ودفن بها .

ويطبق المؤرخون على أن الإمام أحمد الغزالي كان من عيون الوعظة في الإسلام غير أن تلك الصفة لا يعنى بها في تقدير المؤرخين بمقدار ما يعنى بأثره في حياته الدراسية والوعظية الخطابية بين أترابه ومعاصريه.

ويقص علينا العلامة ابن المرتضى أن من أمهات الأسباب التي حملت الإمام أبا حامد على سياحته في الأرض وقطعه مفاوز القفار ولجج البحار ، وزهده وانطوائه على ذات نفسه ، وعزوفه عن مفاتن هذه الدنيا وبروقها : أنه ذات يوم جلس ليعظ الناس ، فدخل عليه أخوه أحمد وأنشده :

أخذت بأعضادهم إذ ونوا
وخلفك الجهد إذ أسرعوا
وأصبحت تهدى ولا تهتدى
وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى
تسن الحديد ولا تقطع

فكان ذلك حافزاً لتركه زخارف الدنيا وزبرجها (١) .

يتبين من ذلك أن الإمام أحمد هو الذي سلك أخاه الإمام أبا حامد إلى طريق التصوف وقد أثرت هذه الحال على أبي حامد أعمق تأثير مما جعله يترك التدريس في النظامية مدة.

وكان عين القضاة الميانجي من أخص تلاميذ الإمام أحمد الغزالي وكان كاتبا به تواقا إلى ترسم خطاه في الوعظ والإرشاد حتى أنه نشر عنه كتاب سواغ العشاق ، وترجمه إلى اللغة الفارسية . وكان عين القضاة من أكابر الأئمة ومن تلاميذه ، السالك في الله ، الشاعر الوجداني في الحب والمواجيد ، الفريد العطار الشاعر الصوفي الفارسي ، وقد روى عنه المؤرخون أن هذا الشاعر أكمل الأسس والمبادئ العامة لنظرية الحب الإلهي

(١) ٣ ص ٢٢٥ .

(١) إتحاف السعادة ج ١ ص ٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حسبما أرسى قواعدها شيخه الإمام أحمد الغزالى .

مذهب صاحب الترجمة :

لم تصل إلى أيدينا مؤلفات الإمام أحمد الغزالى ولا مؤلفات تلميذه (عين القضاة) - وقد نشر أحدها بالفارسية حتى نستطيع عرض مذهبه الصوفى عرضا كاملا حيث يبدو أن لأحمد الغزالى مذهبا صوفيا خاصا أشار إليه العلامة الفرنسى ماسينيون Massignon إشارة مجملة غير مفصلة فقال: إنه مذهب الحب البحت أو الحب الصافى L'amour pur [1]. ولا شك أن عين القضاة كان قد دان بهذا المذهب ثم دان به من بعده الفريد العطار . ولكن ماسينيون لم يعرف هذا الحب تعريفا يميزه عن تعريف الخاصة الصوفية .

مؤلفات صاحب الترجمة :

يذكر المؤرخون أنه اختصر كتاب أخيه أبى حامد الموسوم بإحياء العلوم ، فى مجلد واحد سماه لباب الأحياء ، وأن له كتاباً آخر سماه الذخيرة فى علم البصيرة ، ولم تصل إلينا هذه الكتب ، غير أننا نستطيع أن نصل إلى بعض مؤلفاته الأخرى مما كتبه مؤرخو الطبقات . فقد نشر العلامة الفرنسى ماسينيون نصا له بالفارسية عن كتاب يسمى سواغ العشاق الذى يقول : إن عين القضاة الهمذانى نشره عن أحمد الغزالى ، كما نشر له بعض النصوص من مخطوطة القصاص لابن الجوزى .

اتهام فى دينه من غلاة الخصوم :

وجد عليه فريق من غلاة خصومه الحانقين فنقل عنهم صاحب كتاب شذرات الذهب أن صاحب الترجمة « كان موصوما فى دينه » وفى فقرة أخرى يقول : « وقد تألب عليه غير واحد وغمزوه فى عقيدته » - ولا شك أن العلم أن أسمى تراث يتفيأ عليه بين علمائه وأدعيائه ، فكثيرا ما وصم أئمة المسلمين بالزيغ والجموح إلى الهوى .

وقد قال صاحب مرآة اليقظان « لقد أثنى عليه الحافظ بن النجار وغيره من العلماء والأتقياء فلا يؤبه لما نقل وقيل عنه » .

وقصارى القول أن ما ورد عن العلامة أحمد الغزالى من النيل منه محض كذب واختلاق .

والدعاوى إن لم يقيموا عليها
بينات أصحابها أدعياء

عباس طه

(1) Recueil de Textes imédits P. 94 — 95.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ماذا يقال عن الإسلام

الإسلام في التاريخ الحديث

تأليف الأستاذ ولفريد كانتويل سميث

للأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتاب ولفريد كانتويل سميث أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال، وقد أقام زمنا في مدينة لاهور بالباكستان وساح في بلاد الشرق الأوسط وبعض البلاد الإسلامية في القارتين الآسيوية والأفريقية، وتغلب عليه أحيانا نزعة يسارية تتراءى من خلال تفسيراته المادية وليكنه يجامل الشعور الإسلامي مجاملة الرجل الذي تربط أعماله بالمسلمين من حين إلى حين، ويتجنب المسائل الشائكة من وراء المنازعات الطائفية أو السياسية مكتفيا من المعلومات بما يشبه الإحصاء والشواهد « الرسمية ».

وقد اشتمل كتابه على فصول مسهبة عن الهند والباكستان وتركيا والبلاد العربية وعرض لبعض الأمم الإسلامية الأخرى عرضا موجزا على قدر اتصاله بها وعلمه بأحوالها، وأفرد جزءا من دراسته لمصر بالكلام على مجلة الأزهر وعن رسالتها الدينية ورسالة « العلماء » على الإجمال، ومهد للبحث كله ببعض الملاحظات العامة التي لا بد منها في رأيه للحكم الصحيح على وجهة التفكير الإسلامي ونظرة المسلمين إلى وقائع الحاضر وآمال المستقبل، ولم يخطىء في الكثير من هذه الملاحظات وإن كان قد أحاطها بشيء من الإغراب يوهم القارىء الأوربي أن هناك أمرا غير طبيعي في « النفسية » الإسلامية عند المقابلة بينها وبين المؤثرات الدينية في نفوس غير المسلمين.

يقول إنه ما من دين استطاع أن يوحي إلى المتدين به شعورا بالعزة كالشعور الذي يخامر المسلم في غير تكلف ولا اصطناع، وإن الفخر بالعربية قد يمازج هذا الشعور أحيانا فيعتبر المسلم العربي آداب المروءة قبل الإسلام قدوة للأخلاق والسادات، ويشترك العربي في هذا الفخر ولو لم يكن من المسلمين، فيعنى بالتاريخ العربي قبل الإسلام وبعد الإسلام عناية النسب الأصيل كما صنع جرجي زيدان وفيليب حتي وغيرهما من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مؤرخي العرب المسيحيين ، ولكن اعتزاز المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة ، وكون الإنسان مسلما باعث من بواعث الحمد تسمعه من جميع المسلمين .

وبين المسلم المعاصر وسائر المعاصرين من الغربيين فارق عميق في النظر إلى العالم وإلى المستقبل، فإن الأمريكي مثلا يواجه المستقبل بتجارب العصر الحاضر ويغلب القيمة العملية الواقعية على قيم العاطفة والخيال في تقديره للأشياء وعلاقاته مع الناس ، ولكن المسلم على خلاف ذلك ينظر إلى المستقبل ليقيمه على أساس من الماضي المجيد ، ويسعى إلى الغد ولا يفوته أبدا أن يلتفت إلى الأمس البعيد ، وإن لم يكن من الجامدين الكارهين للتقدم ومسايرة الزمن على ما تقتضيه مطالب الحضارة الحديثة .

ويقرر المؤلف أن جنوح المسلم إلى مسايرة الحضارة الحديثة لا يزال مصحوباً بكثير من التحفظ والحذر في علاقته بأصحاب هذه الحضارة ، فإنه لا ينسى أن دول الحضارة الأوربية هي التي اخضعته لسيطرتها منذ أواسط القرن الماضي واقتحمت بلاده عليه في الوقت الذي ثار فيه على حكوماته الوطنية طلباً للإصلاح والأخذ بأسباب تلك الحضارة التي أرادها خالصة من شوائب الاستعمار ، بريئة مما يناقض الدين .

قال : وإن المسلم ليحس أن الأوربي يفرق في المعاملة بينه وبين أصحاب الديانات الأخرى ولو لم يكونوا من المسيحيين ، وأن هذه التفرقة تظهر من الأوربي حيث ينبغي أن تختفي جميع الفوارق في معاملة الإنسان للإنسان . فقد لوحظ أن مستشفيات الصليب الأحمر كانت تهمل الجرحى المسلمين أثناء حملة فلسطين وتميز عليهم جرحى اليهود ، ويحدث هذا في المستشفى الواحد بغير مبالاة ولا محاولة للاعتذار من هذا التمييز .

ويعتقد المؤلف أن الغربي لا يفهم الإسلام حق فهمه إلا إذا أدرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهراً وباطنا وليس مجرد أفكار أو عقائد يناقشها بفكره أو يتقبلها بغير مناقشة ، فليس التفكير بنافع شيئاً إن لم يكن مصحوبا بتطور المعيشة وتطور أسلوب الحياة الظاهر والباطن في المجتمع الإسلامي الحديث .

ويستعير المؤلف اسم المعتذرين Apologetics لرواد النهضة الإسلامية الحديثة لأنهم - كما يرى - يسلكون المسلك الذي جرى عليه الآباء المسيحيون في صدر الدعوة المسيحية للرد على الفلاسفة والمفكرين الذين اشتهروا يومئذ باسم المعرفيين وأرادوا أن يجعلوا مذهب المعرفة ديانة تقابل الديانة المسيحية وتتغلب عليها في مجال البحث عن الحقيقة الدنيوية والحقيقة الأخروية . وقد كان المعتذرون قديما يردون على المعرفيين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بإثبات العقائد الدينية من الوجهة العلمية أو وجهة المنطق ومباحث ما وراء الطبيعة ، فلما شعر المسلمون بصدمة العلوم الحديثة كان مسلك الرواد الأوائل من طلائع نهضتهم كمسلك أولئك المعتذرين . وكان همهم الأول حقبة طويلة أن يثبتوا سبق العرب والمسلمين إلى كشف الحقائق العلمية واستعداد العقيدة الإسلامية لقبول الحقائق العلمية التي تسفر عنها مباحث العلماء العصريين .

وأضاف إلى ذلك قائلا : إنه يرى كما يرى الأستاذ (جب) المستشرق المشهور أن مستقبل الإسلام في هذه الحركة وفي غيرها من حركات الدفاع يستقر حيث استقر ماضيه من قبل بين أيدي حراسه الأوائل . وهم طائفة العلماء .

ثم يستطرد إلى الكلام على مجلة الأزهر لأنها خط من خطوط هذا الدفاع يرسمه المعهد الإسلامي الذي يضم إليه العدد الأكبر من علماء الإسلام .

قال إن هذه المجلة ظهرت أولا باسم نور الإسلام ، وظهرت منها الأعداد الأولى بهذا الإسم ثم سميت من عددها السادس باسم مجلة الأزهر (١٣٤٩ هجرية و ١٩٣٠ ميلادية) وقام على تحريرها العالم الأزهري الشيخ محمد الخضر حسين ، ثم أسندت رئاسة تحريرها إلى المجدد العصري Modernist الأستاذ محمد فريد وجدي . ولم يزل يشرف على تحريرها إلى سنة ١٩٥٤ ، وقد ذكر المؤلف أنه اتخذ المجلة موضوعا لدراسته التي قدمها إلى جامعة برنستون سنة ١٩٤٨ باسم (مجلة الأزهر - عرض ونقد) ولم ينقطع عن مراجعتها بعد ذلك إلى حين إصداره لكتابه الأخير باسم الإسلام في التاريخ الحديث .

ويقول الكاتب إنه لا ينظر إلى الآراء الخاصة التي تنشرها المجلة للعلماء . ولغير العلماء إلا من زاوية واحدة ؛ وهي الزاوية التي تشير إلى اتجاه عام يتقبله المسلمون كافة أو تتقبله جمهرة منهم على التعميم ، ورأيه في الأستاذ الخضر أنه يمثل المدرسة السلفية بمنهج الدفاع عن الإسلام ، وأن الأستاذ فريد وجدي مجدد عصري لا تزال طريقته في التجديد على قواعد المعرفة الحديثة مقبولة عند أنصار التجديد ، وإن يكن بعض آرائه منظورا إليه اليوم كأنه تفكير فات أوانه وظهر بعده ما هو أوفق منه لزمنه ، ولا اختلاف بين الأستاذ وجدي ولا بين السلفيين أو المجددين المتأخرين في رأي واحد يتفقون عليه : وهو أن العلم الحديث لا ينقض حقائق الإسلام وأن القليل منه عند المتعلمين المتعجلين هو الذي يغريهم بالانصراف عن العقيدة الدينية ولكنهم لا ينصرفون عنها ، بل يزدادون إيمانا بها ، مع التوسع في العلم الحديث ، والتوسع في العلم بالدين .

ويقول صاحب الكتاب في مقابلته بين منهج الشيخ الخضر ومنهج الأستاذ وجدي إن أولهما يعتبر الإسلام وحيا تاما قد نزل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية ، فلا إضافة إليه ولا زيادة عليه ولا تحوير فيه ، وإنما الإيمان بالإسلام هو الذى يحتمل القوة والضعف كما يحتمل زيادة المعرفة أو النقص فيها ، أو يحتمل المراجعة من عصر إلى عصر لتفقد الآثار العصرية فيه . وليس الأستاذ الخضر كما يرى المؤلف من أنصار الحنين إلى الماضى ، بل هو من أنصار الدعوة التى لا زمان لها لأنها صالحة لكل زمان ، ومهما تتجدد مذاهب المعرفة فالمسلم يسلم أمره إلى إرادة الله كلما هدته معارفه إلى فهم تلك الإرادة الإلهية بالدرس أو بالإلهام . وقد تساوى فى نظر الشيخ الخضر كلا الطرفين من المسلمين فى الحاجة إلى التصحيح والإصلاح : وهما - على تعبير المؤلف - طرف اليسار من المتعلمين الذين جاوزوا حدود الإسلام وطرف اليمين من الجامدين وأتباع الطرق الصوفية الذين ضيقوا حدوده عليهم وإن لم يجاوزوه .

أما الأستاذ وجدى فخطته فى الإصلاح تتجه قبل كل شىء إلى إحياء الشعور الروحانى فى ضمير الرجل العصرى ، لأنه يرى أن الفكرة المادية طغت على العقول فلم تسلم منها العقائد ولا الأخلاق ، وأن مشكلة الإنسان العصرى مشكلة أخلاقية نفسانية تستدعى من المصلح أن ينهض بأمثلته العليا فى معيشته الدينية والدنيوية معا ليعود به إلى حظيرة المثل الروحانية ، وهى الخليقة بعد ذلك أن ترده إلى شعائر الدين ونصوص الكتاب والسنة النبوية .

* * *

وليس المقام بمتسع هنا لشرح التعليقات التى عقب بها المؤلف على أحوال الإسلام فى الباكستان والهند والبلاد التركية والإيرانية وسائر الأمم الإسلامية ، ولكن تعليقاته التى أجملناها عن مصر نموذج حسن للتعريف بمقصده من البحث وتقديره للحركات الإسلامية بين تلك الأمم — وزبدتها أن الحضارة الغربية قد أزعجت أمم الإسلام فنهضوا للدفاع عن عقيدتهم فى وجهها وشعروا بأنهم يعيشون فى عالم غير عالمهم معها ، وأنهم ليقبلون هذه الحضارة أو يرفضونها ولكن القليل منهم هو الذى يؤثر ترك الإسلام للسير مع الحضارة الأوربية فى ركابها ، وإنما يتفقون - معظمهم - على صبغ الحضارة بصبغتهم ونقلها إلى عالم جديد لا ينفصلون فيه عن عالمهم القديم ، ولم يظهر بعدُ كيف يكون هذا العالم المنظور ولا كيف تكون العلاقة بينه وبين العالم الغربى على اختلاف مناحيه ، وكل ما هو واضح - اليوم - ولا حاجة به إلى المزيد من الإيضاح أن دعاة الحضارة الأوربية يفقدون عطف العالم الإسلامى إذا حاولوا أن يعاملوه غداً كما عاملوه أمس معاملة السيد العليم للجاهل التابع ، إذ لا سبيل إلى التفاهم على غير أساس المساواة .

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

زيارة سفير الباكستان :

فى الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الأحد ١١ من جمادى الثانية سنة ١٣٨١ (الموافق ١٩ من نوفمبر سنة ١٩٦١) زار سيادة سفير الباكستان فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وبعد أن رحب به فضيلته قدم دعوة من جامعة كراتشى ، وأخرى من مركز البحوث الإسلامية لزيارة الباكستان وقد سر فضيلته بهاتين الدعوتين ووعد بتحقيق رغبة المسلمين فى الباكستان فى أقرب فرصة ممكنة ، وقال إنه يسره ويسعده أن يلتقى بإخوانه المسلمين فى أى بقعة من بقاع الأرض .

ثم عرض فضيلته لتوحيد الرأى الإسلامى فى المسائل الإسلامية فقال إن مجمع البحوث الإسلامية الذى سيضم علماء من جميع الأقطار الإسلامية سيكون عاملا قويا فى سبيل توحيد كلمة المسلمين التى عمل الاستعمار جاهداً على تفريقها ، والحمد لله قد زالت الحواجز الآن وأصبح كل المسلمين فى جميع الأقطار يتطلعون إلى اليوم الذى تتوحد فيه كلمتهم فى ظل العقيدة الصحيحة ، والتعاليم الإسلامية السمحة . وتحدث فضيلته عن مكانة الأزهر الشريف فى العالم الإسلامى ، وقال إنه رأى بعينيه حاجة الناس الشديدة إلى جهود الأزهر ، واحترامهم وإجلالهم لرجاله ، وللزى الأزهرى فى ذاته .

ثم أهدى فضيلة الأستاذ الإمام لسيادة السفير مؤلفات فضيلته ، وودعه كما استقبل بالبشر والترحيب .

واستقبل فى يوم ٩ / ١١ / ١٩٦١ فضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد مكى صاحب مجلة المسلم المختار ، وبعد أن حياه فضيلة الأستاذ الأكبر قال لفضيلته « إن مركزاً ثقافيا إسلاميا كون فى جنوب إفريقيا منذ ١٩٣٤ ، وهذا المركز يعتبر مصدر إشعاع للعلم والمعرفة تنفق عليه لطبع الكتب وللتوجيه العلمى ، وحبذا لو مد الأزهر يده إليه خاصة وأن الأزهر يعتبر الكعبة العلمية الأولى للمسلمين . فأجابه فضيلته بأن الأزهر على استعداد لأن يعاون بالكتاب وبالمدرس بما يقوى الصلات الإسلامية بين المسلمين جميعا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد أمر فضيلته بأن تبحث طلباته فى إدارة الثقافة الإسلامية الاستجابة إلى ما يمكن تنفيذه فيها . ثم استقبل فضيلته السيد الشيخ على إسماعيل وزير الدفاع الصومالى الذى قال لفضيلة الأستاذ الأكبر « إنه لشرف عظيم أن نلقاكم وأن نتحدث إليكم » قال فضيلة الأستاذ الأكبر « إن الأمم دائما تحتاج إلى عنصرين : عنصر القوة المادية ، وعنصر القوة الروحية، والأزهر والحمد لله يمثل القوة العلمية المبصرة للناس الموجهة لهم الدافعة إلى كل معانى القوة التى تكفل لهم الخير والسداد والتوفيق ، وإنه ليسرنى أن نلقاكم وأن نلقى معانى الشباب فيكم ، فإنه التضامن الذى دعا إليه الإسلام وحث عليه ووجهنا نحوه ، فرحبا بكم فى جامعتكم وفى أرضكم .

ثم شكر السيد الوزير فضيلة الإمام الأكبر على عنايته بالبعوث الإسلامية التى يختارها للصومال وخاصة هذه البعثة الموجودة الآن والتى تظهر إخلاصا ونشاطا فى الدعوة الإسلامية . وقد أهدى له فضيلة الأستاذ الأكبر المصحف الشريف وتفسيره للقرآن وبعض مؤلفاته .

ثم قبل الوزير فضيلة الأستاذ الأكبر شاكراً له . ويما يذكر أن الوزير من المتخرجين فى كلية أصول الدين سنة ١٩٥٩ م .

كما استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الأستاذ بادر كبير علماء الطب الصناعى فى ألمانيا .

* * *

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه الشيخ أحمد بشير ، رئيس مجلس الشورى فى الفلبين، فحياه فضيلته قائلا : « أهلا بكم فى بلادكم وفى الأزهر الذى يحبكم ويقدركم، إن أملنا فى المسلمين فى الفلبين لقوى ، وإننا لنحب لهم الخير والسعادة والتقدم والازدهار ، فقد رأينا فيكم حين التقينا بكم هناك قوة فى الإسلام وصلابة فى العقيدة مما جعل قلوبنا تتعلق بكم » ، فقال السيد الزائر : « لقد رأينا فيكم حين شرفتمونا بالزيارة ما أكد لنا رجاحة عقلكم وحرية تفكيركم مما نعتبركم من أجله من كبار المجتهدين ، وإنكم خير خلف الأئمة الذين يسروا الفقه الإسلامى وقدموه للناس ، يحقق لهم أغراضهم فى الحياة ، متمشيا مع كتاب الله وسنة رسوله ، الأمر الذى نحرص عليه كل الحرص فى حياتنا » .

قال له فضيلته : « إن الفلبين لتعتبر بحرصها هذا على دين الله ـ جزءاً من الأزهر كما أن الأزهر يعتبر جزءا منها » . أما التطوير يا أخى فأنا أعتقد أنه جاء متأخرا الآن الأمانة الملقاة على عاتق الأزهر أمانة يجب ألا يغفل عنها لحظة ولا يتأخر عن أدائها أبدا ، نحن نحب أن يتعلم الناس اللغة العربية لغة كتاب الله الذى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنزل بلسان عربي مبين على رسول عربي ، ولكننا مع هذا لا نريد أن نقف حتى يتعلم الناس هذه اللغة بل نحن نخطو نحوهم خطوات واسعة حتى يستطيع الأزهر أن يخاطب كل من يلقاه فيكون رسل الأزهر رسلا يؤدون الأمانة وينقلون للمسلمين في أنحاء الأرض المفاهيم القوية والمبادىء السليمة التي احتواها ديننا وحرص على أن يسعد بها البشرية جميعا .

لقد أمرت بدراسة اللغات الأجنبية بمجرد أن وليت مشيخة الأزهر إيمانا بأنها من أقوى الوسائل للاتصال بإخواننا المسلمين الذين لم يدرسوا اللغة العربية ، فقد مثلت الأزهر في عدة مؤتمرات كان منها مؤتمر لاهاي سنة ١٩٣٧ م ، ولم يكن ثمة عقبة في التفاهم إلا اللغة ولولا أنني كنت محتاجا إلى من يترجم لي لكان الأثر بالغا والفائدة مزدوجة . أنا أذكر مثلا أن القائمين على أمر الأزهر كانوا يتحرجون من دراسة اللغات الأجنبية كما كانوا يتحرجون من دراسة الجغرافيا ، ولكننا نحمد الله أن استطعنا أن نجعل للأزهر كيانا يستطيع أن يؤدي الرسالة على الوجه الذي يحقق آمال المسلمين ، فهناك فرق بين المخاطبة المباشرة وبين أن نتكلم عن طريق المترجم ، فكثير ما يتصرف المترجم في المعاني بغير الجهة التي نريدها .

ولما سأل سيادة الزائر متى تتاح الفرصة لدراسة البنات بالأزهر قال فضيلته : « نحن الآن نعد تخطيطا من هذا النوع فإننا نريد أن نخرج أما تبني جيلا وتنهض بالتبعات التي تلقى عليها وتحقق آمال الأمة فيها ، لا فتاة تنصرف إلى التبرج والزينة وتتبع أحدث معالم الملابس وغيرها مما يفقدها شخصيتها ، نحن نريد أن تكون للمرأة شخصيتها التي كونها الإسلام لها والتي حققها في كل نواحي الحياة من أجلها ، وذلك لا يكون إلا بأن نستمد هذه المعرفة من واقع ديننا ليلتقي بواقع مجتمعنا ، وهكذا نخدم أمتنا ونخدم الأجيال القادمة وجيلنا الذي نعيش فيه . ولقد اتخذنا الأهبة فعلا لذلك وأعددنا العدة حتى يكون الافتتاح في أول العام القادم إن شاء الله .

إننا مستعدون لتلبية طلباتكم وتحقيق رغباتكم فيما يكفل لكم حياة تتفق مع المبادىء الإسلامية والمثل العليا فيها .

وقد ودع فضيلة الإمام الأكبر الزائر قائلا له : « أرجو أن تحمل تحياتي إلى المسلمين جميعا في الفلبين » .

فقال الزائر : « إننا ندعو لكم بطول البقاء حتى تحققوا للمسلمين جميعا ما نصبو إليه » ، وقد كان يرافق السيد الزائر : السيد فهمي العمروسي ، السفير السابق في الفلبين . والسيد الدكتور إبراهيم كاظم ، الأستاذ المساعد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى كلية البنات . والملحق الثقافى فى الفلبين .

* * *

مؤتمر صحفى :

دعا فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مؤتمر صحفى حضره لفيف كبير من الصحفيين ، كما حضره كبار رجال الأزهر وعمداء الكليات الأزهرية ووكلاؤها .

وقد بدأ فضيلة الأستاذ الأكبر حديثه بشكر الصحفيين على تلبية دعوة فضيلته ثم قرأ عليهم البيان الذى نشرناه فى افتتاحية هذا العدد ، وبعد أن انتهى من بيانه قال إنه ومدير جامعة الأزهر بالنيابة ، ومدير المعاهد الدينية يرحبون بالإجابة عن أى سؤال ، و بشرح كل استفسار .

فسأل أحد الصحفيين عن مدارس تحفيظ القرآن ، وعن صلتها بالأزهر ، فأجاب الدكتور محمد ماضى مدير المعاهد الدينية بأن للأزهر عناية كبيرة بهذه المدارس . وأن القانون يعتبرها القسم الابتدائى للأزهر ، وأن من هذه المدارس سبعين مدرسة كانت تحت إشراف وزارة التربية والتعليم وضمت إلى الأزهر ومنها ٥٥ مدرسة كانت كتاتيب وستحول إلى مدارس يشرف عليها الأزهر .

ثم سأل هذا الصحفى عن الإمكانيات المادية التى يتطلبها التنظيم الجديد للأزهر ، وهل وضعت ميزانية لهذا الغرض .

فأجاب الدكتور محمد البهى بأن الذى رعى قانون تطوير الأزهر ، وهو الرئيس جمال عبد الناصر سيمكن الأزهر من أداء رسالته على أتم وجه .

أما الإمكانيات الفنية فلدينا نخبة من العلماء ، وسيعنى الأزهر بالبعثات العلمية ، والذى أعرفه أن هناك مشروعا للميزانية قد أرسل للجهات المختصة .

وأجاب عن سؤال ثالث بأن جامعة الأزهر ستحتفظ بطابعين .

الأول : المستوى الإسلامى والعربى .

الثانى : المجانية فى كل شىء .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر عن سؤال يتعلق بتعليم الفتاة فى الأزهر فقال إننا سنفتح فى العام القادم كلية الدراسات الإسلامية للبنات ، وسيكون للمغتربات عن القاهرة مكان مستقل فى مدينة البعوث الإسلامية .

ونرجو أن يكون فى المستقبل معاهد إعدادية وثانوية للبنات تلحق بالأزهر أما عن طلبة البعوث فإن الدولة لم تدخر وسعا فى توفير الرعاية لهم ، وإن مدينة البعوث ـ كما قال الدكتور البهى ـ أحسن من أى مدينة تماثلها فى أى بلد من بلدان العالم .

(البقية فى الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بريد المجلة

أفلسفة جديدة للبوذية؟

أذاعت إحدى المحطات الأجنبية في الشهر الماضي خبراً مؤداه :

« إن مظاهرة ضخمة تزعم قيادتها بعض الكهنة البوذيين ، احتجاجا على حكومة برما التي سمحت للمسلمين بإنشاء ثلاثة مساجد في ضواحي (رانجوت) العاصمة ، وقد اتجهت المظاهرة بقيادة الكهنة إلى المساجد الثلاثة ، فأحرقت أحدها وخربت آخر ، واشتبك المتظاهرون مع رجال البوليس فقتل أربعة وجرح عدد غير قليل ، وقبض على حوالى ثلثمائة من المتظاهرين من بينهم سبعون كاهناً بوذيا ... » .

هذا الخبر أذاعته محطة أجنبية تمت بالصداقة الوثيقة إلى برما وقرأت تعليقا عليه في بعض الصحف العربية . وليس فيه شيء من الاختلاق أو التجني أو المبالغة ، وإلا كان المسئولون في حكومة برما بادروا بالتكذيب أو التصحيح ، لا سيما أن موقف الحكومة سليم ، فالمسلمون في برما يبلغون سبعمائة ألف

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(البقية في الصفحة السابقة)

وأخيرا وجه أحد الصحفيين سؤالا يقول إنه أشيع أن بعض إدارات الأزهر ستنقل إلى وزارة من الوزارة . فأجاب فضيلته إجابة حاسمة قائلا : إن المادة الثانية من قانون تنظيم الأزهر نصت بصراحة على أن الأزهر هو المشرف الوحيد على جميع الأجهزة الدينية . وليس لأحد غيره شيء من هذا الإشراف .

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر أعاد الأستاذ الأكبر شكره للصحفيين كما شكر الصحفيون لفضيلته هذه الدعوة ، ورجوا أن تتكرر مثل هذه الاجتماعات حتى يكون العالم كله على علم بما يجد في شئون أكبر جامعة إسلامية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مسلم ، ومن حقهم كمواطنين أن يقيموا أماكن العبادة ، لتأدية شعائرهم الدينية ، ولم تقف الحكومة حائلا دون ذلك

ولسنا ندرى أهذه فلسفة جديدة للبوذية فى برما تحترم التعصب الدينى الأحمق الذى يصل إلى درجة السفه والشغب وسفك الدماء ؟

أم أنها ظاهرة جديدة من ظواهر التنكر لروح البوذية الأصيلة التى قامت على الحب والرحمة والتسامح ، هذه المبادىء التى ظل بوذا نفسه متنقلا خلال أربعين عاما من مكان إلى مكان داعيا إليها ، ومشاركا الناس آلامهم ومتاعبهم ؟

مثل هذا الحادث ليس بالأمر الهين وليس الضرر فيه واقعاً على مواطنين مسلمين يبلغون ثلاثة أرباع السكان فى بورما ، إذا قيس بالنسبة للإساءة المعنوية التى تلحق البوذية نفسها ومن خلفها خمسمائة مليون بوذى يقطنون بورما وسيلان واليابان وغيرها .

نحن نعتقد أن تلك الشرذمة من الكهنة البوذيين ليست فى حاجة إلى أن نذكرها بروح البوذية التى تفيض سماحة وحبا ووداعة ، وكانت فى أساسها - كما يقول الأستاذ حامد عبد القادر فى كتابه (بوذا الأكبر) - ديانة عملية تدعو إلى ضبط النفس وقمع الشهوات ، والتسامح والتمسك بالآراء الصحيحة » . وكما يقول بوذا نفسه فى إنجيله :

« إن الزاهد الحق هو الذى يشعر بالغبطة والفرح فلا يتكبر ولا يتجبر ، بل يزداد لطفا ووداعة فلا يخدع ولا يراوغ ولا يشتم ولا يسبب ضررا لأحد » .

« على الإنسان أن يغلب غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير ، إن النصر يولد المقت لأن المهزوم فى شقاء ، وإن الكراهية لايستحيل عليها فى هذه الدنيا أن تزول بكراهية إنما تزول الكراهية بالحب » .

« لا يطهر نهر رجلا متعهدا للسيئات مضمرا للمقت مرتكبا للجناية ... » .

* * *

يجب أن لا يمر بنا - نحن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها - مثل هذا الحادث دون أن يثير انتباهنا فليس لنا أقليات فى بورما وحدها بل لنا ، فى كثير من البلاد أقليات تلقى من التعنت والاضطهاد العقيدى شيئا كثيرا ،

ولعل هذه الأقليات فى الشرق مهبط الديانات لم تجد بعد الكعبة التى تتجه إليها ، لحماية عقائدها والانتصار لها فى شد أزرها ، ولعلها لم توفق بعد إلى « معتصم » جديد تستغيث به فيلبى استغاثتها ، فالدول الإسلامية على كثرتها كل مشغول بنفسه وقضاياه الداخلية والخارجية - أما المسلمون الذين يمثلون أقليات فى بلادهم ، فلهم الله وحده .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن هذه الأقليات المسلمة أمانة لا فى عنق الأزهر وحده ولا فى عنق المؤتمر الإسلامى فى القاهرة ، والباكستان وحدهما ، ولا فى عنق حكومات الدول الإسلامية وحدها ، وإنما هى أمانة فى عنق كل مسلم سيسأل عنها أمام الله والتاريخ .

وبعد - فإذا طاب لرجال الكهنوت فى بورما البوذية أن يتنكروا لمبادئ دينهم ، ومبادئ قديسهم الأكبر ، فهلا فكروا قليلا ، فى أن أحد زعمائهم « يوثانت » عين أخيرا سكرتيراً لهيئة الأمم المتحدة لينقذ العالم من هوة قد يتردى فيها ، والمعتقد أن المبادئ التى يدين بها أسهمت كثيراً فى اختياره .

نحن نملك أن نذكر رجال الكهنة البوذيين مرة أخرى بقول « بوذا » :

« كما أن حب الأم يحملها على أن تحرص على حياة ولدها - أو ابنها الوحيد - ولو أدى ذلك إلى تضحيتها بحياتها - فكذلك يجب على الإنسان أن ينمى فى نفسه حبا لا حد له لجميع الكائنات . وأن يشعر قلبه المحبة الخالصة من جميع الشوائب لكل ما فى العالم » .

ولكنا لا نملك إلا أن نقول للأقليات المسلمة فى بورما : اصبروا وصابروا ورابطوا ولكم الله !

محمد عبد الله السمان

يجادلونك فى الحق . . .

يرى القراء فى غير هذا المكان من هذا العدد مقالا لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى ، وقد لاحظنا عليه - كما يرون - أن الآية التى جعلت عنوان الموضوع قد اقتطعت وانتزعت من سياقها ولحاقها حتى عمى معنى الحق الذى دار الجدل حوله بين المخاطب وهو النبى صلى الله عليه وسلم وفريق من المؤمنين ، كما يرشد إلى ذلك قول الله قبل ذلك « وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

ولو ذكر فضيلته مطالع السورة واستحضر الصورة التى كان عليها الموقف ما عرض الآية مقتطعة مبتورة وما خطر بباله احتمال أن يكون هذا الجدال من الكفار ، وما ذكر الحق الذى قام عليه خلق السموات والأرض تحت عنوان « يجادلونك فى الحق بعد ما تبين » فإن كلمة الحق تفسر فى كل مقام بما يناسبه ، على ألا يخرج التفسير عن معنى الأمر الثابت المقرر ، فالحق الذى قام عليه خلق السموات والأرض هو الحكمة أو القوانين الثابتة التى قام عليها وجودهما وتكوينهما والحق الذى يفهم من قوله تعالى « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » يتسع لمعانى الصدق والبر والخير والبقاء والهدى ، والحق الذى يفهم من قوله سبحانه « فتعالى الله الملك الحق » غير الحق الذى يفهم من قوله « يجادلونك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الحق بعد ما تبين ، ومن ثم رأينا أن المقال ليس فى مجال الآية وأن الآية ليست فى مجال المقال .

عبد الرحيم فوده

حديث الاشتراكية :

يسأل بعض قراء المجلة عن حديث « المسلمون شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » . فقد رآه مرة بهذه الرواية ، ورآه مرة أخرى بلفظ « الناس شركاء . . الخ ، ورآه مرة ثالثة . وفى آخره : فلا يجوز لأحد تحجيرها ولا للإمام بيعها ، ثم يقول : إنه لا يهتم بإسناد الحديث ، وإنما يهتم بصيغه المختلفة .

ونجيب السائل الفاضل ، بعد رجوعنا إلى أصول كتب الحديث وفروعه ، منفردة ومجتمعة — بالخلاصة التالية :

روى هذا الحديث بلفظ : « المسلمون . . » عن ابن عباس ، وعن ابن عمر ، وعن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فأما حديث ابن عباس ، فأخرجه ابن ماجه فى سننه فى الأحكام ، ولفظه : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلمون شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلأ ، والنار ، وثمنه حرام .

وأما حديث ابن عمر ، فرواه الطبرانى فى معجمه ، ولفظه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المسلمون شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلا ، والنار .

وأما حديث الرجل ، فأخرجه أبو داود فى سننه فى البيوع ، ولفظه عن أبى خداش (بوزن فراش) حبان بن زيد عن رجل من الصحابة قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أسمعه يقول : المسلمون شركاء فى ثلاث : فى الكلأ ، والماء ، والنار ، وكذلك أخرجه الإمام أحمد فى مسنده بهذا اللفظ . فكل الروايات السابقة متفقة على لفظ « المسلمون » وكلها متحدة فى اللفظ أو متقاربة جدا كما ترى ما عدا رواية ابن عباس ففيها زيادة : « وثمنه حرام » أى ثمن المذكور من كل واحد من هذه الثلاثة وقد جعله عنوانا ولم يخرجه فى رواياته بلفظ « الناس » واعترافا بالجميل لأهله نشهد بأن هذا الكتاب كان هو عمدة المصادر التى أنافت على العشرين .

أما روايته بلفظ : « الناس شركاء . . » الخ فلم نجده إلا فى مصدرين :

(١) نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية للزيلعى وهو الحديث الخامس من كتاب إحياء الموات ج ٤ .

(٢) بلوغ المراد . . . للحافظ بن حجر : عن رجل من الصحابة الخ ، قال : رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات ولابد أنه حفظه كذلك فى لفظ آخر لأبى داود ، أو لأحمد ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكفى بالحافظين ثقة وحجة ، وكفى بهما توثيقا واحتجاجا .

قال فى سبل السلام شرح بلوغ المرام : وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة مرفوعا : ثلاثة لا يمنعن : الماء ، والكلأ ، والنار . وإسناده صحيح .

وأما قول السائل الفاضل إنه رأى فى آخر بعض الروايات : فلا يجوز لأحد تحجيرها ... فذاك من كلام الشراح . وخلاصة ما قال شراح هذا الحديث فيه .

إن المراد بالكلأ هو الحشيش النابت فى الأرض الموات ، وبالماء ماء السحاب والعيون والأنهار التى لا مالك لها وبالنار الشجر الذى يحتطبه الناس من المباح فيوقدونه أو الحجارة التى يقدح بها . فكل الناس فى هذه الأمور سواء إلا إذا ادخر إنسان شيئا من ذلك فلا يجوز التعرض له إلا برضاه وإن وجب عليه بذله للمضطر .

ذلك ، ومن المعروف أن اختلاف الروايات فى الحديث بالإجمال والتفصيل أو التقديم والتأخير لا يضر ما لم يتعارض أو يضطرب ، ولا تعارض فى هذا الحديث ولا اضطراب .

هذه خلاصة بضعة وعشرين مصدراً من أمهات كتب الحديث وغيرها . ولولا خشية الإطالة لذكرناها ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

طه محمد الساكت

حكم الشريعة :
فى التلقيح الصناعى .

السيد الأستاذ مدير المجلة :

اطلعت على مقال تحت عنوان (فكرة) للأستاذ على أمين فى مجلة حواء العدد ٢٦٦ بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ١٩٦١ والمقال انتصار لفكرة التلقيح الصناعى ، وتحريض عليه ، وترغيب للمجتمع فيه .

وهذا الموضوع ليس بالموضوع الهين ، بل يحتاج إلى بحث شامل من النواحى الدينية والاجتماعية وأرجو أن تتفضلوا بإحالة هذا الموضوع على فضيلة الأستاذ الأكبر ليبدى رأيه فيه .

وهيبه مأمون الشناوى
الأمينة العامة لجماعة السيدات المسلمات
بالحلمية الجديدة

وقد عرض هذا السؤال على الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فأجاب هذا الجواب :

نستطيع أن نقرر بالنسبة لحكم الشريعة فى التلقيح الصناعى الإنسانى أنه إذا كان بماء الرجل لزوجه ، كان تصرفا واقعا فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دائرة القانون والشرائع التي تخضع لحكمها المجتمعات الإنسانيه الفاضلة . وكان عملا مشروعا لا إثم فيه ولا حرج ، وهو بعد هذا قد يكون فى تلك الحالة سبيلا للحصول على ولد شرعى يذكر به والده وبه تمتد حياتهما وتكمل سعادتهما النفسية والاجتماعية ، ويطمئنان على دوام العشرة وبقاء المسودة بينهما ، أما إذا كان التلقيح بماء رجل أجنبي عن المرأة لا يربط بينهما عقد زواج ولعل هذه الحالة هى أكثر ما يراد من التلقيح الصناعى عندما يتحدث الناس عنه ، فإنه يزج بالانسان دون شك فى دائرة الحيوان والنبات ويخرجه عن المستوى الانسانى مستوى المجتمعات الفاضلة التى تنسج حياتها بالتعاقد الزوجى وإعلانه .

وهو فى هذه الحالة بعد هذا وذاك - يكون فى نظر الشريعة الاسلامية ذات التنظيم الانسانى الكريم ، جريمة منكرة ، وإثما عظيما ، يلتقى مع « الزنا » فى إطار واحد جوهرهما واحد ، ونتيجتهما واحدة ، وهو وهو وضع ماء رجل أجنبي قصدا فى حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد إرتباط بزوجية شرعية يظلها القانون الطبيعى ، والشريعة السماوية ، ولولا قصور فى صورة الجريمة لكان حكم التلقيح فى تلك الحالة هو حكم الزنا الذى حددته الشرائع الإلهية ونزلت به كتب السماء .

وإذا كان التلقيح البشرى بغير ماء الزوج على هذا الوضع ، وبتلك المنزلة كان دون شك أفظع جرما وأشد نكرا من « التبنى » وهو أن ينسب الإنسان ولدا يعرف أنه ابن غيره إلى نفسه ، وإنما كان التلقيح أفظع جرما من التبنى ، لأن الولد المتبنى المعروف أنه للغير ليس ناشئا عن ماء أجنبي عن عقد الزوجية ، إنما هو ولد ، ناشىء عن ماء أبيه الحقه رجل آخر بأسرته ، وهو يعرف أنه ليس حقلة من سلستها غير أنه أخفى ذلك عن الولد ولم يشأ أن يشعره بأنه أجنبى ، فجعله فى عداد أسرته وجعله أحد أبنائه ، زورا من القول وأثبت له ما للأبناء من أحكام .

أما ولد التلقيح فهو يجمع بين نتيجة التبنى المذكور ، وهو إدخال عنصر غريب فى النسب وبين خسة أخرى وهى التقاؤه مع الزنا فى إطار واحد ، تنبو عنه الشرائع والقوانين ، وينبو عنه المستوى الإنسانى الفاضل ، ويزلق به إلى المستوى الحيوانى الذى لا شعور فيه للأفراد برباط المجتمعات الكريمة ، وحسب من يدعون إلى هذا التلقيح ، ويشيرون به على أرباب العقم ، تلك النتيجة المزدوجة التى تجمع بين الخستين ، دخل فى النسب وعار مستمر إلى الأبد . حفظ الله على المسلمين أنسابهم ومستواهم الإنسانى الفاضل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حول فلسفة الفكر الإسلامي :

عنوان مشوق لكتاب جديد من سلسلة الثقافة الإسلامية يغرى القارئ بالاطلاع عليه واقد نظرت إلى عنوانه فاشتريته ونصفحته تحت تأثير عنوانه البراق وزادنى ثقة وإغراء إنه فى سلسلة الثقافة الإسلامية التى عودتنا أن تقدم لنا فوق مائدتها خير زاد من الثقافة الإسلامية وعهدنا بالمشرف المسئول الأستاذ محمد عبد الله السمان أنه النقادة القوى الملاحظة .

قدم الناشر للكتاب فقال : المؤلف هو الكاتب الفرنسى هنرى سيرويا وكتابه عن فلسفة الفكر الإسلامى يعرض بصورة حية مركزة هذه الفلسفة الإسلامية ومذاهبها فى العالم العربى حيث كان مركز الإشعاع الدينى. كما يحلل الأفكار الفلسفية لكبار المفكرين الإسلاميين كابن رشد وابن سينا والفارابى والغزالى ـ وهذا الكتاب قد أهداه إلينا الأستاذ الكاتب المعروف مالك بن نبى ، الذى يتابع دراساته على ضوء الإسلام فى مشكلات الحضارة ولهذا الإهداء قيمته فقد قرأه أستاذنا واطمأن إليه ونصح بترجمته . اهـ .

وإنى أعجب وأعتب على من أهدى الكتاب وأوصى بترجمته وعلى من ترجمه وعلى من قبل الاهداء والطمأن له .

وليس المجال مجال تحليل للأخطاء والأوهام المنبثة فى الكتاب ويكفى أن نعرض نصوصا صريحة فى معاندة الاسلام وهدمه من غير دليل لا فلسفى أو غير فلسفى ـ فى صفحة ٢١ : « وحياة محمد المحوطة بالقصص التى تسر أهل الشيعة ما هى إلا من الخيال الفارسى والمرة الوحيدة التى نحا فيها محمد نحوهم » يقصد الخيال الفارسى ، وسلك هذا المسلك كان فى رحلته الليلية التى أسرى فيها إلى بيت المقدس على ظهر دابة خيالية فقوبل محمد بعاصفة من السخرية مما دعاه إلى أن يؤكد لهم أن رحلته لم تخرج عن كونها حلما ، وكل ما يعلق به الناشر على هذه الادعاءات الكاذبة قوله : الرسول لم يؤكد أن الاسراء كان رؤيا وإنما اختلف علماء المسلمين ، واكتفى بهذا التعليق الأبتر وترك إحاطة النبى عليه السلام بقصص الخيال الفارسى وركوبه على ظهر الدابة الخيالية وتراجع النبى أمام سخرية القوم عن رأيه .

ثم يستمر المؤلف فى افتراءاته فيقول « وتأثير العبقرية الفارسية المعارضة العبقرية العربية نرى أن أسطورة محمد قد زادت تعقيدا » .

وفى صفحة ٢٤ « ومحمد الذى تطبع بالكثير من الخلق العربى نرى له بعض النزعات والأفعال من العسير غفرانها وهى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على أية حال أقل شأنا مما ارتكبه تلميذه عمر . فهو قد سمع ولم يتردد في إباحة السلب والنهب والقتل واستخدام الكذب في خدع الحرب وحيلها - وهل يكفي أيها القارىء أمام هذا التيار الجارف أن يعلق الناشر بقوله في الهامش هذه مفتريات . فالرسول بشر يخطىء ويصيب ولكن لا يخفى على ذي الفطنة أنه لا محل لهذه الجملة في التعقيب على هذه الافتراءات .

إن الاعتزاز بذلك موهم بالتسليم وفي نفس الصفحة : « والمسلمون كما يقول ريتان لديهم الإيمان واليقين ونبل الخلق قد امتزجا إلى حد ما بالخداع والحيلة والتمويه .

فأي تفكير وبأي وجه يحسب هذا تفكيراً فلسفيا إسلاميا - هو ليس بتفكير إطلاقا ولكنه سباب ولا صلة له بالإسلام ولا علاقة ، اللهم إلا علاقة التضاد فأولى بالسلسلة الإسلامية وأكمل لها أن تبتعد عن هذه البضاعة ومن الخير ألا تلتفت إلى هذا اللغو من الحديث وأن تظل بطابعها الأسمى كما عودتنا وكما عهدنا في مشرفها الكريم والله الموفق .

الحسيني عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق

تصويب خطأ :

وردت في عدد جمادى الآخرة من المجلة الآية الكريمة « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » .

محرفة سهوا إلى ... ورزق ربك خير مما يجمعون وذلك بالصحيفة رقم ٧١٧ في مقال الأستاذ علي العماري .

نرجو التكرم بالتنبيه على ذلك في العدد القادم من المجلة .

والله يوفقنا للقيام بواجب حفظ كتابه الكريم ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟

عبد اللطيف محمد عبد السلام
مدرس بوزارة التربية والتعليم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السمان

---

١ — هل نحن مسلمون ؟

للأستاذ محمد قطب

نشرت مكتبة وهبة بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ محمد قطب الذى قدم لنا من قبل دراسات إسلامية واعية : شبهات حول الإسلام ، معركة التقاليد ، قبسات من الرسول ، الإنسان بين المادية والإسلام ، منهج التربية الإسلامية ، فى النفس والمجتمع .

وكتابه الجديد الذى نحن بصدده يقع فى مائتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، وهو دراسة جيدة لتصحيح مفاهيم الإسلام ، تناولت مفهوم الإسلام — لا كما تفهمه الكثرة الساحقة من المسلمين اليوم : « مجموعة من العبادات يؤديها الإنسان بمعزل عن السلوك العملى ، ويستطيع أن يتجه إلى الله مخلصا فى أثناء العبادة . ثم يتجه لغير الله فى أى أمر من أمور الحياة » — وإنما كما فهمه الرسول صلوات الله عليه ، وكما فهمه عنه أصحابه وأتباعه : هو إسلام النفس كلها لله .. هو أن يكون كيان الإنسان كله متوجها إلى الله .. هو أن تكون أفكار الإنسان ومشاعره وسلوكه العملى كلها محكومة بالدستور الذى أقره الله .. »

ثم قدم المؤلف نماذج من المجتمع المسلم تجاوبت مع المفاهيم العامة للإسلام ، حيث كانت صورة واقعية من حياتها ، وعرض خط الانحراف عن الإسلام حيث بدأ منذ عهد حكم الأمويين ، وقد حدث أول تصدع فى المبادئ الإسلامية فى سياسة الحكم وسياسة المال ، ثم واصل امتداده إلى العصر العباسى وقد دخل الفرس فى توجيه سياسة الدولة وتشكيل صورتها ، وإلى العصر التركى . وقد توقف المد العلمى الإسلامى ، وعانت المفاهيم الإسلامية انحسارا كبيرا حتى جمدت وتحجرت وتوقفت عن النماء .

واعتبر المؤلف أن عوامل محلية تمثلت فى الرواسب التى خلفتها الحروب الاستعمارية الصليبية التى شنت على العالم الإسلامى ، وأن تيارات عالمية تمثلت فى التطور الدخيل الذى أملاه الاستعمار على العالم الإسلامى أيضا ، هذه التيارات وتلك العوامل اشتركت فى وضع خط الانحراف عن الإسلام ، وأصبح لهذا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الانحراف مدرسة فكرية لازال نشاطها قائما في بلاد المسلمين لاسيما المنطقة العربية . .

الواقع أن الأستاذ محمد قطب كتب كتابه لها تقديرها ، غير أن تحمسه ضد التطور الأوربي كان مبالغا فيه ، والتطور أيا كان لونه واتجاهه قد يكون فيه الغث والسمين والرديء والطيب ، والإسلام لا يمكن أن يعادي التطور جملة واحدة . فهو يقبل ويتجاوب مع الطيب ويلفظ الغث والرديء ، وكيف يستقيم تحامل المؤلف العنيف على التطور الغربي مع اعتباره أن الجمود في العصر التركي قد احتل جزءا من خط الانحراف عن الإسلام ؟

ثم إن المؤلف عمد أحيانا إلى إحالة القارئ على أفكار مدونة في مؤلفاته السابقة دون ما تلخيص لها ، وفي هذا تكليف لا يطيقه القارئ الذي يحاول أن يستوعب الخطوط الرئيسية لأفكار الكتاب الذي بين يديه . .

وكنت أود أن لا يتضمن عنوان الكتاب إثارة عاطفية : هل نحن مسلمون ؟ بيد أن الكتاب دراسة جيدة لتصحيح مفاهيم الإسلام وليس مجرد إثارة لعواطف المسلمين . . !

* * *

٢ — الأم :

للإمام الشافعي

أخرجت مكتبة الكليات الأزهرية بميدان الأزهر بالقاهرة طبعة جديدة من كتاب الأم ، للإمام الشافعي رضوان الله عليه . والكتاب في هذه الطبعة من ثمانية أجزاء ، وقد تم طبع الجزأين الأول والثاني وبقية الأجزاء في طريق الانتهاء من طبعها .

وقد أشرف على هذه الطبعة وتصحيحها الشيخ محمد زهري النجار أحد علماء الأزهر . وقد نقل الشيخ محمد زهري مقدمة موجزة للإمام الشافعي عن تاريخ حياته بقلمه ، رواية أبي بكر محمد بن المنذر ، كما اعتمد في الترجمة له على مناقب الشافعي للرازي ، وشذرات الذهب . لابن العماد ، ووفيات الأعيان لابن خلكان . ورحلة الإمام الشافعي لمنير أدهم .

استنفد الجزء الأول أبواب الطهارة والصلاة والجنائز ، والجزء الثاني الزكاة .

واستطاع مصحح الكتاب أن يضيف تعليقات متواضعة للغاية ، هي شرح للفظ مبهم أو إزالة لبس عن عبارة غامضة .

إن المحاولة للحفاظ على تراثنا الإسلامي — لاسيما المصادر الفقهية — هذه المحاولة جديرة بالتسجيل والتقدير . وكتاب الأم من المصادر الأصيلة بل هو مصدر أساسي لفقه الشافعي ، وكنا نود أن تكون هناك عناية بالتعليق — ولو في تواضع أيضا — على بعض المسائل الخلافية الكبرى لاسيما وأن معظم الراغبين في الدراسات الإسلامية قد تحرر من التقليد المطلق . .

كما كنا نود أن تكون المقدمة قد عنيت بلون من الدراسة عن الكتاب نفسه ، والمراحل التي مر بها ، كتعريف به .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٣ — غزوة أحد :

للأستاذ أحمد عز الدين عبد الله خلف الله .

المؤلف مدرس فى كلية الشريعة بالأزهر ، ومتخرج فى كلية الآداب . وهو يواصل كتابة دراسات عن السيرة المحمدية تنشرها المكتبة الإسلامية التجارية فى طنطا .

سبق أن كتب المؤلف عن العصر المكى وغزوة بدر ، وها هو ذا كتابه عن غزوة أحد ، والمؤلف يعتمد فى دراساته على مصادر إسلامية فى تاريخنا لها تقديرها ، كما يعتمد على دراسات كتبها المستشرقون يقف منها موقف الناقد الحذر ، وهو لا يعمد إلى مجرد السرد التاريخى الذى وفته كتب التاريخ حقه وإنما يحاول أن يلقى أضواء على الأحداث يظهر فيها التفسير والتحليل والتعليق .

تناول الكتاب الموقف قبل أحد ، استعداد قريش للغزو ، القوة الإسلامية ، تعبئة المعسكرين ، القتال ، الانتصار ، شهداء أحد ، نظام الجيش الإسلامى ، تقرير الإسلام للمبادىء الإنسانية فى الحرب ، ما تضمنته الغزوة من قواعد ، ثم جولة مع المهاجرين .

أعجبنى فى المؤلف قدرته على التحليل للأحداث ، وإلقاء أضواء على ما علق ببعضها من شبهات ، ولكنه حين ترجم لشهداء أحد أوجز إيجازا بالغا . حتى وصلت الترجمة لبعضهم إلى أقل من سطر ...

٤ — فلسفة الفكر الإسلامى :

الكاتب الفرنسى هنرى سيرويا

هذا البحث قدمته سلسلة الثقافة الإسلامية بالقاهرة فى عددها الأخير ، وقام بترجمة البحث إلى العربية أستاذ اللغة الفرنسية الأستاذ محمد إبراهيم على .

عرض المؤلف الإسلام من الجانب الفكرى عرضا دقيقا : تناول الطابع العام للقرآن والطابع الفلسفى للإسلام ، والمذاهب الإسلامية الفلسفية ، والنبوة والعقل ، كما عرض فى إيجاز لأفكار بعض فلاسفة المسلمين ، كالفارابى والكندى وابن رشد وابن سينا والغزالى وابن الطفيل .

والمؤلف لا شك فى أنه درس كثيراً وقرأ لأبرز المستشرقين ، ولذلك نراه يتناول بالنقد اللاذع مفتريات أولئك المستشرقين الذين حاولوا جاهدين الحط من قدر الإسلام كفكرة حية عامة . وليس مجرد نزعة عربية ودعوة إلى عصبية قبلية .

ولكن الكاتب الفرنسى لم يكن موفقا إلى السداد فى كل ما كتب ، ولم تسلم آراؤه ، فيما لم يوفق فيه ، من الاضطراب والتناقض ، فهو يتحمس مثلا لاعتبار الفلسفات القديمة كالإغريقية والهندية والرومانية والبوذية مصدرا مهما للفكر الإسلامى ، مع اعترافه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى موضع آخر بأن للإسلام طابعا فلسفيا ينفرد به

إن كتاب الغرب دائبون على الكتابة عن الإسلام دون أن يملوا ، وهم حين يكتبوا يتناولون الإسلام غالبا من جانبه الفكرى ، ولا يمكن للمسلمين أن يغلقوا أعينهم عما يكتب مفكرو الغرب لأن فى بعض ما يكتبون شططا ، إلا إذا رغبوا فى أن لا يجهدوا أذهانهم فى الرد على أى شطط فكرى يمس الإسلام .

* * *

٥ — **الإسلام ونزعة الفطرة :**

للأستاذ محمد عبد الرءوف بهنسى .

نشرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب ، والمؤلف مفتش سابق بوزارة التربية والتعليم ، وقد اتخذ شعارا لمنهج بحثه من قول الرسول : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » .

استوعب البحث مع النقد آراء فلاسفة الغرب كسقراط وأفلوطين وكانت وجالينوس ، وكذلك آراء فلاسفة الشرق : الراغب الأصفهانى والغزالى وابن خلدون ومحمد عبده والإمام على كرم الله وجهه ، ثم عرض الوجهة الإسلاميه فى نزعة الفطرة ، وناقش معنى : كل مولود يولد على الفطرة مسترشدا بآراء ابن الهيثم وأبى منصور الأزهرى وابن الأثير والنووى وبعض الصوفية وغيرهم .

فى هذا البحث دراسة مقارنة ، وإلقاء أضواء على بعض المسائل التى كثر فيها الجدل ، واختلفت آراء فلاسفة المسلمين فيها . لا سيما مشكلة القضاء والقدر ، ومشكلة الخير والشر .

* * *

٦ — **فى ظلال الهجرة :**

للأستاذ أنور السيد عبد الهادى .

مؤلف الكتاب الذى نشرته مكتبة القاهرة من علماء الأزهر الشريف وممن نالوا دراسات عليا فى القضاء الشرعى .

مهد المؤلف لبحثه ببحثة تاريخية تناولت الجزيرة العربية بيئتها وأوضاعها قبل البعثة ، وتناول حاجة البشرية يومئذ إلى رسول ، ثم تناول البعثة والمرحلة المكية بإيجاز ثم استوعب قصة المؤامرة أو قصة الهجرة إلى المدينة ، وما اكتنفها من كفاح مستمر ، وفدائية وتضحية ، واستخلص من الهجرة عظاتها وعبرها ، ثم تناول حكم الهجرة بعد الفتح وموقف الأنصار من إخوانهم المهاجرين .

المؤلف لم يذكر مراجعه فى هذا البحث التاريخى . كما أنه مر مرورا عابرا على عظات الهجرة والعبرة منها وهى من الكثرة بمكان ، وكانت فى حاجة إلى شىء من التحليل والتعليق .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

دعوة محمد والطريقة العلمية :

وقد تأخذ القارئ الدهشة إذا ذكر ما بين دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوى . فهذه الطريقة العلمية تقتضيك إذا أردت بحثاً أن تمحو من نفسك كل رأى وكل عقيدة سابقة لك فى هذا البحث ، وأن تبدأ بالملاحظة والتجربة ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم بالاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية ، فإذا وصلت إلى نتيجة من ذلك كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص ، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمى تسرب الخطأ إلى ناحية من نواحيها ، وهذه الطريقة العلمية هى أسمى ما وصلت إليه الإنسانية فى سبيل تحرير الفكر ، وها هى ذى مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته ، فكيف امتنع الذين اتبعوه بدعوته وآمنوا بها ... ؟ نزعوا من نفوسهم كل عقيدة سابقة . وبدأوا يفكرون فيما أمامهم ، لقد كان لكل قبيلة من قبائل العرب صنم فأى صنم هو الحق وأى صنم هو الباطل ؟ وكان فى العرب وفى البلاد التى تجاورها صابئة ومجوس يعبدون النار . والذين يعبدون الشمس . فأى هؤلاء على الحق وأيهم على الباطل ... ؟ لنذر هذا كله جانباً . ولنمح أثره من نفوسنا . ولنتجرد من كل رأى ومن كل عقيدة سابقة ، ولننظر . والنظر والملاحظة . بطبيعة الحال سيان ... مما لا شبهة فيه أن لكل موجود بسائر الموجودات اتصالا . فالإنسان تتصل قبائله بعضها ببعض وأمه بعضها ببعض والإنسان يتصل بالحيوان والجماد ، وأرضنا تتصل بالشمس والقمر وبسائر الأفلاك ، وذلك كله يتصل فى سنن مطردة لا تحويل لها ولا تبديل ، فلا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار . ولو أن إحدى موجودات الكون تحولت أو تبدلت لتبدل ما فى الكون . فلو أن الشمس لم تسعد الأرض بالنور والحرارة على السنة التى تجرى عليها منذ ملايين السنين لتبدلت الأرض غير الأرض والسماء ، وما دام ذلك لم يحدث فلا بد لهذا الكون من روح (... ! !) منه نشأ وعنه تطور وإليه يعود . هذا الروح (... ! !) وحده هو الذى يجب أن يخضع له

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإنسان ، أما سائر ما فى الكون فهو خاضع لهذا الروح (... ١١) كالانسان سواء والانسان والكون والزمان والمكان وحدة هذا الروح جوهرها ومصدرها ، إذا فليكن لهذا الروح (... ١١) وحده العبادة ، ولهذا الروح (... ١١) يجب أن تتجه القلوب والأفئدة . وفى الكون كله يجب أن يلتمس من طريق النظر والتأمل سنته الخالدة . وإذا فما يعبد الناس من دون الله أصناما وملوكا وفراعين وناراً وشمساً إنما هو وهم باطل غير جدير بالكرامة الإنسانية ، ولا هو مما يتفق مع عقل الإنسان وما كرم به من القدرة على استنباط سنة الله من طريق النظر فى خلقه .

هذا جوهر الدعوة المحمدية على ما عرفها المسلمون الأولون . وقد أبلغهم الوحى إياها على لسان محمد فى آى من البلاغة كانت وما تزال معجزة ، فجمع لهم بذلك بين الحق وتصويره فى كمال جماله هنالك ارتقت نفوسهم وارتفعت قلوبهم تريد الاتصال بهذا الروح (.. ١١) الكريم فهداهم محمد إلى أن الخير هو طريق الوصول ، وأنهم مجزيون عن هذا الخير يوم يقومون واجمهم فى الحياة بالتقوى ويوم تجزى كل نفس بما كسبت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ..

أى سمو بالعقل أعظم من هذا السمو ؟ . وأى تحطيم لقيود أشد من هذا التحطيم . . ؟ حسب الإنسان أن يفهم هذا وأن يؤمن به وأن يعمل عليه ليبلغ الذروة من مراتب الإنسان ، وفى سبيل هذه المكانة تهون كل تضحية على من يؤمن بها ...

من كتاب محمد « الدكتور هيكل »
« لفت نظر »

أرجو أن يذكر القراء بعد قراءة هذه الكلمة قول الله سبحانه : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » فليس لأحد أن يسمى الله بغير اسم من أسمائه الواردة عن الشرع ولا داعى للاحتجاج بالخلاف فى أن أسماء الله توقيفية أو توفيقية ، ما دام النص صريحا فى التزام أسمائه الحسنى .

حسن التبعل

(هو حسن معاملة الزوج)

وقد أتت أسماء بنت يزيد الانصارية النبى صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت بأبى وأمى أنت يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبإلهك ، إنا معشر النساء محصورات مقصورات . قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وإن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفنشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟. فقالوا يا رسول الله: ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا! . فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال: افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء، إن حسن تبعل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ...

فانصرفت وهي تهلل حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن وآمن جميعهن ... « من صحيح مسلم »

قصة مهداة:

(إلى كل سيدة وفتاة)

امرأة عربية:

كانت في شبابها الغض تملأ العيون بالإعجاب والقلوب بالحب، والنفوس بالاحترام والتقدير.

رآها فارس من فتيان العرب، فتملكه جمالها، ووقع قلبه في حبها، ثم تقدم إلى أبيها يخطبها. ومعه الشباب والمال والسيادة في قومه فلم تقبل!.

إنها حرة لا ترضى أن تعيش في ظل أجنبي وكان لها أخوان يفاخر بهما أبوهما. كان يأخذ بيديهما، ثم يقف على الملأ من قومه ويقول: أنا أبو خيري مضر. فمن أنكر فليغير، فلا يغير عليه أحد.

ثم لجأت في أبيها وأخويها، وتحول عنها ظل الثلاثة الأعزة، فهزت الفجيعة كيانها، وفاض وجدانها بشعر باك حزين، يندب مفاخرهم ومآثرهم، ويخلد ذكرهم بقصائد يتناقلها الناس جيلا عن جيل.

وتقدم الزمن بهذه السيدة الأبية الحزينة، وكبر أولادها الصغار، فأحست فيهم برد العزاء عن فجيعتها في أبيها وأخويها واندملت جراح قلبها ولكن. لتنكأ بعد حين.

إن معركة رهيبة كانت تنتظرها وتنتظر أولادها..

إنها المعركة الحاسمة في القادسية بين الفرس والعرب. بين المجوسية والإسلام. بين عبدة النار وعباد الله... بين وثنية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كسروية تستذل رقاب الشعب . . وحرية إسلامية لا تخضع لغير الله .

أتجفل هذه الحرة عن مواجهة الموقف الرهيب . وتقبع مع أولادها فى بيت وادع أمين ، وهى ترى قومها وقوميتها فى كفة الأقدار . ؟

لا . وايم الله . .

ويشهد الناس امرأة تقف بين بنيها الأربعة لتملأ عينيها منهم ، وتأخذهم الدهشة من موقفها بينهم . !

إنها لا تنثر على وجوههم قبلات مرتجفة ولا ترطب جباههم بدموع منهلة . ولا يختنق صوتها بينهم بنحيب متقطع . وإنما ينطلق صافيا قويا . متسق النبرات بهذه الكلمات .

يا بنى . إنكم اسلمتم طائعين . وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو . إنكم لنو رجل واحد . كما أنكم بنو أم واحدة ، ما هجنت حسبكم ، ولاغيرت نسبكم . واعلو أن الدار الآخرة خير من الفانية ، أصبروا وصابروا ، واتقو الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، فيمموا وطيسها . وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والغنم والسلامة فى دار الخلود والإقامة . .

ويسمع الأبناء فى اعتزاز وفخر هذه الكلمات القوية ، فتلهب فيهم روح البذل والتضحية ، ويندفعون إلى قلب المعركة ، وهم فى نشوة الزهو بأنهم أبناء رجل واحد كما أنهم بنو أم واحدة ، وأن طريقهم إلى الكرامه والخلود فى دار الإقامة ، ثم يغيبون فى اللجة لتظهر أسماؤهم فى سجل الشهداء .

وانجلت المعركة عن اندحار ماحق للفرس وانتصار ساحق للعرب ، وكانت الأم على أحر من الجمر فى انتظار نبأ النصر ، وتناهى إليها نعى الأبطال الأربعة فلم تفزع ولم تجزع ولم ترسل عويلها المذعور يندب أربعة رجال فقدتهم فى ساعة واحدة ، بل اعتصمت بالصبر وفرحت بالنصر ، ولم تزد على أن قالت فى لهجة المستسلم لقضاء الله : الحمد لله الذى شرفنى بموتهم ، وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

وطوت هذه السيدة الكريمة قلبها على جراح سبعة . . ثم عاشت تتطلع فى صبر وإيمان إلى ما عند الله .

أيتها السيدات .

إن وصية هذه السيدة لبنيها ، وهى تودعهم وتشجعهم تستحق أن تكتب فى إطار ، وأن تعلق فى كل بيت ، وأن تقرأها كل سيدة وفتاه .

أما اسم هذه العربيه الحرة الأبيه فهو : « تماضر » .

وأما لقبها الذى اشتهرت به فهو « الخنساء »

من جريدة الشعب « ع . ف »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مجد الفتاة

مجد الفتاة مقامها
في البيت لا في المعمل
لكن إذا دعت الضرو
رة للخروج فحيهل
سيري كسير السحب لا
لا تأني ولا تتعجلي
لا تخضعي بالقول أو
تتبرجي أو ترفلي

لا ابتغي غير الفضيـ
ـلة للنساء فأجملي
إن لم ترى رأيي فيا
ويل الشجي من الخلي

ملك مفتي ناصف

من كتاب النسائيات

المجتمع :

حيثما يكن اجتماع ومكان جامع . وروابط جامعة تطلق كلمة المجتمع فهي تصدق على الأسرة لأنها تتكون من عدة أفراد تجمعهم روابط النسب والقرابة والمكان والمصلحة المشتركة . وتطلق على القرية لأنها تتكون من عدة أسر تجمعها علاقات المجاورة والمصاهرة والبيئة والمرافق العامة ، وتطلق على المركز لأنه كذلك يتكون من عدة قرى متجاورة تخضع لإدارة واحدة ويلتقي أبناؤها في مدارس ومؤسسات صحية واجتماعية مشتركة ويتسع مفهومها فتطلق على المحافظة التي تتكون من عدة مراكز ، وعلى الدولة التي تتكون من عدة محافظات ، وعلى الأمة التي تتكون من عدة شعوب وعلى العالم الإنساني بما يشتمل عليه وينتمي إليه من مختلف الأمم والشعوب ذلك لأن الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أسرة كبرى يتكون من أسر صغيرة تعرف باسم الفصيلة أو القبيلة ، وأسر كبيرة تعرف باسم الشعب أو الأمة . ولو أنهم استجابوا للروابط الطبيعية التي تجمعهم على البر والخير لكانوا عند قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

عبد الرحيم فوده

This is translated and elaborated by Abd El-Moneim Khattab and Othman Abd El-ssalam both of Islamic culture Administration.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

expiaiton, feed ten indigent persons on a scale of the average for the food of your families; or clothe them; or give a slave his freedom. "

(S. the Table, V. 92.)

At last, to prevent money from over coming the individual freedom, Islam obliged the rich people to give Alms to the poor and also put a certain system for the distribution of the heritage. This Islamic system leeds man to spend his money for the liberation of the slaves and they make him nearer to God. In this respect, holy Qur'an says : " Those who spend their substance in the cause of God, and follow not up their gifts with reminders of their generosity or with injury, — for them their reward is with their Lord : On them shall be no fear, nor shall they grieve. "

(S. The Cow, V. 262.)

Islam, after all, is not a message for the time of the prophet Mohamed "peace may be upon him", but it is the message which aimed at realizing the human values in the common and social life of the individuals. Hence, it is the everlasting message.

Sureiy, humanity is in need of Islam expecially at the time when wise people seek the guidance which show them the right way for the reformation of their society. Hence, the activity of wealth, thinking, heart and conscience, will be partible fields among all people. The superior man is he who has an excellent personal quality and not by his old honour, his past pride or his inherited wealth.

Indeed, the eternity of Islam is essential for the humanity, because Islam is a remedy and also a protection in the same time.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

are under their rule. This means that Islam considers the people as equal as each other aud consequently, one who will surpass others, his surpass will be only due to his own efforts and human abilities which are only used for the benefits of mankind. But the pride of honour itself, has no right to prefer one person or society on the others, Prophet Mohamad said: "There is no distinction between an Arab person and a foreign one except only by his piety". And beside the Qur'anic quotation with regard to the equality among the individuals, Prophet Mohamad "peace may be upon him" said concerning one's servants "Your Servants are your brothers".

Indeed, this saying ensures the human brotherhood between the master — who has the pride of honour — and his servant, and askes both of them to treat the other according to this islamic fundamental and this treatment is not only limited to the financial affairs, but also includes the psycological feelings which induce the master to respect his servant and to treat him brotherly.

In the respect of the pride of wealth and properties, Islam calls people to liberate themselves from the slavery of the individual ownership. So Islam prohibited usury which is a mean for the humiliation of the needy people. Moreover, Islam urged people, especially the rich, to liberate the slaves and to restore the human dignity to them. A certain part of Alms also was allocated to their liberation, holy Qur'an says: "Alms are for the poor and the needy, and those employed to administer the (funds); for those whose hearts have been (recently) reconciled (to truth); for those in bondage and in debt; in the cause of God, and for the wayfarer (thus is it) ordained by God, and God is full of knowledge and wisdom".

(S. The Repentance, V. 60).

Islam also considers that the liberation of any slave is a salvation for his liberator from a certain fault, holy Qur'an says: "But those who divorce their wives by Zihar, then wish to go back on the words they uttered, (it is ordained that such a one) should free a slave before they touch each other."

(S. The waman who pleads, V. 3.)

"God will not call you to account for what is futile in your oaths, but He will call you to account for your deliberate oath: For

gave the chance to some groups of the individuals to enjoy a luxurious life, while deprived others from enjoying their rights in the human freedom.

In addition to these two sides of the human society — during the time of the prophet Mohamad's call — there was a third one which was (as I think) deeper in its influence on the social life than the others. It is the side of the belief and those who induce people to faith, there were the idolatry and the priests. The idolatry tied the people to the tangible things and prevented them from understanding the human values or carrying them out in their life — And at the same time, the priests made a classe from amongst themselves and gave it the right of recommendation, intercession, forgiveness (removal of sins) and foretelling the future. They also claimed for themselves a special knowledge about the unseen, hence, they prevented people from seeking knowledge by themselves or by what they were prepared with it, such as mind, experiences and also the different means of observances. Indeed, the priests monpolized the knowledge for themselves, and mostly, their knowledge was nothing but a kind of superstition leading to the pessimism which did not leave any room for the Optimism except in the rare conditions. Because they monopolized foretelling of the future, they were called (Al-Arrafon) which means (Future Tellers).

As to the power of the obstacles and the hindrances in the human society — during the time of the prophet Mohamad peace may be upon him — , it was very important for the success of his call to be of a strong faith, endurance, patience, and surely prophet Mohamad " peace may be upon him " was the best example for the good believer who has a complete confidence in his call and the good preacher who meets the difficulties with a patient heart. But the message of the Prophet Mohamad " peace may be upon him " should be a guidance for the removal of these obstacles and a breakage for the different hindrances in the human society. It is absolutely sure that these hindrances and obstacles have been made by means of the prevailing faith at that time and also by the pride of honour, in addition to the authority of wealth which had been exceeded till it enslaved the man himself.

Indeed, this was the object of Mohamad's message, it was the message of liberty, or rather, the message which aimed at reformation of mankind on basis of human values, it was the message that guided to

love, social justice and human brotherhood. While we find that people are influenced by the attractive material features of life, we find that rarely they understand the purpose of the human life and its value for mankind, and for this reason the scope of the material power is wider and deeper in man's life than the scope of the immaterial one. Hence, the conflict between these two powers is not at all an equal, and also the mastery of the immaterial power is lesser in time than the material one which dictates its ideas and directions that affect the life of the society.

Verily, the immaterial mastery which is the mastery of the human values in the society's lfie — especially equality and the social justice — does not appear except after the removal of the obstacles wich were put by the material power. And as long as these obstacles are of a strong influence, and as long as they are common in the society's life; the improvement of the bad condition of the people, the restoration of the social justice and the realization of equality among them are very difficult, and consequently, the one who preaches for these improvements should be a man of patience and true faith.

The Call of the prophet Mohamad "peace may be upon him" was aiming at the improving of the bad condition of the human society, as it was intending to assure the human values and to evaluate them on basis of the true aims of the man in both his individual and social life. Surely, the hindrances and the obstacles, which made differences among the individuals of the society at that time, were strong in their firmness, deep in their penetration and very old in their age. Consequently, man himself considered as a kind of goods; salable and purchasable by his master (another man used him as a slave). Moreover, the price of the man was subjected to the burgain, it would be up or dowen according to his ability to work or his skill, and sometimes due to his appearance or colour. Hence, the slave market become a profitable merchandise and the society began to taste this commerce as he master of the slave himself. As a result of that, man lost both his human characteristics and his human nature.

On the other hand, there were pride of honour, wealth, and dignity of both Roman and Persian empires outside the arabian Penensula, and also there was honour of the arabian tribes inside it. This dignity lead to a kind of the dictatorial leadership and the social injustice that lead, by turn, to the distinction of classes among the human society which also

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE EQUALITY IN THE MESSAGE OF ISLAM

by

Dr. Mohammad El-Bahay

The Vice chancellor of Al-Azhar University

The meaning of equality, is that the means of life are equally available to all the individuals of the society. The realization of this equality is possible when the obstacles which distinguish some of the individuals of one society from the others, and which give the chance to some of them without the others are removed. These obstacles, and hindrances are beyond the abilities of the individuals, their capacity their activity and their qualification as human beings. Indeed, they are the effect of the power however it is, they also spring from the influence of the authority that used to distinguish some individuals of one society and gives them the chanc to take their part in both the indvidual and the social activities of the life and at the same time, prohilbits the others from enjoying their right in this life.

Verily, equality is not more than the social justice, and its realization is a realization for the justice itself. Indeed, justice prevailed among the human beings,—since their history was known - therfore, equality was realized sometimes as it was hidden at the others. That was because of the permanent conflict between the material power and the immaterial one which is surely unequal conflict The material power is represented by money, property, the material means of conquering and also by both the pride of honour and the greatness of the ancestors. But the signs of the immaterial power are seen in the person's understanding of the human life and also in his convincing that life is a reciprocal among all the human beings, that peace must prevail the society and that logic should control the affairs of people's life.

As a matter of fact, the pure logic is that which is not influenced by the personal ambitions or inclination, but surely it is the logic of

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the idea of denying or mocking Islamic values, to safeguard Moslems against such mokery, contempt or denial of islamic values and to avoid dissension among them.

" Aldjehad " may also take the form of actual fighting with various weapons to repel aggression of any sort. And, if we look at what is said in the Koran about fighting, we find that God — Glorious be He — never asked the Islamic society at any time to begin fighting or start aggression; all that God demanded is to stand against aggression and repel it.

" And fight them until persecution is no more, and religion is all for Allah ". (S. 8, V. 39).

Islam is also generous and human as it advocates only equal treatment.

As Islam demands repelling aggression with equal measures, it teaches at the same time that following this attitude is religious and that God is on the side of the people who stick to the principles of their religion.

We may safely conclude that the Islamic society is a free, co-operative and well-balanced one, (or using a recent term ' a socialist society '). It is a society that protects its independence and preserves its existence.

Belief in God alone, religious morality and the jihad for the sake of God, the doctrines professed by Islam, should be motivations or factors that help the growth of our Islamic society.

The Islamic society, since its formation in Medina, has adopted itself to the existence of control and the existence of the executive power.

The gift of Omar, that is, the general control which he imposed, stood as symbol of this executive power.

All that we say about religious morality, and the stress we put upon its existence and necessity is meant to show that it is the duty of the Islamic society as will as any other society to see to it that this power is latent in its existence and at the same time maintain its survival because it is much better for the society to be led by self motivation rather than to be led by law and its executive power.

4.—Maintaining the Character of Society and Protecting it :

The belief in God and the religious morality are two factors in the formation of the Islamic society, its survival and its consolidation.

Another factor in maintaining the character of the Islamic society and defending it against outside aggression is the "Djihad" for the sake of Allah. I presume that the word "Djihadia" is derived from the word "Djihad". I also believe that colonial forces made the word hateful to us through the wrong and the fooleries done to or played on the recruited and military people during the era of their rule.

Through the application of the principle of "Aldjehad", Islam aimed at two things : The first is to retain Islam in the Islamic society and maintain its ideology and its order.

The second is to preserve the islamic order and defend its ideologies against aggression of enemies who constantly disbelieve in, and mock these ideologies.

"O you who believe ! Choose not for friends such of those who received the Scripture before you, and of the disbelievers, as make a jest and sport of your religion. (S. 5, V. 57).

In denying the ideology and order in the islamic society, this enemy in fact rejects the very existence of the isiamic society and desires its splitting and dissolution.

" Aldjehad " is the defence of these values against aggression. It may take the form of giving answers to what is said against Islamic values. What is meant here is not actual fighting : the aim is to stand against

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

him verily We shall quicken with good life, and We shall pay them a recompense in proportion to the best of what they used to do." (S. 16, V. 97).

"Allah has promised those who believe and do good works : Theirs will be forgiveness and immense reward." (S. 5, V. 9).

Should this religious morality and its effects be realized in the light of the belief in the Message of Islam, then the Islamic society would not be faced with problems calling for solutions. For, if this morality in itself is powerful enough to motivate the righteous deed, it is also a preventive against problems. The problems of any society arise because of aversion, lack of uprightness in action, and lack of co-operation and balance; again, they arise when the feeling of sympathy is weakened and when selfishness has the upper hand and thereby spoils human relations. Then society suffers problems : the individual has his problems with himself and with others; the family faces the problems pertaining to the relationship between its members; husbands and wives have the problems of their matrimonial life, and so on.

For these reasons, the teachings of Islam, in which one should believe, are not mere solutions to problems. They are, first of all, a preventive against problems. Thus it is the motto of Islam : Prevention before cure.

If we are to discuss religious morality or religious conscience in the Islamic society and compare them to the Law or the Executive Power in regard to guiding society and motivating it to uprightness in action and good treatment, it is not in our mind to depreciate the executive force of the law or the general control on society.

It is not our intention to do so, because society has members who tend to evil, corruption and unavailing play, however upright are its other members. Furthermore, it has among its members some, though in a minority, who defy virtueous moral values, ideals, uprightness, and the welfare of society. It may be that one day this moral force is weakened and consequently corruption and play will prevail, should there be no executive power or general control on society. Islam, therefore, does not deny the existence of such a force or such control. On the contrary, Islam calls for it and seeks it, so long as human nature remains unchanged : this human nature comprises both the righteous and the libertine, the upright and the crooked.

of a Moslem girl or woman to a non — Moslem and in so doing protects the Moslem society from being absorbed in another society through marriage. This is not a racial matter, nor is it based on racial discrimination. The only objective of Islam in this matter is the protection of the Moslem society and its values from degeneration through the submission of a Moslem woman to a non — Moslem in the marriage contract.

Here it may be suitable to say that the Islamic society is an entirely human society, yet at the same time it keeps its peculiarity and individuality. The universal Zionism, propagated by many thinkers, is an idea which Islam does not readily accept, for the most characteristic goal of this universal Zionism is the abolition of characteristics of each society so that Capitalism and Zionism may have full sway over the whole world, not granting anybody freedom of expression to show that those capitalists and Zionists are indeed strangers to the individual countries.

Thus it becomes apparent that belief in the Prophet's Message means — as we have mentioned — to follow the Islamic instructions in man's attitude towards himself and towards his fellow men. Since society consists of many individuals the value of this belief in the Messenger, peace be upon him, and his Message in forming and conducting the religious morality is apparent.

Belief in requital on the Last Day is — as mentioned above — the source of vitality in this morality and the element of its continuance and momentum. For if he who believes in God and the Message of the Prophet, believes also in the Last Day, he will have a vivid memory of thnt Day which he is sure will come and sure to come and therefore with this thought in mind he will always act according to the preaching of the Message. This is why Islam is strict with those who deny that Day and its requital:

"Whose disbelieves in Allah and His angels and His Scriptures and His Messengers and the Last Day he verily has wandered far astray". (S. 4. V. 135).

It is true that Islam did not explicity mention this religious morality nor did it demand it in such explicit words, but surely it demanded it in the form of good deed, for good deed is its natural result. God says in Koran:

"Whosoever does right, whether male or female, and is a believer,

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

realized through religious morality and moral conscience and not by man made law and its executive authority.

After all the divine message, sent to Muhammed and the belief in which is considered the principal element of religious morality, has certain elasticity and adaptability represented in the prineiple of free judgement (Al-Ijtihad). The Quran refers to this principls when saying: " O you who believe! obey Allah, and obey the messenger and those of you who are in authority; and if you have a dispute concerning any matter refer it to Allah and the Messenger if you are (in truth) believers in Allah and the Last Day. That is better and more seemly in the end ". (S. S. 4, V. 59). By the verse " those of you who are in authority " is meant men of free thinking and judgement. And by " referring the dispute to God and His Messenger ", is meant referring to the Book of God and the Traditions of His Prophet.

This principle (apart from the origins of belief) provides for the Islamic law a sort of dynamism and adaptability for the followers of this message according to the circumstances of their environments. Thus the Muslim is free to lead a progressive as welf as religious life. It is a credit whereby the Islamic society can lead a life that never contradicts the general principles of Islam.

Besides, there is another principle sponsored and cherished by the Islamic religion which is enlvetably needed for the consolidation of any given society, that is the extinction of social discrimination. In Islam neither tribalism nor colour can stand in the way of co-operation and brotherly relations among the believers. The Glorious Quran strongly emphasizes that all Muslims are one nation irrespective of their breed, colour, or nationality ; and that their differences in such traits are not reasons for dissension and separation but are on the contrary, due means of friendship and amity.

Along with these principles there is a third one in the Islamic Message which is deeply connected with the cohesion of the Mosiem society, its independence and its peculiarity which protects it from being absorbed in any other society. This principle is the " Islamic Nationality " contained in the Koranic verse: " Faint not nor grieve, for you will overcome them if you are (indeed) believers ".

The application of this principle is clearly shown in the marriage contract. Islam forbids the marriage

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

repulse them, but speak unto them a gracious word". (S. 17, V. 23). In the aforementioned Quranic verses we find that God, Glorious be He, has demanded kindness in so far as the treatment of parents and relatives is concerned. Such kindness represents the most sublime and sophisticated human standard. Undoubtedly the responsibilities which parents undertake in bringing up their children necessitates that the attitude of the children should be as such stated in the Glorious Quran.

As for the parent - child relationship Islam has not dealt with this subject in the same manner as it has with chiidhood problems because Islam depends, in the first place, on the natural relationship between the two sides which is very powerful and distinct on the part of the parents. I lam only recommends that parents should not devote their time and effort to their children to such a degree that it is at the expense of their own fidility and religious devotion. The Quran says in this connection : "Your wealth and your children are only a temptaion whereas Allah with Him is an immense reward. So keep your duties to Allah as best as you can, and listen, and obey, and spend; that is better for your souls." (S. 64, Vs. 15-16).

Furthermore, Islam ordains that relationships among mankind as a whole should be based on co-operation and mutual sympathy. In this connection God the Almighty says : " It is not righteousness that you turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believes in Allah and the Last Day and the angels and the Scripture and the Prophets ; and gives his wealth, though being loved, to kinsfolk and the orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set sloves free; and observes proper worship and pays the poor due." (S. 2, V. 177). And His Messenger also says : "Your fellow believers are your friends; so give them out of the food you eat and the cloth you wear, and do not do harm to God's bondmen".

Again Islam demands equilibrium and harmony should, from the Islamic point of view, not be motinated by an extrinsic urge but must emanate from the intrinsic motives of both individual and society. Henceforth Islam has given immense care to " equity". By equity is meant to behave according to the virtuous standard of humanity. Equity, as proclaimed by Islam, contradicts misuse and violation and means modest conduct in the spheres of behaviour, charitable deeds, labour, preservation of relationships, the way of arguing, and respect of honour and consecrations, Such equity can only be

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

" Men are in charge of women" (S. 4, V. 34).

Such responsibility does not mean authority or mastery but rather indicates a sort of leadership and guidance. Islam has charged man with this responsibility only because he, by virtue of his physical construction, is shouldering certain responsibilities in the outer life which woman cannot usually and principally carry out because she is by nature a subject to pregnancy and reproduction and is shouldering, therefore, other responsibilities suitable for her, such as bringing up and taking care of her children. She is (accordingly) unable to work in the outer life in the same manner as man. Therefore man is responsible for the maintenance and sustenance of his family. It is logical then that man's situation entitles him to the credits of leadership and guidance.

There are other limits set by Islam which prevent man from any misuse of such privileges and from any ill-treatment of woman. The Quran illustrates such limits when it states: " Divorce must be pronounced twice and then (a woman) must be retained in honour or released in kindness ". (S. 2, 229). Islam thus demands that matrimonial life should be based on equitable terms on one hand, and that separation if it happens should on the other hand be made, in likewise equitable manner.

The believer who develops a sense of religions morality cannot but be air and just. He neither imposes nor misuses the responsibilities with which he is entrusted such as guidance and leadership. It is manifest after all that man's privileges over woman only mean his sincere endeavours to achieve the good for both of them.

Because Islam respects and asserts the individual characteristics, it does not allow man to interfere in the financial affairs of his wife or to impose his opinions and beliefs on her. Woman, in turn, is only demanded not to hurt the feelings of her husband by means of possessions and beliefs. She must carry out her duties and call for her rights without the slightest delay.

Islam, in the circle of kinship, demands the same harmony and equilibrium among relatives, God the Almighty says: " And serve Allah. Ascribe nothing as partner unto Him. (Show) Kindess unto parents and unto near kindred ". (S. 4, V. 36). The Lord has decreed that you worship none save Him, and (that you show) kindness to parents. If one or both of them reach old age with you, say not " Fie " unto them nor

This verse reveals to us that Islam acknowledges the human nature as being at one and the same time materialistic and spiritual, practical and idealistic. While it does not deny man the right of enjoying the fruits of this world, which belong to the materialistic side of his nature, it enjoins that while enjoying them and while working hard for the achievement of worldly aims he should always direct himself towards God, i. e. to avoid corruption and vice; to avoid using whatever achievements he can gain, thus inviting corruption of the society. This is what is meant by the verse :

" And seek not corruption in the earth; Lo ! Allah loves not corruptors".

Islam, in the domain of society, has laid down the foundations upon which the system of family, which represents the smallest cell of society, is built. It provides for the rules of marriage and matrimonial life in which two individuals are associated with each other leading the same course of life and working for the same purpose. The Islamic institution in this respect does not work for the annihilation of the individuality of each of the two mates and does not demand that either of them should be absorbed by or melted in the other's personality. This is because Islam is fully aware of the fact that the individual characteristics can by no means be annihilated or absorbed by any other individual.

Islam only seeks harmony and equilibrium between the two parties in the sense that neither of them violates the rights of the other or disregards his existence and dignity. Instead Islam proclaims that both of them are to proceed along the course of matrimonial life side by side in a harmonious and symmetrilcal manner. Therefore it has bestowed the two spouses with certain rights and obligations to help keep them undertake their respective responsibilities in their matrimonial career. The Quran says : "And women shall have rights similar to the rights against them according to what is equitable; but men have degree (of advantage) over them ". (S. 2, V. 228).

By so saying the Quran has laid down the principle of equality between wife and husband. It is only meant by man's privilege mentioned in the said verse the responsibility of man to stand firm in woman's business, to protect her interests and look after her affairs. This notion has been emphatically stated in the following Quranic verse :

perceptions whatever they may be are apt to be influenced by the factors that have influence on man; and then it is easy for human perception to change.

This religious morality - based upon the three elements of belief: the belief in the oneness of God, in the Message of the Prophet, peace be upon him, and in the judgement Day - is therefore, a fruitful motive in achieving good conduct and nice treatment of others. When these are achieved, co-operation between individuals is not only possible but is indeed an ipsofacto result. Moreover, it will lead to real fraternity founded upon genuine love whereon powerful cohesion takes place.

3) The Contents of the Heavenly Message.

Since the belief in the oneness of God - which is an element in the religious morality - is in reality a belief in freedom from superstition false creeds, humility and submission, while it is a belief in the sublime in the human nature, the belief in the Prophet however is not at all belief in his person as a human being, but in him as a Messenger and a ring in the chain of delivering the Revelation of God unto the people. If the contents of this Message are a planning of the individual conduct and the limits of inter-relations between one individual and another in society, the belief in the Messenger and his Message therefore means the following of him in order to perform the contents of his message, i.e. to perform the right way of conduct and right dealing with others.

When we view the contents of this message, and the limits and designs it draws, we shall find that it draws, we shall find that in all this it aimed at the achievement of equilibrium between the dual nature of the individual and between one individual and another in society. For the individual - although a unity to all appearance - is in fact composed of two counterparts: of wisdom inspiring to moderateness and desire inciting to extravagance; of mind and body each having its own inclination. Here we find that Islam in this very circle - that of the individual - does not deny any of the two counterparts.

"But seek the abode of the Hereafter in that which Allah has given you and neglect not the portion of the world, and be you kind even as Allah has been kind to you, and seek not corruption in the earth; Lo! Allah loves not corruptors". (S. 28, V. 77).

and the law made by society and imposed upon individuals by force and watch is that the domination of the law with its executive power lies outside the human being and is imposed upon him from without. In the modern civil society - the society that impoes the law and executes it - man acts under the pressure of this force which lies outside him. When society neglects the peformance of law one day or its grip loosens a little, the individual in turn will neglect his duty . . . the duty imposed upon him by law and its executive power.

Therefore, in the society that does not function upon a spontaneous impulse within its individuals, communal work depends upon the power of the executive authority and its vigilence in watching the execution of the law. The Modern State bears a heavy task in achieving such an executive power and such a vigilance.

The individual in the modern society always feels the push of law behind his back and feels also that his freedom is limited and his will confined; for he is nearly obliged to act as he does, while as in a society of religious morality - such as the Islamic society - the individual is free from this depression for he feels that it is he who pushes himself and that therefore he is free in obeying his inner impules. Thus in a society of religious morality personal freedom is an important element both in construction and improvement of work, for freedom of work and spontaneity are always accompanied by a pleasant desire for work and perfection. This is why in the 18th century some idealistic moralists in the European society tried to build up individual morality based upon the idea of "Duty for duty's sake", This idealistic ethics prevailed in the German people in particular and was known as Kant's principle or the Moral Duty. Although it is a morality invoking spontaneous action without the control of the imposed law with its executive power, it is different from the religious morality that Islam wishes for the Moslem society - the morality which is the basis for the cohesion Moslem society and the co-operation of its individuals. For whatever the case may be we should not forget that the basis of the religio-moral power is the belief in God, while the basis of the idealistic moraity is the perception of the duty of man towards mankind. A great difference is there between a power that depends upon the belief in God and another that depends upon man's perception of mankind. The belief in God is more likely to continue or at least to continue for a longer time while man's

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

peace be upon him. While it is belief in God it likewise based on the belief in the Prophet's Message and its contents. Another of its elements is the belief in requital on the Last Day, which incites continuous vitality and vigility viewing that this religious morality should perform its function according to what one believes. The three elements of belief : the belief in God, the belief in the Messenger and the Revelation which is the contents of his Message, and the belief in the Last Day and its requital are all contained in the first verses of the Chapter of the Cow " Aleph, Lam, Meem".

" This is the scripture whereof there is no dout, a guidance unto those who ward off (evil). Who believe in the unseen, and establish worship and spend of that — We have bestowed upon them. And who believe in that which is revealed unto you (Muhammed) and that which was revealed before you and are certain of the Hereafter. These depend on guidance from their Lord These are the successful". (S. 2, Vs. 1 — 5).

He describes the believers by these three qualities : They are the pious; they are those guided by their God; they are the successful and prosperous. The belief in the unknown involves primarily the belief in God for He is the Being unperceived by anybody's sight while He perceives every body's sight.

Belief in what was revealed is the belief in God's Message and the sure knowledge of the Judgement Day is the deep belief in it. In the Sura of Women the Koran gives these three elements of belief another expression. It demands belief in them, then describes those who deny them by having gone far astray : " O you who belisve ! Believe in Allah and His Messenger, and the Scripture which has revealed unto His Messenger, and the Scripture which He revealed aforetime. Who so disbelieves in Allah and His angels and His Scriptures and Messengers and the Last Day, he verily has wandered far astray ". (S. 4, V. 136).

This religious morality, based on these three factors of belief, is the morality that invokes man to good conduct, rightousness, co-operation and fraternity between individuals, the impulse here being a spontaneous one which needs neither external motive nor external watch for its domination is derived from the belief which the believer holds in his heart. The difference between the case of the believer who holds within himself the impulse for right doing and co-operation with others

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

seeking because all men's action and thoughts will be orientated by such authority and influenced by its wish. Such authority whatever its attributes may be, is carried out by a group of people who may have whims or purposes or partialities. As such whims, purposes and partialities and not the common will become an arbitrary law which could not be discussed and a holy order which could not be criticised. Polytheism is one of the aspects of such authority. The idea of having a partner to God is clearly and decisively dealt with from the point of view of Islam in the following verse :

"Allah pardons not that partners should be ascribed unto him. He pardons all save that to whom He will.

Whoso ascribes partners unto Allah has wandered far astray ".
(S. 4, V. 116).

Evidently the belief in one God, to which Islam calls and insists upon, does oppose the existence of such a religious authority as referred to in the preceding chapter. Hence those who speak about a religion of their own or a state of their own in Islam or in the Moslem society are in fact expressing ideas alien to the nature of Islam. They are only trying to imitate the conversion of the Roman Catholic Church in the Middle Ages when it was governing the Christian Society in Europe in the name of God, and when it endowed on its priests the infallibility in word and deed and imposed upon all the other people the holy submission to the orders of the clergy men who were the representatives of God on earth and who shared with him the holiness and infallibility.

Islam does not know such society. It knows only a human society which believes in one God and believes in the Message revealed by God to the messenger of the Islamic call, Mohammed son of Abd Allah may peace be upon him.

2) Religious Morality or Religious Conscience.

If unity in believing in God is at the same time the goal of the Islamic society and the principle element of its constitution, the religious morality or conscience is an important factor both in the continuation and cohesion of this society.

Religious morality is a psychic capability which takes place in the constitution of person who beleives in God and which becomes the source of a certain behaviour that coordinates with the teachings of the Nessage of the Prophet Mohammed,

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE ISLAMIC SOCIETY AND ITS OBJECTIVES

BY
Dr. Mohammed El-Bahay
Vice chancellor of Al-Azhar University

— 2 —

The society which believes in one God is the only free human society. It is the society which is able to differentiate in full consciousness between man as a distinguished creature and all other creatures which were created only to serve man and his ends. And the Islamic society is the society that believes in one God.

The objectives of the Islamic society, being the one that believes in one God only, are the liberation from all that degrades human dignity, the freedom from all that hinders man's motion forward and his endeavour to proceed progressively in life and to rid himself of all that stands in his way as the master of this universe.

The Islamic society by believing in one God, is and will always be a human society since it does not regard itself a religious society in the sense conceived by the Roman Church in Europe in the Middle Ages when it was believed that a certain class had the right to manage the life of the other classess, considering itself class above the common people, on being given that right from God and therefore it had the right to deal with matters by his will and thus its judgement was holy and arbitrary.

The belief in one God does not by any means, give the Moslem society such authority. On the contrary, it gives every individaul an incentive to liberate himself from anything that may hinder his freedom, thinking and action. It urges the individual to work, to seek and to evaluate in full liberality. The existence of an authority whose thought and judgments are infallible and holy and whose actions and directions are godly is no doubt a deterrent to free thinking, acting and

have prepared for them a penalty grievous (indeed).

(Surah the children of Israel, verses 9 -- 10).

" O ye who believe ! give your response to God and his Apostle when He calleth you to that which will give you life. "

(Surah the Spoils of war, verse 22).

" If only they had stood fast by the law, the Gospel, and all the the revelation that was sent to them from their Lord, they would have enjoyed happiness from every side. There is from among them. A party on the right cource : But many of them follow a course that is evil."

(Surah the Table, verse 69.)

"Whoever works righteousness, man or woman, and has faith, verily, to him will We give a new life, a life that is good and pure, and We will bestow on such their reward according to the best of their actions."

(Surah the Bees, verse 97.)

"We sent aforetime our apostles with clear Signs and sent down with them the Book and Balance (of Right and wrong), that men may stand forth in justice."

(Surah the Iron, verse 25.)

The achievement of the Islamic principles towards the improvement of humanity :

The islamic principles towards the improvement of humanity are based on the following facts: The human being has both a body and a soul. And each one has its enjoyments and desires, Every man also has an independent personality which is attached to him as an individual and another personality attached to him as a member of his natioral and human society. Indeed, these two personalities cause man to enjoy happiness, especially, in case of his moderation whithout intensity or extravagane. Surely, man will not be a complete happy, unless he performs his duties, enjoys his rights and consolidates his relations to both his God and his citizens people. If we observe the instructions of Islam, its beliefs, its worships, its teachings and its legislations, we shall find that they are always considering the different needs of the human being to realize happiness for him, body and soul, as a person or as a member of the society.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

of the world - that his orders to his bondmen are a guidance and a mercy for them all. And of course, the oppsition or the antagonism of the people never gives God's mercy, but verily God's mercy is caused by the following of the right way and summoning others to embrace it. No doubt that the right never opposes right, but verily it alwavs opposes the wrong. In this connection holy Qur'an says next to the story of Adam and his repentance for his Sin " He said, get ye down both of you, all to gether from the garden with enmity one to another; but if, as is sure, there comes to you guidance from Me, whosoever follows my guidance, will not lose his way, nor fall into misery. But whosoever turns away from my message, verily for him is a life narrowed down and we shall raise him up blind on the day of Judgement." (S. Taha, V. 123 –124)

The eternity of Islam is only realized by the eternity of its origin :

Because Islam is the religion which was revealed from God and because it is the guidance of Lord of the world to the selected messenger who was ordered to convey it to the mankind, and because God — the eternal and the most merciful — is he who granted Islam and his mercy, is actually an immortal one, and because of Islam is a feature of this God's mercy, it should be an eternal religion as its source.

Islam leads to the happiness of people :

Because we believe that Islam is the eternal religion and that its eternity is the result of the eternity of its source (God most gracious, most merciful), we should observe its teachings to affirm and then decide if its instructions are have to guide mankind to stability and happiness or not. Indeed, if we examined the Islamic teachings thoroughly, we should come to the conclusion that Islam is the ideal system that leads both the individual and the society to their happiness, wheather it is in this world or in the Hereafter. Islam calls people to be in a good conduct during their life, it orders them to treat each other kindly, also it prevents the wrong deeds and also prohibited all kinds of aggression.

In this respect, the glorious Qur'an says : " Verily, this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward; and to those who believe not in the Hereafter, (it announceth) that we

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

religion is " Islam " " O ye who believe ! Fear God as He should be feared, and die not except in a state of Islam " (Surah the Family of Imran, werse 102). " Say : " O people of the Book ! come to common terms as between us and you: That we worship none but God; that we associate no partner with Him ; that we erect not, from among ourselves Lords and patrons other than God. " IF then they turn back, say : Bear witness that we (at least) are Muslims (bowing) to God's will).

(Surah the Family of Imran, werse 64).

With regard to the lies of both the christians and the Jews, and because they propagated that there is no link among the religions, The Qur'an said "Abraham was not a Jew, nor yet a christian, but he was true in faith and bowed his will to God's (which is Islam). And he joined not gods with God.

(Surah the family of Imran, verse 67).

"They say : become jews or christians if you would be guided (to salvation)." Say thou : " Nay ! (I would rather) the religion of Abraham the true, and he joined not gods with God." Say ye : " We believe in God, and the revelation given to us, and to Abraham, Ismail, Isaac, Jacob and the Tribes ; and that given to Moses and Jesus and that given to (all) prophets from their Lord : We make no difference between one and another of them : And we bow to God (in Islam). So if they believe as ye believe, they are indeed on the right path; but if they turn back, it is they who are in schism; but God will suffice thee as against them, and He is the All-Hearing. The All-Knowing. (our religion is) The Baptism of God : And who can baptize better than God ? And it is He whom we worship".

These Quranic verses are the real proof that the religion before God is one as they state also that the sole religion which God considers is Islam that was preached by the first prophet and by the last one as well. The frist prophet started the Islamic call and the last one completed it. In this respect holy Qur'an says "This day have I perfected your Religion for you and completed my favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion" [Sourah. The Table Spread, V. 4.]

Surely, it is impossible that these several religions which opposes one another, are revealed from God Who is the most knower and the sole owner of the souls of the people. As a matter of fact, God told the people by means of his messengers - since the creation

In the holy Quran, we find many verses which are clearly declaring the unity of all the religions. God ordered every one of his messengers to call people to believe in both the prophets before him and those who will come after him. This order will lead every one to perform his duty completely towards God's message. The glorious Qur'an says :

"Behold ! God took the covenant of the Prophets, saying : "I give you a Book and wisdom; then comes to you an Apostle, confirming what is with you; do Ye believe in him and render him help." God said : "Do ye agree; and take this my covenant as binding on you ?" They said : "We agree." He said : "then bear witness, and I am with you among the witnesses." IF any turn back after this, they are perverted transgressors. Do they seek for other than the Religion of God ? - while all creatures in the heavens and on earth have willing or unvilling, bowed to His will (accepted Islam), and to Him shall they all be brought back. Say : "We believe in God, and in what has been revealed to us and what was revealed to Abraham, Ismail, Isaac, Jacob, and the Tribes and in (the books) given to Moses, Jesus, and the prophets from their Lord : We make no distinction between one and another among them, and to God do we bow our will (in Islam)." IF any one desires a religion other than Islam (Submission to God), never will it be accepted of him; and in the Hereafter he will be in the ranks of those who have lost (All spiritual good). [Surah the family of Imran verses 81 : 85.]

In the following verses it is very obvious that Islam is the sole religion accepted by God " The. Religion before God is Islam (submission to His will) : Nor did the people of the Book dissent therefrom except through envy of each other, after knowledge had come to them". [Surah the Family of Imran, V. 19].

"And who turns away from the religion of Abraham but such as debase their souls with folly ? Him we chose and rendered pure in this world : And He will be in the Hereafter in the ranks of the Righteous. Behold; his Lord said to him "Bow (they will to me) :" He said : "I bow (my will) to the lord and cherisher of the universe. And this was the legacy that Abrham left to his sons, and so did Jacob; "Oh my sons ! God hath chosen the Faith for you: then die not except in the faith of Islam." [Surah the cow, verses, 130-132].

It is our duty to put the next verses beside the former one. This will assure us that the call of all the prophets is one and that the

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Because the people's different opinions, especially with regard to the dislimited affairs of life· cause the personality of the nation to be lost, so it will not be astonishing that the difference among mankind — especially in religion, its aims and principles — will lead them to be separated and also lead them to fight against each other. Hence, the guidance of God devided into several religions. They kept God's teachings aside, while they encourged their habits and traditions, their nationalities and the policy which they are following. Consequently, several religions appeard in the people's minds : Judaism, the religion which was revealed to Moses from God and which its followers hold it fast and continuously. Christianity, which was revealed to Jesus with certain instructions. Its people are embracing and defending firmly its principles. Islam, which is the religion revealed to Mohamad " peace from God may be upon him " and which contains teachings followed by many faithful followers who are preaching and defending them with all their might.

As a result of what we mentioned, people embraced several religions, they devided in the guidance of God to many faiths and beliefs, though in its origin it is one only and the all revealed from Almighty God. No Judaism, no christianity, but one religion, one guidance of one system and one source that is the Lord of both earth and heavens, cherisher and sustainer of the world.

Islam is the sole Religion before God :

Islam is not a new religion as many people understand, but it is — according to the holy Qur'an — the same which God revealed to the first messenger to his bondmen, then it was revealed successively to all of his messengers to convey God's message to the mankind and to enable people to reach a better thought and a full understanding. Hence, God sent the holy prophet Mohamad "peace may be upon him" to complete the message of the prophets who came before him. Indeed, all God's prophets are — as the prophet Mohamad stated — the builders of one house, the preachers of one call and the advisers to one happy goal. The holy prophet said : " It is similar to me and the prophets before mine, the man who built a house, then completed and decorated it except a place of one brick. People admired the house but they were surprising and critisizing also the empty place of this brick. The Prophet added " my possition among the prophets is exactly as this brick and I am the last prophet ".

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE ETERNITY ELEMENT OF ISLAM

by
His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University

The Personality of the nation :

For any nation to be existed, it should gother both the two personalities : The immaterial and the material one as well. The material personality of the nation, is due to its standing on such environment, nature of land and horizon, while the immaterial personality of it is due to its feeling of the situation which it takes among the other nations of the world, its part from the life, and the unity of its thinking in this part which it has been granted in the life.

No doubt that the nation's immaterial personality is an important factor for its strength. And if it lost this factor, t would go through life in a bad condition : Complete poverty, weakness and humiliation. Moreover, the other nations which have the immaterial personalities, will take it an opportunity and occupy its land, take its wealth, harm its people and treat them unkindly.

Keeping of the nation's Personality :

It happens sometimes that a danger occurs to some nations This danger may cause different opinions among its people and causes also their hearts to be separated, their nation's personality to be confsed and it may lead this nation to be annihilated. But to save the nation from this dangrous end, it is indeed the duty of the wise people of this nation to do their utmost for the preservation and keeping it away from that danger which is closely surrounded it and this would be realized if the hearts of the people gothered around one aim, believed in certain principles and had also a united sensation. To keep the personality of the nation, people should defend their aims which combine the dignity and the honour of their nation, and this of course will lead it to take its privilege and position among the other nations of the world.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the worst human being on the earth. But because the imperialists are supporting him and supplying him with money, he is speaking with a loud voice, thinking that he has the power to face the united Arab Republic and the leader of the Arab Nationalism (Gamal Abd El-Nasser). As a matter of fact, the voice of the King is not very strong as the roaring, but it is very faint as the voice of the flies. Now, we ask the following questions: From where the King of the Transe Jurdan got the money to finance his abominable nights? From where he got the money which he sent to the European Banks to be saved? From where he got money to pay his dishonest nomadical guards? OF course, he got this money as a price of his nation which he sold it to the imperialists. Actually, it is the money which was given to him by the Zionists in return for the occupying of the dearest part from the Arab land of Palistine, it is the price of his efforts to weaken the Unity of the Arabs and his barking against the leader of the Arab Nationalism (Gamal Abd El-Nasser). But his red nights will not enable him to save himself from his coming black days and his bare feeted guardians will have no ability to defend him against the revolution of the people and the money which he sent to foreign Banks will be of no value for him.

Those are the three dishonest rulers who have been used by the imperialists for the humiliation of the free people. The first one of the three was kicked out by the Egyptian revolutionists and the other two are waiting for their similar end which undoubtedly will come. And at that time, they will be evacuated of the countries followed by their supporters (the imperialists).

hear through the iranian broadcasting station or read on the pages of the different world newspapers that Shah Iran has laid the foundation of a school, constructed a hospital, erected up a new bridge, macadamized a new road or improved some of his countrey's disruption, but only you hear or read every day and night about the marriage of the Shah, then his divorce, his love, his blessed journey to Hollywood, his trip to the Rivera coast, his travelling to London and his doubtful visit to the Transe jurdan. With regard to both the iranian and the Arab nations, Shah Iran does not consider any of them. This is because the backwardness of his nation is an abominable shame attached to him while the progress and the rapid advancement of the Arab nationalism causes him much troubles. Moreover he wants Tehran to live in a complete dar kness, as he fears the lights of freedom which come from Cairo to lighten Iran, and this is, by turn, will awaken the iranian sleepy people from their deep sleep. But as it is impossible for him to viel the rays of the sun by his hand to be spread here and there, it is impossible to prevent the waves of liberation to oblitirate the darkness, to kill the slavery and to repair the bad condition of the people everywhere. No doubt that the revolution against the Shah will happen one day. This is because he is always challenging both the religioius instructions and the will of his people. He is also supporting the imperialists, fighting against the liberty and antagonizing the Arabism, while he is assisting the Zionism, refusing to carry out the decisions of Bandung conference and opposing the opinions of all Muslims. Consequently, he attested the Zionist usurpation of the arabic Palistine, acknowledged the driving of one million Arabs away from their own land to live in the reluges and in the deserts in a humility and a bad living while the Jews are living in the Arab's houses, occupying their lands and stealing their properties and possissions. Indeed, Arab refugees have no hope except in the support of God and the assistance of both Arab and the muslim nations.

This is the manner of Shah Iran and that is his character. He is living away from the teachings of Islam doing his utmost to keep the imperialists on the land of Iran to guard him in case of the national revolution by means of the oppressed people and also to enable him to enjoy all his different passions.

The third one of the three, is the King of the Transe Jurdan who is an ignorant man. Indeed, he is the the King of the smallest nation with the smallest crown, he is the most cunning King ruling the best people, he is

Not only his manner was that, but also he used to, kill husbands and usurps their wives, to steal the money of the State, to accept bribes and to treat the people unkindly, when he thought that the people was subjected to him quitely, and that they accepted the humiliation and the darkness which they were living in, the care of God surrounded the poople and God inspired some of the faithful military youngmen under the good leadership of the president Gamal Abd El-Nasser to get rid of the tyrants and to save their people from their bad condition. And because the members of the army were men of sacrifice, organization, work, honour, and glory and because they sold their souls for the sake of their country's freedom, seeing the bad condition which the people of Egypt were suffering, knowing the disruption and the confusion which were prevailing the soldiers of the army, president Nasser and his friends revolted against the enemies of the country. Their revolution was as a faint fire which kills the microbes but does not burn the ill body, it was as a breeze which pushs the sailing boat but does not drow it. They kicked the bad king out of the pure land, then treated the people according to the instructions of the glorious Prophet " peace may be upon him ". Following his footsteps, they destroyed the human idols as he destroyed the rocky ones before, honoured the human beings exactly as he did, oblitirated the distinction among the individuals as he planned, gave every poor person his right in the rich people's wealth as he previously ordered and they also supported the right with the power as he actually did, then they planted among the people of Egypt — for the frist time in their history — both equality and freedom.

The second and the most cunning one of the three, is the successor of Mouzdok or who — so called — Shah Iran (persia). Since his childhood up to now, the persian emperor is enjoying a similar life to the king Farouk's one, also his father did not bring him up according to the religious teachings, did not prepare him to be the king of the State. Hence, forcely he ruled the persian people following his bad father's footsteps, he knows nothing about the State's affairs except its money case which he was attempting to transmitte a lot amount of it to fill his pockets. As a matter of fact, Shah Iran is a careless of improving his State condition or at least how to investigate its natural, wealth for the benefits of his people So, you can not at all.

all people as well as he will lose his honour and dignity which he was previously enjoying. Such kind of kings always appear when the Almighty God wills to change the system of the State and to replace one government with another. This is because these kings humiliated the people, oppressed them, prevented them to declare their opinions freely and consequently, People's hearts filled with hatefulness and this will lead them to revolt against their kings and to get rid of them and their assitants as well.

Offering an actual example for such kind of kings, we have firstly to speak about the three astray youngmen who had been appointed rulers and kings by the authority of the british imperialists, though it is against the will of their nation's people. Moreover, the imperialists backed them by force, supplied them with money, induced them to interrupt the characters and the conducts of the youngmen and taught them how to spend the nation's wealth haphazardly and in the bad ways. But it was the will of God to inspire a group of faithful youngmen under the wise leadership of the president Gamal Abd El-Nasser, who revolted against the tyrants and the aggressors till they evacuated the imperialists out of ost of the middle East nations, though they are still occupying some of these nations, creeping on its land by the support of some dishonest citizens and these unfaithful rulers who are exactly as the germs and the microbes which creep to the human body by means of the fly's legs or the dog's mouth. Verily, it was the will of God to save the people from those tyrant kings and to make them who are the last branches — from the tree of their corrupted and bad families — to fall.

The first and the worst one of the three kings, was Farouk the king of Egypt before 23rd of July 1952, who was the most detested man living on the earth. His heart was full of evil, his conduct was against both the instructions of his religion and the people of his country as well. One of the royal palace supporters told me one day that king Farouk would go to the mosque for the congregational prayer but without ablution and to perform his prayer but without reading Qur'an, this is in case of he was obliged to perform the prayer at only some special circumstances. Moreover, the same supporter added, king Farouk Siad " I fear that I may lough loudly while I am following the movements of the leader of the prayer (The Imam) ".

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE RELIGION IS THE BEST CONTROLLER

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The piety which is the feeling of fear from God, is a natural quantity takes its place inside the hearts of the working hard people. This piety is deep rooted also in their hearts, because they are in need of God's support as well as they are always depending upon Him. But kings and the rich people have never become in need of piety because mony and authority blindfold them their Lord. If it is supposed that there are some kings and rich people of pious hearts, this will be because of a religious education, a spiritual culture or good examples. For instance, if a rich man had an unsuitable environment during his childhood period or lived in unconfortable house where he could not see the father who performs his prayer, the mother who asks God's forgiveness or the guider who guides him to the straight way, he would grow up like the unconscious animal, he may also satisfy all his lusts and would be the man who rules the people without any controller or a considerate mind. If such a man is given the chance to be a ruler of a nation, he will neglect the benefits of the people aside, sink deep into the ill-deeds and take the ignorance of the people as an opportuniy for his own benefits. Consequently, he will use his throne as a bed where the prohibitions can be committed, the kingdom palace as a place where adultry crimes are happend, the government as a connection to his bad aims, moreover he will use the country as if it was a farm given to him by one of his ancestors. Hence, he will satisfy his foolishness, fearlessness of God because Satan is leading him astray and fearlessness of people because the army is guarding him against them - But when the cover that covers the sights of the people will be removed away and as a result of that, the sleepy man will get up of his deep sleep, the king or the ruler will come to the fact that the people are stronger than he immagined and that their will is over his one. At that time, the oppressed society will revolt against the tyranny and refuse to be humiliated, then the tyrant will be looked small in the eyes of